

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم التاريخ

بنو نبهان عمان
والأوضاع الاقتصادية عصرهم
٥٤٩ - ٩٠٦ هـ (١١٥٤ - ١٥٠٠ م)

بحث مقدم
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب
عبد بن ناصر بن سليمان ارشي

إشراف
الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بكلية الآداب - جامعة القاهرة
القاهرة

١٩٩٠ م

الموضوع	رقم الصفحة
تقدير و عرفان.....	
أ مقدمة البحث	
مقدمة عن جغرافية عمان	
الموقع.....	٤
المناخ.....	١٠
الموارد.....	١٣
مقدمة تاريخية	
أحوال عمان في ظل الإسلام قبل ظهور بني نبهان سنة ٥٤٩ هـ ١٥	
الفصل الأول	
بنو نبهان في عمان	
أصولهم.....	٣٠
ظهورهم على مسرح الأحداث.....	٣١
حروبهم مع منافسيهم.....	٤١
بنو نبهان والإمامة الإباضية في عمان	٤٧
علاقة بني نبهان بالقوى الخارجية.....	٦٠
الفصل الثاني	
الزراعة في عمان في عصر بني نبهان	
الموارد المائية (الأمطار والمياه الجوفية).....	٧٥
الآبار والعيون.....	٧٥

الموضوع	رقم الصفحة
نضام الأفلاج	٧٩
أسلوب الزراعة	
أنواع الحاصلات الزراعية.....	١٠٦
أهمية شجر اللبان.....	١١٣
تربية الحيوانات.....	١٢٣
عسل النحل.....	١٢٧

الفصل الثالث

التجارة والثروة البحرية في عصر بني نبهان

أولاً: الثروة البحرية:

أ. صيد الأسماك.....	١٣٠
أنواع الأسماك.....	١٣٣
ب. العنبر.....	١٣٥
ج. استخراج اللؤلؤ.....	١٣٦
- موسم استخراج اللؤلؤ (الغوص).....	١٣٧
- أماكن الغوص.....	١٣٨
- أسلوب الغوص.....	١٤٠
- أنواع اللؤلؤ	١٤٣

الموضوع:	رقم الصفحة
----------	------------

ثانياً: التجارة:

- أ. التجارة الخارجية:..... ١٤٦
- علاقات عمان التجارية..... ١٤٧
- أنواع السلع التجارية وأساليبها..... ١٥٨
- أهم مراكز التجارة الخارجية (الموانئ العمانية)..... ١٦٨
- ب. التجارة الداخلية:..... ١٧٣
- الأسواق..... ١٧٣
- البضائع..... ١٧٤
- أساليب التجارة الداخلية..... ١٧٤
- طرق التجارة الداخلية..... ١٧٨

ثالثاً: صدى الأحداث الخارجية في تجارة المرور بعمان:

- أ. الحروب الصليبية..... ١٨٤
- ب. المغول..... ١٨٧
- ج. اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح..... ١٨٩

الفصل الرابع

الصناعة في عمان في عصر بني نبهان

- وفرة المعادن بعمان..... ٢٠١
- مناجم النحاس..... ٢٠٣

رقم الصفحة

الموضوع:

أنواع الصناعة:

- الصناعات المعدنية وأسلوب صناعتها..... ٢٠٧
- الصناعات الفخارية وأسلوب صناعتها..... ٢١٢

٢١٤	- صناعة السفن وغيرها من الصناعات الخشبية وأسلوب صناعتها.....
٢٢٢	- صناعة الغزل والنسيج وأسلوب صناعتها.....
٢٢٧	- الصناعات الأخرى.....
٢٣٤	الخاتمة:.....
٢٣٦	الخرائط والصور التوضيحية.....
٢٥٩	قائمة المصادر المخطوطة.....
٢٥٩	قائمة المصادر المطبوعة.....
٢٦٧	قائمة المراجع.....
٢٧٣	قائمة المعاجم اللغوية والموسوعات والدوريات.....

(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)
صدق الله العظيم

تقدير وعرفان

بادئ ذي بدء اقدم تحية تقدير وعرفان لمؤسس نهضة عمان الحديثة ومجدد مجدها التاريخي العريق جلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان المعظم حفظه الله. فبفضل الله ثم بفضل قيادته الحكيمة تسير عمان الحبيبة اليوم خطواتها الحثيثة على طريق التقدم والرفق في شتى مجالات النهضة وفي مقدمتها النهضة العلمية الصاعدة التي نقطف ثمارها اليوم.

واني إذ أحيى جامعة السلطان قابوس الفتية، أتقدم لها بالشكر إذ بعثتني لإتمام دراستي العليا لكلية الآداب بجامعة القاهرة، واسأل الله أن أكون دائماً عند حسن ظن حكومتي وبلادي أهلي فأحقق الهدف البعيد الذي يرجونه وهو رفعة عمان وازدهارها.

وبكل تقدير واحترام اشكر أستاذي الفاضل المشرف على رسالتي هذه الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة، الذي تفضل مشكوراً بالأشراف على هذه الرسالة. وكان له الفضل الكبير في اختيار موضوعها البكر، الذي لم يتناوله بالدراسة العلمية أحد من الباحثين قبلي. وشهادة الله وللناس منى له فهو عندي أستاذ مربى وباني لأجيال من الأكاديميين. وليس أستاذاً مشرفاً فحسب. ذلك أنه لا يترك تلاميذه وإنما يتابع توجيهه في كل صغيرة وكبيرة. فجزاه الله عني وعن تلاميذه في شتى الجامعات العربية خير جزاء.

كذلك اشكر أستاذتي الأفاضل بكلية الآداب بجامعة القاهرة، الذين تلقيت على أيديهم أصول البحث في السنة التمهيدية للماجستير، فضلاً عن الأساتذة الأجلاء الذين أسهموا في مناقشة هذه الرسالة.

ولابد من أن أنوه بالشكر والتقدير لأولئك الجنود المجهولين الذين قدموا المساعدة لي في جمع المادة العلمية التي شيدت منها هذه الرسالة، أخص مسئولى المكتبات في كل من مكتبة جامعة القاهرة العريقة، ومكتبة كلية الآداب بها. ودار الكتب المصرية بجمهورية مصر العربية التي منحتني عضوية بها فاستفدت كثيراً مما حوته من كنوز علمية. هذا فضلاً

عن المسؤولين و الموظفين بكل من دار الوثائق والمخطوطات العمانية والمكتبة الإسلامية التابعتين لوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان. أما المسئولون بسفارة سلطنة عمان في القاهرة والملحقية الثقافية بها وعلى رأسهم سعادة السفير والأستاذ الملحق الثقافي فلهم وافر الشكر على عظيم المساعدات والتسهيلات التي قدموها لي، بالإضافة إلى ما أمدوني به من كتب ومراجع استفدت منها كثيراً، وأخيراً أشكر كل من له الفضل في تشجيعي على مواصلة السير في هذا الطريق الشاق وفي مقدمتها أفراد أسرتي واخوتي وأصدقائي جزاهم الله عني خير جزاء.

مقدمة البحث

يلاحظ المشتغلون بالتاريخ الإسلامي أن أصحاب الموسوعات التاريخية الذين عالجوا تاريخ الدولتين الأموية والعباسية بالتفصيل لم يعطوا العلاقات بين هاتين الدولتين من ناحية وعمان من ناحية أخرى حقها على العناية والاهتمام.

أما الذين دونوا التاريخ العماني ومعظمهم من العمانيين أنفسهم فكان المفروض أن يتبعوا منهجاً أكثر توسعاً وتفصيلاً في علاجهم لتاريخ عمان لكن يبدو أن هدفهم الأساسي لم يكن تدوين أحداث التاريخ بقدر ما كان رغبتهم في تدوين سير العلماء والأئمة الذين تمت مبايعتهم في عمان ومن خلال ذلك تطرقوا إلى ذكر تواريخ مبايعة الأئمة ووفياتهم، ووفيات العلماء. أما الأحداث الهامة التي جرت في عهدهم والمشاكل التي واجهتهم وسبل حلها فقد جاء ذكرها في سياق كلامهم.

ولذا عنوا في كتابتهم للتاريخ بالمنازعات والخلافات والمصادمات أكثر من سواها. ولما كانت غالبية هؤلاء الكتاب من العلماء الفقهاء الموالين للأئمة، فإنهم لم يعنوا بسير من تولي حكم عمان من غير أولئك الأئمة، حيث اعتبروهم جبابرة وطغاة لا تستحق عصورهم التدوين والتسجيل وتنطبق هذه الصفة على بني نبهان لأنهم كانوا ملوكاً وليسوا أئمة ولذا وصفوهم بالطغاة والجبابرة، حتى وإن كانوا إباضية على نفس المذهب مما ترتب عليه إهمال تاريخهم وعدم تسجيله. ولا أدل على هذا التجاهل لتاريخ بني نبهان مما ذكره الأزكوي:

"فهذه مايتا سنة وبضع لم أجد فيهن تاريخاً لأحد من الأئمة، فالحق أعلم أنها كانت سنين فترة عقد الإمامة أو غاب معروفة أسمائهم عنا "وأصناف" فلعلها كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنبش ومالك بن الحواري سنين ملك النباهنة ولعل ملكهم كان يزيد على خمس مائة سنة إلا أنه كان فيما بعد

هذه السنين يعقدون للأئمة. والنباهنة ملوك في شئ من البلدان والأئمة في بلدان أخرى والله أعلم^(١)

وهكذا فإن هذه الفترة التي خلت من وجود إمام في عمان لم تجد لها مكاناً في ذاكرة التاريخ العماني، باستثناء بعض الأحداث الهامة الخطيرة التي تخللتها والتي فرضت نفسها على أولئك الكتاب كالكوارث الطبيعية المدمرة والحروب الأهلية التي أهلكت الحرث والنسل، أو الغزوات الخارجية التي تعرضت لها البلاد بين حين وآخر. ومن هذه الإشارات المتباعدة غير المترابطة التي نصادفها عن عهد بني نبهان استطعنا أن نلقي الضوء على ذلك العهد.

وعندما اهتم سلاطين دولة آل بوسعيد وبصفة خاصة السلطان سعيد بن سلطان في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، التاسع عشر للميلاد، بتدوين التاريخ العماني اصطدم المؤرخون العمانيون بندرة المعلومات المتوفرة لديهم عن بني نبهان، وكما أشار الأزكوي من قبل.

علل ابن رزيق ذلك بقوله: "ومن الصعوبة ذكر ملوكهم بالتفصيل وذلك لكثرتهم فكل واحد منهم هو في الشأن والسلطان"^(٢).

وإذا كان هذا هو شأن ابن رزيق فما بالنا بالذين أخذوا ونقلوا عنه. وإن ما نقله فاروق عمر عن ولكسون لدليل واضح على عدم وضوح الرؤية والمعرفة اليقينية بتاريخ بني نبهان عند هؤلاء الباحثين من ذلك ما يقوله فاروق عمر (ليس ذلك بغريب فهؤلاء النباهنة ليسوا إباضية وملوكهم من "الجبابرة" لا يشير إليهم مؤرخو عمان الإباضية من القرون التالية. ويرى الدكتور ولكسون أنه لا بد وقد ظهر بين النباهنة أنفسهم من أرخ لهم ونجد صدق ذلك في بعض روايات السالمي عن تلك الفترة)^(٣)

(١) الأزكوي، سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق عبد المجيد حسيب القيس ص ٧٢ و ٧٤.

(٢) ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٥٠.

(٣) فاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ص ٢٤ و ص ٥٠-٥٢ و ص ١٢٤-١٢٥.

وحقيقة الأمر أن بني نبهان إباضية وليس كما ذكر ولكنسون وفاروق عمر ومن هذا حذوهما.

كذلك عبر عن ندرة تلك المعلومات بعض الدارسين الأثريين إذ قالوا "وأخبار دولة النبهانيين قليلة وقد اتسمت فترتهم بأنها فترة انعزال.. ما يزال فيها جوانب كثيرة تحتاج إلى مزيد من الجلاء والإيضاح"^(٤).

ولكي نكون منصفين في حكمنا لا بد وأن نشيد بالمعلومات التي أوردها السالمي^(٥) مستفيداً من ديواني الستالي والنبهاني، ومن سيرة العالم الجليل ابن النظر المعاصر للملكين النبهانيين الأخويين خردلة وجبر ابني سماعة بن محسن.

ثم جاء السيايبي^(٦) ونقل عنه هذه المعلومات وتوسع فيها بعض الشيء.

وفي ضوء هذه الحقائق تتضح مدى الصعوبات التي واجهتنا عند الشروع في هذا البحث الذي يعالج تاريخ بني نبهان. ولا نكون مبالغين إذا ذكرنا أن هذه أول دراسة أكاديمية عن بني نبهان خلال الفترة الأولى من حكمهم وهي الفترة التي حددناها زمنياً بين عامي ٥٤٩، ٩٠٦ هـ (١١٥٤، ١٥٠٠م)، كما أنها أول دراسة علمية تعالج الجانب الاقتصادي في عهدهم. وإذا كنا قد وفقنا في عملنا هذا بقدر ما توفر لنا من معلومات، فإننا نرجو أن تتاح الفرصة مستقبلاً لنا ولغيرنا من الباحثين لمواصلة الكشف عن حقائق جديدة تلقي أضواء على تلك الفترة المظلمة.

وذلك بفضل ما يتم التوصل إليه من معلومات ووثائق ومخطوطات، أو ما يكشف من آثار سواء في عمان أو في شرق أفريقية وهو الإقليم الذي أمتد إليه حكم بني نبهان ونفوذهم.

(٤) دي كاردي، ودونالد، ونكومب: دراسة لآثار عمان مترجم ص ٣١ و ٣٤

(٥) عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان الجزء الأول.

(٦) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ. الجزء الثالث.

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمتين جغرافية وتاريخية وأربعة فصول. المقدمة الجغرافية تحدثنا فيها عن جغرافية عمان من حيث موقعها ومناخها ومواردها الاقتصادية.

أما المقدمة التاريخية فقد عرضنا فيها لأحوال عمان في ظل الإسلام حتى ظهور بني نبهان سنة ٥٤٩ هـ.

وقد خصصنا الفصل الأول للكشف عن حقيقة بني نبهان، تعرضنا في هذا الفصل لأصولهم وظهورهم على مسرح الأحداث وحروبهم مع منافسيهم.

كذلك تكلمنا في هذا الفصل عن علاقة بني نبهان بالإمامة الإباضية، ثم عن علاقتهم بالقوى الخارجية.

أما الفصل الثاني فقد بحثنا فيه أحوال الزراعة وما يرتبط بها من نظام الري وأنواع المحاصيل الزراعية وذلك على عصر بني نبهان.

ونظراً لأهمية شجر اللبان اقتصادياً في تلك العصور فقد أسهبنا في دراستها..

ثم خصصنا الفصل الثالث للكلام عن التجارة والثروة البحرية في عصر بني نبهان. ويعتبر هذا الفصل بلا منازع قلب الرسالة وذلك لما للتجارة والثروة البحرية من أهمية في اقتصاد عمان في تلك العصور ثم لكونها همزة الوصل بين الزراعة والصناعة.

وقد أوضحت أن الأسماك كانت في مقدمة الثروة البحرية في ذلك العصر، في حين كان اللؤلؤ بمثابة الثروة التي تعادل النفط في عصرنا الحاضر.

كذلك عالجت في هذا الفصل تجارة عمان الخارجية وأهم سلعها ومراكزها التجارية وذلك بالإضافة إلى تجارتها الداخلية وأسواقها وطرقها الرئيسية والفرعية.

وأولينا اهتماماً خاصاً بإيضاح أثر الأحداث الخارجية على تجارة المرور بعمان وأهم هذه الأحداث كالحروب الصليبية وحركة المغول التوسعية، ثم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

أما الفصل الرابع والأخير فقد تعرضنا فيه للصناعة في عمان في عصر بني نبهان حيث تعرضنا لموضوع التعدين القديم في عمان عندما كان النحاس أهم جوانب الثروة المعدنية.

ثم تطرقنا إلى أهم الصناعات التي ازدهرت في عمان سواء الصناعات المعدنية -الحديدية والنحاسية والفضية- أو الفخارية أو صناعة السفن وغير ذلك من المصنوعات الخشبية، أو صناعة الأقمشة والنسيج وغير ذلك من الصناعات الريفية.

وأخيراً أتينا بخاتمة عرضنا فيها أهم ما توصلنا إليه في هذا البحث من نتائج.

ونختتم هذه المقدمة بتعريف موجز لأهم المصادر والمراجع التي رجعنا إليها وأخذنا منها في هذا البحث، ولما كانت هذه الدراسة يغلب عليها الطابع الاقتصادي فإنه كان من الضروري إعطاء الدراسة الجغرافية أهمية خاصة وذلك لما للموقع الجغرافي والعوامل الجغرافية من أهمية خاصة في توجيه أحداث التاريخ.

والواقع أننا استفدنا كثيراً من المصادر الجغرافية العربية والمراجع الجغرافية الحديثة وذلك للتعريف بعمان وتحديد موقعها وطبيعتها الجغرافية ومن هذه المصادر المجلد السابع من كتاب الأعلام النفيسة لأبن رسته، وكتاب المسالك والممالك لابن خردادبه، وصفة جزيرة العرب للهمداني وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي وكتاب مسالك الممالك للأصطخرى وكتاب صورة الأرض لابن حوقل، وأثار البلاد وأخبار العباد للقزويني. وتقويم البلدان لأبي الفدى، هذا فضلاً عن بعض الموسوعات المساعدة مثل كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر لابن خلدون. وكتاب صبح الأعشى للقلقشندي.

على أن أهم موسوعة جغرافية أفدنا منها على نطاق واسع في أجزاء عديدة من هذا البحث، كان معجم البلدان لياقوت الحموي.

أما أهم المصادر التي أفدنا منها في كتابة الأجزاء التاريخية من البحث فعلى رأسها تأتي السيرة النبوية لأبن هشام والطبقات الكبرى لابن سعد وفتوح البلدان للبلاذري، وتاريخ اليعقوبي وتاريخ الدولة العباسية للصولي والجزآن الأول والثاني من كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه.

ويعتبر كل من تاريخ الأمم والملوك للطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير أهم مصدرين خدما المقدمة التاريخية.

يضاف إلى هذه المصادر المصادر المحلية التي تعالج تاريخ عمان ويأتي في مقدمتها الأنساب للعوتبي وتاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لإخبار الأمة للأزكوي. وهناك عدد آخر من المصادر التي تعالج تاريخ عمان والتي لا تزال مخطوطة رجعنا إليها وأخذنا منها ومن هذه المخطوطات، مخطوطة سير علماء الإباضية في ثلاث مجلدات، وقد قام بتأليفها مجموعة من العلماء الإباضية في عمان.

وكتاب مصباح الظلام لشرح دعائم الإسلام للرقيشي . هذا بالإضافة إلى المصادر التي تناولت موضوع الإباضية وجابر بن زيد مثل كتب الحديث والتراجم كالجامع الصحيح -عند الإباضية- للفراهيدي. ومعرفة الثقات للعجلي والإسلام من وجهة نظر إباضية لابن سلام الإباضي.

وكتاب تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير. يضاف إلى المصادر السابقة كثير من المراجع الحديثة والأبحاث والدراسات التاريخية التي تناولت موضوعات شتى تمس هذه المقدمة من قريب أو بعيد.

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في الفصل الأول بوجه خاص ديوان كل من الستالي والنبهاني لا لكونهما معاصرين فحسب، بل لكون الأول شاعر ملوك بني نبهان المقرب منهم والمعبر عن اتجاهاتهم في بداية عهدهم.

هذا في حين كان الثاني أحد ملوكهم بل أشهرهم ذكرا إذ لعب دوراً كبيراً في مجريات الأحداث قرب نهاية الفترة الزمنية لدراسة هذه.

وبينما غطت سيرة ابن مداد -وهو معاصر لبني نبهان- الأحداث الهامة التي جرت في عهدهم، نجد في مقدمة كتاب الدعائم لابن النظر نبذة عن ملكين من ملوك بني نبهان كانا معاصرين لهذا العالم.

كذلك نجد في كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين للشقسي صيغة الحكم الخاص بمصادرة ممتلكات ملوك بني نبهان.

يضاف إلى ما سبق بعض المصادر الأخرى التي عالجت تاريخ عمان، والتي رجعنا إليها وأخذنا منها، مثل تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الحاوي لإخبار الأمة للأزكوي، وكتاب قصص وأخبار جرت في عمان للمعولي. وقد حقق هذا الكتاب على أنه لمؤلف مجهول، وهو ما صححناه. كذلك رجعنا إلى كتاب تاريخ أهل عمان لمؤلف مجهول تحقيق الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.

هذا بالإضافة إلى مؤلفات ابن رزيق مثل كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين وكتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، ومخطوطة الصحيفة القحطانية وهي جزآن. وقد وقع خطأ في تصنيف هذه المخطوطة الأخيرة بدار الوثائق والمخطوطات العمانية فصنف الجزء الأول منها بعنوان السيرة القحطانية بينما صنف الجزء الثاني بعنوان السيرة الجامعة ونأمل أن تصحح حسبما أشار إليه الدكتور فاروق عمر في كتابه - مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني- لكونه أطلع على نسخة الأصلية بلندن.

وفي دراستنا لأحوال الزراعة في عمان رجعنا إلى كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين التي سبق ذكرها وأهمها كتاب تحفه النظائر لابن بطوطة، الذي زار عمان في عهد بني نبهان كذلك كتاب البئر لابن الأعرابي وقد استفدنا منه كثيراً فيما يختص بأنواع الآبار وكيفية سحب المياه منها.

هذا فضلاً عن بعض المراجع الحديثة وأهمها كتاب الأفلاج ووسائل الري في عمان لولكنسون وبحث عن الأفلاج ونظامها للعبري، وبحث عن أرض اللبان في سلطنة عمان للغساني.

يضاف إلى ذلك الدراسات والبحوث الزراعية التي تصدرها تباعاً وزارة الزراعة والأسماء في سلطنة عمان. وقد قمنا لمعاينة الأقاليم الزراعية على الطبيعة كما أجرينا مقابلات شخصية مع بعض المزارعين في عمان للوقوف على بعض المفاهيم المتوارثة المتعلقة بالنشاط الزراعي.

يضاف إلى ما سبق بعض المصادر التي أمدتنا بقدر ثمين من المعلومات بخاصة في الفصلين الأخيرين من هذا البحث. ونخص بالذكر كتاب الجواهر وصفاتها لابن ماسويه وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، وكتاب جزيرة العرب للبكري.

هذا فضلاً عن مؤلفات ابن ماجد وعلى رأسها كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد وكتاب ثلاث أزهار في معرفة البحار. وتتبع أهمية الكتب ابن ماجد من كونه أحد أبناء عمان مما جعله ملماً بحركة الملاحة في موانئها وأبعاد المسافات فيما بينها سواء على الخليج أو المحيط الهندي.

وكان ابن ماجد معاصراً لفترة وصول البرتغاليين إلى هذه البحار كذلك نشير إلى أهمية بعض المراجع مثل كتاب نهضة الأعيان للشيبية السالمي، ودليل الخليج القسم الجغرافي للوريمر والخليج بلدانه وقبائله لمايلز، و عمان ونهضتها الحديثة لدونالد هولي، و عمان وتاريخها البحري الذي أصدرته وزارة الأعلام بسلطنة عمان. يضاف إلى ذلك بعض المراجع الأخرى التي استفدنا منها كثيراً في الجزء الخاص للتجارة والثروة البحرية ومن هذه المراجع كتاب العرب والملاحة في المحيط الهندي لهوراني، وكتاب طرق التجارة الدولية ومحطاتها لنعيم زكي وكتاب النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربي لعلي بن حسين السليمان، وكتاب الخليج العربي لقلعجي، وكتاب الملاحة عند العرب لأنور عبد العليم، وكتاب الحركة الصليبية لأستاذنا الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.

هذا بالإضافة إلى الدراسات والبحوث التي تناولت النشاط التجاري والملاحي للعمانيين على مر العصور.

ومثل هذا يقال عن الجزء الخاص بالصناعة فقد استقينا معلوماتنا فيه من عدد من الدراسات والبحوث الخاصة عن كل الصناعة منها، ومن هذه البحوث الصناعات الفضية في عمان لهولي روت (مترجم).

هذا فضلاً عن الدراسات التي احتوتها مجلدات حصاد ندوة الدراسات العمانية التي أصدرتها وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ومن أهمها نتائج التنقيبات الأثرية التي جرت في عمان والتي أمدتنا بمعلومات قيمة عن التعدين في عمان وعن الصناعات النحاسية والحديدية والفضية والفخارية منذ العصور القديمة وحتى عهد بني نبهان.

بقي أن نقول: أن هناك نوعاً من المعاجم والموسوعات التي استفدنا منها كثيراً في جميع فصول الرسالة وعلى رأسها تأتي المعاجم اللغوية كجمهرة اللغة لابن دريد، ولسان العرب لابن منظور، وغيرها من المعاجم اللغوية فضلاً عن موسوعات الحديثة والدوريات المتخصصة في شؤون عمان.

والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل

جامعة القاهرة في جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ

يناير ١٩٩٠ م.

المقدمة الجغرافية
مقدمة عن جغرافية عمان

أ- الموقع

ب- المناخ

ج- الموارد

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل الدخول في دراسة أية دولة دراسة تاريخية، لابد من الوقوف على طبيعة المسرح الذي مارست عليه هذه الدولة دورها التاريخي، ونعني بهذا المسرح الأبعاد الجغرافية بكل ما يعنيه هذا المصطلح من موقع وبيئة طبيعية، وبشرية وغير ذلك.

ولدراسة تاريخ عمان في عهد بني نبهان من سنة ٥٤٩ حتى سنة ٩٠٦ هـ (سنة ١١٥٤ حتى سنة ١٥٠٠ م)، وأحوال البلاد الاقتصادية في عصرهم نبدأ بالتعريف بعمان وتحديد موقعها، ووصف طبيعتها وكلها من الصفات المميزة التي تميز عمان عن سواها من البلاد في المنطقة المحيطة بها، مما كان له تأثير كبير في تشكيل تاريخها في أية حقبة من حقبة تشكيل التاريخ وبخاصة على الجوانب الاقتصادية التي تحتل النصيب الأوفر في هذه الدراسة.

التعريف بعمان:

عُمان، بضم أوله وهو العين، وفتح ثانيه وهو الميم ثم ألف وآخره نون^(٧)، اسم مشتق من الفعل (عمن). وفي الجمهرة لابن دريد "عمن بالمكان: يعمن به إذا أقام به ويقال: أعمن القوم إذا خرجوا إلى عمان فهم معمنون"^(٨).

وفي لسان العرب "عمن يعمن وعمن أقام والعمن المقيمون في مكان. يقال الرجل عامن وعمون ومنه أشتق اسم عمان.. قال الجوهري: وأعمن صار إلى عمان"^(٩). "وقيل دام على المقام بعمان"^(١٠)، وفيما يبدو أن الأزدي قد اشتقوا اسم عمان منه بعد قدومهم إليها و أعجبهم المقام بها.

(٧) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٥٠ والقلقشندي: كتاب صبح الأعشى ج٥، ص ٥٥.

(٨) ابن دريد، محمد بن الحسن: كتاب جمهرة اللغة، ج٣، ص ١٤٢.

(٩) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، مادة عمي.

(١٠) المعجم الوسيط: مادة عمان.

وهناك عدة أسماء أخرى سميت عمان بها، فقد أورد العوتبي^(١١) في كتابه الأنساب، بأن الأزد بقيادة مالك بن فهم قد أسمتها عمان وذلك بعد قدومهم إليها، تيمناً باسم واد لهم كانوا يسكنوا بأرض اليمن قبل رحيلهم عنها بعد انهيار سد مأرب المشهور في القرن الثاني الميلادي^(١٢).

وذكر الحموي^(١٣) نقلاً عن الزجاجي قوله "سميت عمان بعمان بن إبراهيم الخليل" عليه السلام، وعن الكلبي قوله "سميت بعمان بن سبأ بن يغثان بن إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام. لأنه بنى مدينة عمان". وأورد القلقشندي^(١٤) نقلاً عن الأزهري قوله "سميت بعمان بن نعلسان بن إبراهيم عليه السلام". أما نحن فنميل إلى الأخذ بما قاله ابن خلدون^(١٥): من أنها سميت عمان نسبة إلى عمان بن قحطان وهو "أول من نزلها بولاية أخيه يعرب بن قحطان-، وصارت بعد سيل العرم للأزد".

وبالإضافة إلى اسم عمان هناك أسماء أخرى عرفت بها عمان منذ القدم منها، مزون حيث قال الكمي^(١٦):

فأما الأزد أزد أبي سعيد^(١٧) فأكره أن أسميه المزونا^(١٨)

وكان الفرس يسمون عمان "مزون"، وذلك عند استيطانهم للأجزاء الساحلية منها ويدلنا على ذلك ما قاله أحد الشعراء العرب:

بان كسرى سمى عمان مزونا ومزون يا صاح خير بلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل ومراع ومشرب غير صاد^(١٩)

(١١) سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٢٠٥.

(١٢) فاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ص٢٨.

(١٣) معجم البلدان، ج٤، ص١٥٠.

(١٤) كتاب صبح الأعشى، ج٥، ص٥٥.

(١٥) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر الخ ج٧، ص١٩٨ (تاريخ ابن خلدون).

(١٦) هو الكمي بن زيد الأسدي، الشاعر والخطيب الكوفي، عاش في العهد الأموي.

(١٧) أبو سعيد هو المهلب بن أبي صفرة القائد الأزدي المعروف.

(١٨) المراد بالمزون هنا عمان، وهو اسم من أسمائها. انظر الميرد: الكامل في الأدب ج٣، ص٣٣٢.

(١٩) العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٢٠٥.

ويرجع المؤرخون الأوائل، أن السومريين سكان العراق القدامى، هم الذين أطلقوا على عمان اسم "مجان" ويعنون بذلك أرض النحاس، الذي كانوا يجلبونه من عمان^(٢٠). وقد دلت الدراسات الأثرية التي أجريت في عمان على توفر معدن النحاس بكميات كبيرة فيها وذلك بعد اكتشاف مناجم قديمة للنحاس ومصاهر لاستخلاصه من الأحجار والمعادن الأخرى^(٢١). وهذا ما سنراه عند حديثنا عن الصناعات النحاسية في عمان.

وهناك من يرجع اسم "مجان" إلى الكلمة السومرية التي تعني الملاح^(٢٢)، أو مراكز بناء السفن في عمان، حيث اشتهر العمانيون بالملاحة والتجارة البحرية وبناء السفن منذ القدم هذا في حين يقول الدكتور أحمد شلبي^(٢٣) (أن اسم "مزون" مأخوذ من كلمة المزن العربية والتي تعني انهمار المياه وتدفقها، ولعل ذلك راجع إلى ما تمتاز به عمان من هطول الأمطار الغزيرة)، وكثرة الأفلاج والينابيع المائية بها. لذا فالتسمية العربية أدق وأوضح معنى وأكثر ارتباطاً بعمان. هذا وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، سيجد الباحث أن هاتين الكلمتين "مزن"^(٢٤) و "مجان"^(٢٥)، قريبتا المعنى بعضهما من بعض، ويكملان مع اسم عمان وصفاً رائعاً في طبيعة عمان المميزة.

موقع عمان الجغرافي:

يرتبط موقع عمان الجغرافي على خريطة العالم بطبيعة المنطقة التي تنتمي إليها، وهي بلاد العرب. فقد قسم العرب بلادهم، شبه الجزيرة العربية وذلك عند ظهور الإسلام إلى خمسة أقسام جغرافية هي:

(٢٠) عمان في عشر سنوات ص ١٧.

(٢١) مايلز: الخليج بلدانه قبائله مترجم ص ٣٢٦، جوتيلر وآخرون: بحث مبدئي في التعدين القديم في سلطنة عمان ص ١٥-٣٧.

(٢٢) عمان الدولة العصرية ص ٢٢.

(٢٣) حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج ١، ص ٢٠.

(٢٤) المزن: السحاب يحمل الماء مفرداً مزنه وهو المطر. أنظر إلى ابن دريد جمهرة اللغة مادة مزن.

(٢٥) مجان - المجان: الكثير الواسع الكافي. يقال ماء مجان: أي كثير أنظر مادة المجان في المعجم الوسيط والمنجد في اللغة والأعلام.

تهامة، الحجاز، نجد، العروص، وأخيراً - عمان واليمن، واعتبروا عمان مع اليمن يشكلان الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية.

وعند حديثه عن شبه الجزيرة العربية قال الهمداني^(٢٦) "فجنوبيها اليمن.. وشرقيها عمان". ومعنى هذا أن عمان تقع في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، هذا في حين يذكر ابن رسته والحموي والقلقشندي أن عمان "تقع على ساحل بحر اليمن والهند و"عمان" تقع على ساحل بحر اليمن والهند و"عمان"^(٢٧) وذكر القزويني^(٢٨) "والبحر الذي يليها منسوب إليها".

حدود عمان:

تطرق ابن خردادبه^(٢٩) في كتابه عن موقع عمان إلى حدودها فقال: "أنها بين قطر^(٣٠) وبلاد الشحر"^(٣١). لكن ابن خلدون^(٣٢)، وهو معاصر لجزء من الفترة الزمنية التي نعالجها في هذه الدراسة، كان أكثر وضوحاً في تعريفه بحدود عمان وأبعادها الطبيعية إذ يقول: "عمان من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان، وهي خامسها إقليم سلطاني منفرد على بحر فارس من غربية مسافة شهر شرقيها بحر فارس وجنوبها بحر الهند وغربيها بلاد حضرموت، وشمالها البحرين"^(٣٣).

(٢٦) الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب ص ٣٩ و ٨٢-٩١.
(٢٧) ابن رسته: الأعلام النفيسة ج ٧ ص ٩٦، والحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٠ والقلقشندي: كتاب صبح الأعشى، ج ٥ ص ٥٥.
(٢٨) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٦ و يقصد بالبحر الذي يليها ما نعرفه اليوم باسم خليج عمان.
(٢٩) المسالك والممالك مع بند من كتاب الخراج ص ٥٩.
(٣٠) قطر: دولة قطر الحالية الواقعة في الخليج العربي.
(٣١) بلاد الشحر: بلاد ساحلية إحدى مقاطعات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حالياً.
(٣٢) تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ)، ج ٧ ص ١٩٨.
(٣٣) البحرين: يعنى بها جزر البحرين الحالية والأجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية.

وقد أجمع الجغرافيون المسلمون^(٣٤)، الذين اهتموا بذكر الطرق والمسافات بين المدن الإسلامية، على أن طول الساحل العماني يقدر بثلاثمائة فرسخ^(٣٥)، بينما ذكر الحموي^(٣٦) مسافاتها حسب خطوط الطول والعرض المعروفين جغرافياً وقال "طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة".

تضاريس عمان:

تختلف بيئة عمان الطبيعية عن سائر أجزاء شبه الجزيرة العربية، ومنطقة الخليج بالذات حتى أنها لتبدو في صورة شبه الجزيرة معزولة عن باقي شبه جزيرة العرب^(٣٧). وذلك أن مياه البحر تحدها من ثلاث جهات، الشرق والجنوب والشمال، أما من جهة الغرب فتحدها رمال صحراء الربع الخالي، التي تكاد تعزلها عن بقية شبه الجزيرة العربية تماماً. والظاهرة الجغرافية الكبرى التي تميز عمان عن سواها في المنطقة هي السلسلة الجبلية المعروفة بجبال الحجر الشرقي و الحجر الغربي، وهي تبدأ من رؤوس الجبال بمنطقة مسندم عند مدخل الخليج، ثم تمتد "على هيئة هلال ضخم في اتجاه جنوبي شرقي إلى أن تنتهي "عند رأس الحد المطل على مياه بحر العرب^(٣٨). "وتعتبر عمان من أكثر بلاد العالم تنوعاً في التضاريس، فهي بلاد تجمع تناقضات"^(٣٩)، بمعنى أنها حافلة بالمفارقات التضاريسية، فهي ذات جبال شاهقة تطل سفوحها على وديان منحدرية وصخور جرداء تجاورها سهول خضراء باسقة" وبحر زاخر بالخيرات من جانب، ورمال مترامية الأطراف من جانب آخر^(٤٠).

(٣٤) الأصبخري: كتاب مسالك الممالك ص ٢٥، وابن حوقل: كتاب صورة الأرض ص ٤٥ القلقشندي: ن.م ج ١ ص ٥٥

(٣٥) الفرسخ (مفرد وتجمع فراسخ = ٣ أميال هاشمية ويساوي ٨ كيلو مترات فارسية المنجد في اللغة والأعلام.

(٣٦) معجم البلدان، ج ٤ ص ١٥٠.

(٣٧) أبو العلا، محمود طه: جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٤٢.

(٣٨) متولي، محمد: حوض الخليج العربي، ج ٢ ص ١٦.

(٣٩) هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة ص ٥٠.

(٤٠) شلبي: حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج ١ ص ٢٧.

وهكذا نجد في عمان الجبال العالية الصلدا، ورمال الربع الخالي الجرداء، وتلال ظفار الغناء، التي تصبح خضراء بعد هطول الأمطار الموسمية، المعروفة محلياً بالخريف، خلال فصل الصيف حيث تخضر الأرض، فتكاد لا تظاهيها خضرة في أي مكان في شبة جزيرة العرب، إضافة إلى السهول الخصيبة الفسيحة، والمنحدرات الصخرية الشاهقة في ظفار، فهناك القرى الأنيقة التي تقع بجانب الوديان، محاطة بمزارع النخل ومختلف الأشجار، ولعمان كذلك شواطئ ساحلية تمتد مئات الأميال، قد تزيد على الألف ميل، ابتداء من الخليج العربي وانتهاء ببحر العرب، متفاوتة بين الشطآن الرملية المنبسطة، والمنافذ الصخرية الشديدة الانحدار على الساحل. فالأسماء التي أطلقها العمانيون على تضاريس بلادهم الطبيعية معبرة ودقيقة الوصف، فهناك مثلاً الجبل الأخضر الذي يشكل القمة العليا من سلسلة جبال الحجر الشرقي والغربي التي تعتبر العمود الفقري لعمان، فهو اسم يتناسب مع ما يتسم به من خضرة، وما يحويه من أشجار الفاكهة، حتى أن بعض صخوره خضراء فعلاً، وبه أعلى قمة جبلية في شبه الجزيرة العربية تعرف بجبل شمس، إذ يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم^(٤١)، ويشبه العمانيون هذه السلسلة بالعمود الفقري للإنسان^(٤٢)، فيسمون المنطقة التي تقع على ساحل خليج عمان بالباطنة، ويعنون بها بطن عمان ومقدمتها، بينما أطلقوا على المنطقة التي تقع إلى الغرب من مرتفعات الحجر الغربي الظاهرة لأنها في ظهر عمان^(٤٣).

ويقصد بالباطنة ذلك السهل الساحلي الذي شكلته رواسب الوديان المنحدرة من الجبال المجاورة "يمتد في مساحة تتراوح ما بين (٥٠ وكيلومتر) ما بين البحر والجبل على امتداد المسافة من مسقط إلى أقصى الشمال"^(٤٤).

(٤١) أو ثلاثة آلاف متر.

(٤٢) هولي: عمان ونهضتها الحديثة ص ٥٠ - ٥٤.

(٤٣) لوريمر: دليل الخليل القسم الجغرافي، ج ١ ص ٣٥٧. محمد مرسي عبدالله: إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى، ج ١ ص ٢٣.

(٤٤) عمان الدولة العصرية ص ١٢-١٥.

أما منطقة الظاهرة فتقع في الجانب الآخر من الجبال وهي أيضاً سهول تكونت من طمي الوديان وصفاتها الطبيعية لا تختلف عن صفات المنطقة السابقة، وتمتد غرباً حتى تتلاشى في صحراء الربع الخالي. والامتداد الشمالي لسهل الظاهرة يسمى الجو.

ويطلق العثمانيون على المنطقة الواقعة إلى الغرب من وادي سمائل اسم الغربية أو الحجر الغربي. ويطلقون على المنطقة الواقعة إلى الشرق منه اسم الشرقية أو الحجر الشرقي. بينما أطلقوا على المنطقة الداخلية من عمان اسم الجوف، وهي هضبة وسطى تنحدر من سفوح الجبل الأخضر عن الشمال في اتجاه الصحراء جنوباً يحدها من الغرب الظاهرة ومن الشرق الشرقية. وكانت عمان خلال فترة دراستنا تنقسم إلى سبع مناطق جغرافية رئيسية هي:

منطقة ظفار^(٤٥)، ومركزها التجاري ميناء مرباط.

المنطقة الشمالية^(٤٦): تعرب بالشمال، ومركزها (جلفار) الصير^(٤٧).

منطقة الباطنة: ومركزها مدينة صحار، عاصمة عمان قبيل البعثة النبوية الشريفة في صدر الإسلام.

(٤٥) ظفار: المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان عاصمتها صلالة وكان اسم ظفار في الماضي ينحصر فيما يبدو على مدينة صلالة الحالية فقط انظر:

ابن رسته: الأعلام النفيسة، مج ٧ ص ٩٦: وابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٤، وأبو الفداء: تقويم البلدان ص ٩٨.

(٤٦) المنطقة الشمالية: أو ما كان يعرف في الماضي باسم الشمال أي شمال عمان، وهي دولة الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي، دبي، الشارقة، الفجيرة، رأس الخيمة، عجمان وأم القيوين) حالياً، التي تكون مع سلطنة عمان ما يعرف لدى الجغرافيين والسياسيين العرب المعاصرين باسم عمان الطبيعية.

أما الصير فهي جلفار القديمة وحلت محلها حالياً مدينة رأس الخيمة والصير هو أيضاً سهل خصب ممتد شرق إمارة رأس الخيمة بحذاء المرتفعات مسافة سبعة أميال وبه عدد من القرى وكثير من بساتين النخل والفواكه والخضروات تروى من الآبار.

(٤٧) انظر - هولي: عمان ونهضتها الحديثة ص ٥٥ - ٥٦.

- مرسي عبدالله: إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية ج ١ ص ١٧-٢١.

- متو: حوض الخليج العربي، ج ٢ ص ١٨.

المنطقة الشرقية: ومركزها مدينة سمد الشان..

المنطقة الداخلية: المعروف قديماً بالجوف، ومركزها مدينة نزوى عاصمة منذ قيام الإمامة الإباضية في عمان.

منطقة الظاهرة: ومركزها الغبي، قرب مدينة عبري الحالية.

منطقة الجو: مركزها توأم^(٤٨).

هذا بالإضافة إلى منطقتي جعلان وصور، وكانتا تعتبران في الماضي جزءاً من المنطقة الشرقية حيث أنهما تشكلان منفذها الساحلي، وهذه المنطقة عبارة عن سهل ساحلي يشكل الامتداد الجنوبي لمنطقة الشرقية، فيمتد حتى بحر العرب، يحده شمالاً الحجر الشرقي، وجنوباً رمال آل وهيبة. أما الجزر العمانية فأكبرها جزيرة مصيرة ومجموعة جزر الحلايبات^(٤٩)، وكانت في الماضي تسمى جزائر بني غلفان، وهم عائلة من قبيلة المهرة كانت تسكنها^(٥٠)، وهناك أيضاً منطقة الصحاري أو البرور^(٥١) ونعرف محلياً بمناطق الرمال وأهمها رمال آل وهيبة وبر الحكمان.

هذا وقد تشكلت ملامح الهضبة الصحراوية من عوامل التعرية الحديثة في الكثبان الرملية التي امتدت بتأثير الرياح الشمالية الغربية من صحراء الربع الخالي^(٥٢)، حتى الجبال في الشمال وفي الجزء الجنوبي الشرقي منها تقع مجموعة من الكثبان الرملية المنعزلة تعرف باسم "رمال آل وهيبة"^(٥٣). وهذا بينما يقع بر الحكمان غربي جزيرة مصيرة حيث يفصله عنها مجرى

^(٤٨) توأم: اسم يطلق على مدينة البريمي العمانية، واحة البريمي كلها التي تتكون من عدة مدن وقرى تقتسمها اليوم عمان والإمارات انظر هولي: عمان ونهضتها الحديثة ص ٥٦.

^(٤٩) جزر الحلايبات: تعرف اليوم بجزر كوربا موربا، وتقع على ساحل عمان الجنوبي على بحر العرب.

^(٥٠) مرسى عبدالله: إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى، ج ١ ص ٢٨.

^(٥١) البرور (جمع) مفرداً بر، وتعني الأرض القاحلة اليابسة انظر: المنجد في اللغة والأعلام مادة: البر.

^(٥٢) صحراء الربع الخالي: منطقة رملية واسعة تمتد من سفوح المرتفعات الغربية في عمان إلى سفوح مرتفعاتها الشرقية شرقاً من هضبة نجد بالسعودية شمالاً إلى هضبة حضرموت باليمن الجنوبية جنوباً. انظر: - أبو العلا: جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٤٥.

^(٥٣) ولكنسون: الأفلاج وسائل الري بعمان ص ١٥.

مائي يبلغ اتساعه أربعة عشر كيلومتراً، وتبلغ مساحة هذا البر حوالي (٦٥٠ كيلومتراً مربعاً)^(٥٤) وأهم مدنه شبه جزيرة محوت التي تعتبر المنفذ البحري الجنوبي بمنطقة الشرقية السابقة الذكر^(٥٥).

الأودية التي تتبع من جبال عمان:

تغذي الأمطار التي تسقط على جبال عمان وهضابها كثيراً من الأودية التي تسير مخترقة سهولها لتصب على سواحلها الممتدة على ثلاثة بحار، بحر فارس، وبحر عمان، وبحر الهند. وعلى ضفاف هذه الأودية قامت المدن والقرى العمانية، وعلى مياهها الجوفية اعتمد الإنتاج الزراعي في عمان واستمد منها بعض مقوماته^(٥٦) كذلك لعبت هذه الأودية دوراً هاماً كطرق للمواصلات بين المدن والقرى العمانية سواء كانت في الداخل أو على الساحل. وتعتبر هذه الأودية فعلاً بمثابة شرايين للحياة الاقتصادية في عمان على الرغم من قلة مياهها^(٥٧). ليس بما توفره من مياه الإنتاج الزراعي فحسب ولكن بوصفها طرقاً للاتصال ولنقل التجارة الداخلية في البلاد.

وبالمقارنة بهذه الأودية تشتهر عمان بجبالها وهضابها التي تسقط عليها الأمطار الغزيرة فتكون السيول الجارفة التي تملأ بطون الأودية ومجاريها.

ومن الجبال الهامة في عمان، الجبل الأخضر، جبال مشرفية، جبل فهود رؤوس الجبال وجبل الشحوح بمنطقة مسندم وجبل الحدان، وجبل الكور بمنطقة الداخلية وجبل حفيت، وجبل حطاط^(٥٨)، ثم جبلا سمحان والقمر اللذان يعتبران أعلى جبال ظفار.

^(٥٤) عمان الدولة العصرية ص ١٥.

^(٥٥) متولي، أبو العلا: جغرافية الخليج ص ١٠٨ و ١١٠.

^(٥٦) ومن هذه الأهمية للأودية لاختزان أكبر قدر من المياه الجوفية قامت حكومة سلطنة عمان ممثلة في وزارة الزراعة والأسماك بإنشاء العديد من السدود على الأودية الهامة في البلاد ومازالت مستمرة مكتملة الباقي منها إن شاء الله.

^(٥٧) متولي، أبو العلا: جغرافية الخليج ص ١٠٨ و ١١٠.

^(٥٨) عمان الدولة العصرية ص ١٥.

المناخ:

ويتنوع مناخ عمان تبعاً لتنوع تضاريسها. ومما لاشك فيه فإن للموقع وللبيئات الجغرافية الطبيعية، إن كانت جبلية أو بحرية أو صحراوية تأثيراً كبيراً ومباشراً على مناخ البلاد. ولوقوع عمان في الإقليم المداري الحار، يعني أن هناك فروقاً واضحة بين درجات الحرارة، في النهار والليل وفي الصيف والشتاء^(٥٩).

وكما هو معروف جغرافياً فإن درجة الحرارة تنخفض درجة مئوية واحدة كلما ارتفعنا ثلاثين متراً عن مستوى سطح البحر.

وعن مناخ عمان قال الأصطخري^(٦٠): "وعمان بلاد حارة جداً، وبلغني أن بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج دقيق". وقد هذا حذوه ابن حوقل^(٦١)، وهما يعنيان بذلك التباين الكبير في درجة الحرارة بين الساحل والداخل وبين المناطق المنخفضة المحاذية للبحر وتلك المرتفعات والبعيدة عنه.

وهذا ما يلاحظ في المناطق الجبلية الداخلية، وبالذات منطقة الجبل الأخضر وعلى العموم فقد وصف الجغرافيون المسلمون وغيرهم من المعاصرين طقس عمان بأنه شديد الحرارة، فنجد القزويني^(٦٢) مثلاً يقول "وأما حرها فمما يضرب به المثل". ولكن علينا أن نلاحظ أن هذا الوصف إنما ينطبق على المناطق الساحلية والصحراوية أكثر منه على المناطق الجبلية الداخلية، كما أنه يرتبط بالنهار أكثر منه بالليل، وخاصة في فصل الصيف الذي بطبيعة الحال يكون حاراً أكثر من غيره من فصول السنة.

(٥٩) مرسي عبدالله: إمارات الساحل و عمان ودولة السعودية الأولى ج ١ ص ٣٨.

(٦٠) كتاب مسالك الممالك ص ٢٦.

(٦١) كتاب صورة الأرض ص ٤٥.

(٦٢) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٦ وأبو الفدا: تقويم البلدان ص ٩٨، والقلقشندي: كتاب صبح الأعشى ج ٥ ص ٥٥ وجودة حسنين: شبه الجزيرة العربية ص ٢١٩، ومرسي عبدالله إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ج ١ ص ٣٨.

وذلك إن المناخ في عمان يتنوع طبقاً لتنوع التضاريس، فهو حار رطب صيفاً في المنطقة الساحلية وحار جاف في المنطقة الداخلية^(٦٣).

وعلى العموم فإن أشد الشهور حرارةً هي شهور يونيو، يوليو، أغسطس، حيث تصل درجة الحرارة ما بين 41° و 45° درجة مئوية في المنطقة الساحلي، التي تكون شديدة الرطوبة، خاصة سهل الباطنة ومسقط ومنطقة رؤوس الجبال بمسندم، وذلك لإحاطتها بالبحر من جهتين. وتخفف رياح الشمال من حرارة الجو على الساحل الشمالي في هذا الفصل وخاصة كلما اتجهنا إلى الداخل حيث تقل الرطوبة فيلطف الجو في واحة البريمي والهضبة القريبة منها.

هذا بالنسبة لمناخ المناطق الساحلية والمحاذية للصحراء، أما مناخ المناطق الصحراوية فقد ترتفع درجة الحرارة عن ذلك خاصة في النهار.

ويستثنى من ذلك الجو الخانق المناطق الداخلية المرتفعة في عمان، حيث يكون الجو معتدلاً، خاصةً على الجبل الأخضر، فتصل درجة الحرارة فيه ما بين 20° إلى 30° درجة مئوية نهاراً، وتنخفض عن ذلك ليلاً. وفي ظفار المنطقة الجنوبية من عمان، يسود غالباً جو معتدل صيفاً، حيث لا تكاد تصل درجة الحرارة إلى 30° درجة مئوية في شهر مايو.

وفي فصل الشتاء الذي يمتد من شهر نوفمبر وحتى شهر مارس، فيسود عمان كلها جو معتدل يصل متوسط درجة الحرارة إلى نحو 15° درجة مئوية^(٦٤)، ماعداً المناطق الجبلية المرتفعة خاصةً الجبل الأخضر، فينخفض فيها درجة الحرارة أقل من هذا المعدل بكثير^(٦٥).

الأمطار:

(٦٣) عمان الدولة العصرية ص ١٧.

(٦٤) هولي: عمان ونهضتها الحديثة ص ٦٢ ومتولي وأبو العلا: جغرافية الخليج ص ٩٢ و ٩٥، جودة حسنين: شبة الجزيرة العربية ص ٢١٩، مرسى عبدالله: إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ج ١، ص ٣٨.

(٦٥) لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج ٥ ص ١٧٦٢ مترجم.

تسقط الأمطار على غالبية عمان في فصل الشتاء، وذلك بسبب منخفضات إعصارية طارئة تأتي من الشمال الغربي من حوض البحر الأبيض المتوسط، فتعبر شمال شبه الجزيرة العربية ثم تصل إلى منطقة الخليج و عمان في طريقها إلى شبه القارة الهندية.

وتزداد كمية الأمطار كلما ارتفعت المنطقة عن مستوى سطح البحر فبينما نجد المعدل السنوي لسقوط الأمطار في المناطق الساحلية كمدينة مسقط مثلاً ١٠سم، نجده يرتفع بنسبة تتراوح ما بين ١٣ إلى ٢٦سم، وقد ترتفع على بعض المناطق الجبلية الداخلية إلى ٥٠سم. وقد تتحول حبات المطر المتساقطة فوق قمم الجبال الداخلية كجبل الأخضر إلى هيئة ثلج، أو برد في بعض الأحيان^(٦٦).

ويبلغ معدل سقوط الأمطار على عمان بصفة عامة ما بين ٣ إلى ٦ بوصات. وقد تحدث زوايا مدارية مصحوبة بأمطار غزيرة تفيض من جرائها الأودية الجارفة. أما الأمطار الصيفية، فتحظى بها ظفار والمناطق الجبلية الداخلية من البلاد مثلها في ذلك مثل البلاد ذات الأمطار الموسمية الصيفية وذلك نتيجة لهبوب الرياح الموسمية الصيفية^(٦٧).

ومع هذا تكون هناك فترات تقل فيها الأمطار وقد تنعدم البتة كما هو الحال بالنسبة لمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية "فإن أمطار عمان متذبذبة في كميتها وفي موسم سقوطها لأنها تقع على هامش مسار المنخفضات الجوية التي تصلها أحياناً، وتبتعد عنها أحياناً أخرى كما أن بعضاً منها تصلها جافة، ولهذا تتعرض عمان بين الحين والآخر لجفاف قد يمتد أعواماً متتالية"^(٦٨) مما يؤدي إلى تعرض المناطق الزراعية إلى قحط شديد، ونتيجة لذلك تحدث الهجرات السكانية، فالداخلية منها تنتقل من

^(٦٦) جودة حسنين: شبه الجزيرة العربية ص ٢١٩، ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٢٨ و ٢٩.

^(٦٧) لوريمر: دليل الخليج: القسم الجغرافي ج ٥ ص ١٧٦٢، ومرسي عبدالله: إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ج ١ ص ٢٨ و ٣٩.

^(٦٨) جودة حسنين: شبه الجزيرة العربية ص ٢٢٠.

المناطق المتضررة بالجفاف إلى المناطق الخصبة أما الخارجية فكانت تتجه إلى شرق أفريقية.

وفي فصلي الربيع والخريف تصبح الضغوط الجوية المؤثرة على البلاد في حالة انتقال بين الشتاء والصيف، أو العكس، ولها تأثيرات هامة جداً عليها^(٦٩).

الموارد الاقتصادية:

يمثل الجانب الاقتصادي ركناً رئيسياً في هذه الدراسة، وبخاصة الموارد الاقتصادية، التي حبي الله بها عمان، وتنقسم هذه الموارد إلى خمسة أقسام هي:

- الثروة الزراعية والنباتية: وتقوم عليها حرفتا الزراعة والرعي.
- الثروة البحرية: تقوم عليها مهنتا صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ.
- التجارة: تلك المهنة الحساسة التي لعب العمانيون فيها دوراً بالغ الأهمية، وهي ذات شقين، التجارة الداخلية، والتجارة الخارجية.
- الصناعة: تعتمد الصناعة في عمان على المواد الخام المتوفرة في عمان، أو التي يتم استيرادها من الخارج، وتخدم الصناعة الحرف المهنية الأخرى السابقة الذكر.
- الزكاة: وكانت الزكاة بمثابة الضريبة المالية التي تغذي خزانة الحكومة في الفترة التي نتناولها بالبحث.

^(٦٩) متولي أبو العلا: جغرافية الخليج ص ٩٥.

المقدمة التاريخية
أحوال عمان في ظل الإسلام قبل ظهور
بني نبهان سنة ٥٤٩ هـ

المقدمة التاريخية

أحوال عمان في ظل الإسلام قبل ظهور بني نبهان

منذ سنة (٨ - ٥٤٩ هـ / ٦٢٩ - ١١٥٤ م)

يبدأ تاريخ عمان الإسلامي بوصول مبعوث رسول الله ﷺ إلى ملك عمان وهو عندئذ جيفر وأخيه عبد بني الجلندی، وكانا قد توليا حكم عمان بعد وفاة والدهما الجلندی زمن البعثة النبوية الشريفة. ذلك أنه حدث في سنة ست للهجرة أن رأى رسول الله ﷺ أن يبعث كتباً منه يحملها أصحابه رضوان الله عليهم، إلى الملوك والأمراء المعاصرين له من عرب وعجم، متضمنة دعوته لهم إلى اعتناق الإسلام الحنيف^(٧٠). وفي عام ٨ هـ، بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص بكتاب منه إلى جيفر وعبد ابني الجلندی الأزديين يدعوهما فيه إلى الإسلام. وكان برفقة عمر وأبو زيد، ثابت بن زيد الأنصاري وقال لهما الرسول ﷺ إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمررو الأمير، وأبو زيد على الصلاة، وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن^(٧١) وكان نص الكتاب "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندی، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكما بداعية الإسلام، اسلما تسلما. فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبييتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تطأ ساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما"^(٧٢).

وقد أجمعت المصادر الإسلامية الأولى كلها على حسن إسلام العمانيين، حكماً ومحكومين إذ استجاب جيفر وعبد للدعوة الإسلامية، وطلبا من عمرو بن العاص التصرف بنفسه في جمع الزكاة على الكيفية

^(٧٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤ ص ١٨٧-١٨٨ وابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٢-٢٦٣، واليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٧٧-٧٨ وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٤.
^(٧١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٣-٨٤ وابن حزم: أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٢٩-٥٣٠.
^(٧٢) العوتبي: سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢ ص ٢٦٠-٢٦١.

التي أوصاه بها رسول الله ﷺ واحتفظا لأنفسيهما بالحكم. ثم أنهما كانا عوناً على من خالفه في دفع الزكاة.

وهكذا أخذ عمرو الصدقة من أغنياء عمان وردّها إلى فقرائها، وبقي عمرو في عمان إلى أن انتقلت روح رسول الله ﷺ، إلى الرفيق الأعلى، وعندئذ عاد إلى المدينة المنورة.

وعندما اعتنق العمانيون الإسلام، أقبلت وفودهم إلى المدينة المنورة فرادى وجماعات معلّنين إسلامهم، وليحظوا بشرف صحبة رسول الله ﷺ من ذلك أن وفداً منهم برئاسة أسد بن يبرح الطاحي خرج إلى المدينة. ثم قدم منهم سلمة بن عباد الأزدي في وفد آخر^(٧٣). وتردد المصادر العمانية^(٧٤) أن مازن بن غضوبة الطائي من أهل سمائل هو أول من وفد إلى رسول الله ﷺ على يديه، وحسن إسلامه، وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعوا الله له ولأهل عمان بالهداية وحسن إسلامهم، وأن يبارك لهم في رزقهم وأن يكثر خيرهم من بحرهم.

العمانيون في عهد الخلفاء الراشدين:

وبعد ذلك تتابعت الأحداث في الدولة الإسلامية في حياة الرسول - عليه الصلاة والسلام - ثم في عهود الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.

وكانت أولى مساهمات العمانيين في الأحداث الجارية بعد وفاة الرسول ﷺ أنه لما قدم عبد بن الجندى على رأس وفد عماني لمبايعة أبي بكر الصديق ع كلفه بمهمة قيادة سرية من المسلمين إلى بلاد الشام لتأديب آل جفنه. وكان من جملة أفراد تلك السرية شاعر النبي المشهور حسان بن ثابت وبعد عودتهم من تلك المهمة، أثنى حسان بن ثابت على حزم عبد بن

(٧٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٢٦٣ و ٣٥١، البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٣ ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ج ٢ ص ٣٤٠-٣٤١، والنويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١٨ ص ١١٤.

(٧٤) العوتبي: الأنساب ج ١ ص ٥٥ - ٢٥٧، الأزكوي، سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ص ٣٩-٤١، السالمي: عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ص ٤١-٤٤.

الجلندي وحسن الرأي والتدبير، فعقب أبو بكر الصديق ع على ثناء حسان بن ثابت بقوله "هو يا أبا الوليد كما ذكرت والقول يقصر عن وصفه. والوصف يقصر عن فضله". ويتضح من المصادر المعاصرة أن موقف العمانيين من حركة الردة يدل على تمسكهم بالإسلام بحيث لم يكن لهذه الحركة، صدى واسع في عمان ولم تلق قبولا مثلما حدث في بعض أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية. وفي عهد عمر بن الخطاب ع ساهم العمانيون في فتح بلاد فارس فعبروا بحر فارس مع واليه على البحرين عثمان بن أبي العاص في ثلاثة آلاف مقاتل^(٧٥). وعندما قامت الخلافة الأموية في دمشق سنة ٤١ هـ (٦٦١ م) كان عباد بن عبد بن الجلندي عاملاً على عمان. ويصفه ابن الأثير^(٧٦) بأنه شيخ كبير "وكان أبناؤه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد". ولم يلبث أن ثار عبدالله بن الزبير على الحكم الأموي وامتد نفوذه على المشرق الإسلامي، وكانت عمان داخل دائرة ذلك النفوذ. وفي الفترة من ٦٧-٧٢ هـ (٦٨٦-٦٩١ م)، استولى نجدة بن عامر الحنفي مؤسس فرقة النجدية على عمان بعد استشهاد عباد بن عبد بن الجلندي فقام العمانيون بقيادة سعيد وسليمان ابني عباد المذكور فقتلوا عامل نجدة، وأعادوا أمر بلادهم إليهم^(٧٧).

وعندما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م)، أقام في عام ٧٥ هـ (٦٩٤ م). الحجاج بن يوسف الثقفي عاملاً على العراق. وكانت عمان داخل دائرة نفوذ الحجاج فكان يولي أمورها رجالاً من أسرة الجلندي. ولكن حدث بعد خلاف الحجاج مع أبناء المهلب أن نقم على الأزدي بصفة عامة، فولى شؤون عمان من لا يرغب فيه العمانيون، فثاروا عليه،

(٧٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص ٢٢٥ و ج٤ ص ٣٢٣ و ج٥ ص ٧٥-٨٤. العوتبي: الأنساب ج٢ ص ٣٢٤-٣٢٦، الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٤٤.

(٧٦) الكامل في التاريخ ج٤ ص ٢٠٣.

(٧٧) انظر تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤، والطبري: ن.م ج٦ ص ٣٩٩ و ٤١٣ و ٥٠٩ والمسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٣ ص ٩٩ وابن الأثير: ن. م ج٤ ص ٢٠٣ و ٢٠٥، والأزكوي: ن. م ص ٤٤-٤٦.

فكانت الحرب بينهم إلى أن أخضع الحجاج عمان وفر سعيد وسليمان بن عباد بأسرتيهما ومن تبعهم إلى شرق أفريقية استقروا هناك^(٧٨).

وعندما خلا الجو لجيوش الحجاج بن يوسف فاستولوا على عمان، ونهبوا خيراتها وعذبوا أهلها أشد العذاب، والملاحظ أن عمال بني أمية لم يحسنوا السيرة في عمان مما جعل أهلها يشكون ذلك إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، الذي أستجاب لهم فولى على عمان عمر ابن عبد الله الأنصاري، فأحسن السيرة فيها، وظل والياً عليها طيلة خلافة عمر بن عبد العزيز وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز تخلى عمر بن عبد الله عن أمر عمان فولى أمرها زياد بن المهلب وبذلك عادت سلطة الأزدي على عمان متمثلاً في أسرة آل المهلب إلى أن انتهت الخلافة الأموية^(٧٩).

المذهب الإباضي ودوره في عمان:

لعل أهم تطور في تاريخ عمان هو انتشار المذهب الإباضي في تلك البلاد وينسب هذا المذهب إلى عبدالله بن أباض التميمي من بني مرة من رهط الأحنف بن قيس وكان أول ذكر له في المصادر الإسلامية، عندما قام مع أتباعه بنصرة عبدالله بن الزبير في الدفاع عن الكعبة المشرفة من هجمات الجيوش الأموية عام ٦٤ هـ (٦٨٣ م) بينما يعتبر الإباضيون أن إمامهم الفعلي ومؤسس مذهبهم هو جابر بن زيد المكنى بأبي الشعثاء، ولد جابر بقرية فرق بمدينة نزوى العمانية في الفترة ما بين ١٨ إلى ٢٢ هـ

^(٧٨) بعد هذا الاستيطان أول استيطان لأهل عمان على الساحل الشرقي لأفريقية - الذي ربطته بعمان بروابط تاريخية قوية ووشيجة يأتي مقدمتها رباط الإسلام الوثيق، ثم الروابط الأسرية، التي امتزج فيها الدم العماني بالدم الأفريقي، ثم الروابط الاقتصادية - . وكان إقليم شرق أفريقية ملجأ العمانيين يلجأون إليه عندما تحل بهم ضائقة مالية كالحقن الذي يصيب عمان بين فترة وأخرى عندما تجف الأفلاج والآبار فعندئذ ينزح العمانيون إلى شرق أفريقية حيث يمارسون العمل في مجال الزراعة والتجارة أو التبادل التجاري بين عمان وشرق أفريقية، أو بين شرق أفريقية والمناطق الأخرى.

^(٧٩) البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٤ الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٤٦.

- ابن رزيق: الصحيفة القحطانية ج ١ ص ٢٤٦ مخطوطة.

- ابن رزيق: الفتح ج ١ ص ٢٢١.

(٦٤٠ إلى ٦٤٤م)، في خلافة عمر بن الخطاب ح ثم رحل إلى البصرة مع أسرته، وتلقى علومه الفقهية منتقلاً بين البصرة والمدينة المنورة^(٨٠).

هذا وقد روى جابر بن زيد الحديث النبوي الشريف عن كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم- وبصفة خاصة عبدالله بن العباس، الذي يعتبر أكبر أساتذته، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، ثم تأتي بعدهم السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-. وروى الحديث عنه الكثيرون منهم، عمرو بن دينار، وقتادة وأيوب السخيتاني، وعبدالله بن أباض، ومرداس ابن حدير، ويعتبر أبو عبيدة، مسلم بن أبي كريمة من أنبغ تلامذته وخليفته في إمامة المذهب وضمّام بن السائب، وأبو نوح صالح الدهان، وحيان الأعرج، وسلمة بن سعد، الذي رحل إلى المغرب، ونشر المذهب الإباضي هناك، في عهد خليفته أبي عبيدة^(٨١).

وقد عرف عنه زهده في قبول المناصب حتى أنه قال "لو ابتليت بالقضاء لركبت راحتي وهربت"^(٨٢).

ومهما يكن من أمر فقد قام جابر بدور كبير أساسي في تنظيم الدعوة الإباضية، فكرس نفسه في نشر آرائه وبث أفكاره بين الناس من خلال أحاديثه وفتاويه، داخل البصرة وخارجها، ومن رآه من تلاميذه على استعداد لتحمل المسؤولية، ولديه حماسة قوية للأخذ بمبادئه دعاه إليها وضمه إلى دعوته، التي لم تقتصر على من كان بالبصرة بل تعدتها إلى الأمصار الأخرى وكان جابر على صلة وثيقة بأتباعه الذي كان غالبيتهم من الأزد، وفيهم مسئولون في السلطة الأموية كأفراد من أسرة المهلب ابن أبي صفرة، وغيرهم^(٨٣). توفي رحمه الله عام ٩٣هـ (٧١٨م) بالبصرة ودفن بها^(٨٤).

(٨٠) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص ٢٨٤-٢٨٦ والعجلي: معرفة الثقات ص ٢٦٣.

- الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ص ٧٧.

- الحارثي، سالم بن حمد: العقود الفضية في أصول الإباضية ص ٩٣ - ٩٤ و ١٢١.

(٨١) ابن سلام الإباضي: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية ص ١٢٩.

(٨٢) الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج٤ ص ٧٧.

(٨٣) خلفيات، عوض: نشأة الحركة الإباضية ص ٩٦ ص ٩٨.

- بكوش، يحيى محمد: فقه الإمام جابر بن زيد ص ٣٠ - ٣٢.

وبعد ذلك تعاقب خلفاء جابر الذين عملوا على نشر الدعوة الإباضية، وكانت عمان مسرحاً أساسياً لهذه الدعوة. والواقع أنه لا يوجد تأريخ زمني محدد لدخول المذهب الإباضي إلى عمان، لكن بالرجوع إلى طبقات علماء المذهب، سنجد أن غالبيتهم، وخاصة الأقطاب منهم، فهم عمانيون ويأتي في مقدمتهم إمام المذهب نفسه جابر بن زيد وصاحب المسند الجامع الصحيح الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي^(٨٥) فضلاً عن الدعاة، الذين عرفوا بحملة العلم، كما أن منهم قادة الثورات أمثال، أبي حمزة الشاري، المختار بن عوف السليمي الأزدي، وبلج بن عقبة الفراهيدي الأزدي. إذا كان هذا شأن العمانيين ودورهم منذ نشأة المذهب ابتداء بإمامة المذهب، مروراً بتزعم حركات اتباعه وثوراتهم، ودعائه خارج عمان، فحري بهم أن يكون ذلك دورهم في وطنهم عمان^(٨٦). ونقل عن أبي سفيان محبوب بن الرحيل بن هبيرة قوله "نفى الحجاج بن يوسف الثقفي جابر بن زيد وجدة هبيرة إلى عمان". وذلك بعد أن أطلق سراحهم من سجنه، ثم عاد جابر إلى البصرة وتوفي بها^(٨٧).

ربما حدث ذلك عندما نقم الحجاج على أسرة المهلب ومحاولته القضاء عليهم عام ٨٦هـ / ٧٠٥م^(٨٨) وبالتالي نقم على جماعتهم المناصرين لهم أزد عمان، ومحمّل جداً أن يشمل اضطهاده ذاك علماء الأزد بما فيهم جابر بن زيد. ويعتبر قدوم هذين العالمين الجليلين، جابر بن زيد ورفيقه هبيرة تعزيز للمذهب الإباضي وتمكينه في عمان، لكنه لم يكن البداية، فهناك عدة قنوات تم من خلالها نشر المذهب^(٨٩) في عمان كان أولاً طلاب العلم، الذين كانوا يفدون إلى البصرة لتلقي العلم، فكان جابر بن زيد وغيره من علماء الأزد

(٨٤) العجلي: مغرفة الثقافات ج ١ ص ٢٦٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٥٧٨. ابن كثير: البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٣-٩٤، الذهبي: محمد بن أحمد: العبر في خبر من غير ج ١ ص ٨٠، والحنبلي، عبدالحق بن العماد شذرات الذهب في أخبار من ذهب ص ١٠١.
(٨٥) مقدمة الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي ص ٣-٤، السيابي سالم بن حمود: إزالة الوعناء عن أتباع أبي الشعثاء ص ٤١.
(٨٦) العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب ج ٢ ص ٢٢٩.
(٨٧) الحارثي، سالم بن حمد: العقود الفضية في أصول الإباضية ص ١٠٢.
(٨٨) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٥٢٥، بكوش، يحيى محمد: فقه الإمام جابر بن زيد ص ٣٣ و ٣٧.
(٨٩) خليفات: نشأة الحركة الإباضية ص ١٢٨ بكوش: ن. م ص ١٢-١٣.

العمانيين محط رحالهم، ثم يعودون فيما بعد إلى وطنهم حاملين ما حصدوه من العلم.

ثانيها التجار: كانت العلاقات التجارية بين عمان والبصرة مقر المذهب الإباضي وعلمائه الأوائل وثيقة جداً، مما ساعد على نقل فكر المذهب ومبادئه إلى عمان منذ وقت مبكر.

ثالثها موسم الحج -يعتبر موسم الحج أكبر تجمع إسلامي، يجتمع فيه الحجاج المسلمون من كافة أقطار العالم في مكان ووقت واحد، مما يساعدهم على الالتقاء وعلى تبادل الآراء والأفكار فيما بينهم، وكان جابر حريصاً بأداء فريضة الحج في كل عام، وهناك يلتقي بحجيج الرحمن، ودرج على منواله ذاك خلفه من علماء المذهب، على كل فقد نجح جابر في نشر دعوته ومبادئه بين قبيلته وفي وطنه الأصلي ومسقط ورأسه عمان.

أما من وجهة النظر السياسية فيتمثل ظهور المذهب الإباضي في عمان في قيام أول إمامة إباضية في تلك البلاد، وهي الإمامة التي تزامنت في قيامها ما قيام الدولة العباسية في بغداد وذلك عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م، وهناك عدة عوامل ساعدت على قيام الإمامة الإباضية الأولى في عمان، منها:

أن معظم أتباع المذهب الإباضي الدعاة المعروفين اصطلاحاً بحملة العلم كانوا من قبيلة الأزدي قبائل عمان، وأهمها من الناحيتين الفكرية والسياسية بل أن زعماء عمان ما قبل الإسلام كانوا ينتمون إليها، لذا فإن تأثيرها في عمان فاق ماعداها من القبائل الأخرى^(٩٠)، فلا غرابة في أن يقيموا لهم دولة في وطنهم تسير على المنهج الذي ارتضوه، إمامة إسلامية تقوم على منهج كتاب الله الكريم، وسنة رسوله الأمين محمد بن عبد الله ﷺ،

(٩٠) خليفات: نشأة الحركة الإباضية ص ١٢٩.

وخلفائه الراشدين المرضيين، متخذة من الشورى والعدل والمساواة بين الناس أساساً لحكمها^(٩١).

ومنها رغبة العمانيين المستمرة في الاستقلال عن السلطة المركزية خلال حكم الدولتين الأموية والعباسية، فوجدوا في المذهب الإباضي ما يشبع رغباتهم الاستقلالية. ومن هذه العوامل أيضاً أن الأحوال السياسية السائدة في نهاية الخلافة الأموية، وقيام الخلافة العباسية ساعدت على قيام الإمامة الإباضية الأولى في عمان، فضلاً عن أنه تولى شؤون عمان منذ تولي بداية القرن الثاني الهجري ولادة وعمال ينتمون إلى قبيلة الأزدي العمانية، الذين لم يكن من السهل عليهم الوقوف ضد رغبة حملة العلم من أبناء قبيلتهم في إعلان الإمامة الإباضية، وربما كان أولئك الولاة والعمال أنفسهم من أتباع المذهب الإباضي، لكنهم أخفوا ذلك على سبيل التقية الدينية خوفاً من السلطة الحاكمة إن كانت أموية أو عباسية.

يضاف إلى ذلك طبيعة عمان الجغرافية، وموقعها الهام على بحر فارس وبحر الهند، مما ساعد على تنمية مواردها الاقتصادية عن طريق التجارة، حيث استطاع العمانيون الاعتماد على أنفسهم اقتصادياً، والوقوف أمام أي خطر خارجي يهددهم بالحصار.

وأخيراً فإن طبيعة عمان الجميلة الوعرة، وفرت الملاذ والحصن الحصين لأهلها في كثير من الأحيان ضد الغزو الخارجي الذي كان يصعب عليه اختراقها ومعرفة مسالكها^(٩٢).

وبقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م)، أخذ أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين يعين الولاة والعمال على مختلف ولايات دولته

^(٩١) قال رسول الله ﷺ "لن يزال هذا الأمر في قريش ما لم يحدثوا أحداثاً ثم يريجه الله عنهم ويلحاهم كما يلحي هذا القضيبي" القضيبي في يده. وقال ﷺ "إن أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله" أنظر الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن الحبيب ص ٢١١.

^(٩٢) خليفات: نشأة الحركة الإباضية ص ١٢٩-١٣٠.

- العقيلي، محمد رشيد: الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأولى ص ٨-٩.

الواسعة، فعين سفيان بن معاوية المهلبى الأزدي، عاملاً له على البصرة، وكانت عمان تقع داخل دائرة نفوذه حيث عين جناح بن عبادة بن قيس بن عمر الهنائي، نائباً عنه في عمان، ثم ولى ابنه محمد بن جناح، الذي كان عوناً للعلماء وحملة العلم في تنفيذ رغبة العمانيين، في يوم قيام الدولة الإباضية الأولى في عمان واستقلالها عن الخلافة العباسية.

وبذلك تمت مبايعة الجلندى بن مسعود ليكون أول إمام إباضي في عمان. ثم كان أن تعاقب على عمان عدد من الأئمة اعتباراً من عام ١٣٢هـ (٧٥٠م) أي منذ أن سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية في العراق، فعندئذٍ بويع الجلندى بن مسعود، إماماً لعمان وقد وصف بأنه كان عادلاً مرضياً عنه.

ولكن حدث في عهده أن تمرد عليه أقاربه من بني الجلندا وهم جعفر وولدها النظر وزائدة فحكم عليهم بالقتل، وعند تنفيذ الحكم دمعت عيناً الإمام الجلندى، فقيل له (أعصبية يا جلندا؟ قال: لا، ولكن الرحم).

على كل فقد امتد عصر الإمامة الإباضية في عمان ما قبل بني نبهان من سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م)، حتى سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م). أي بدءاً بالإمام الجلندى بن مسعود وانتهاءً بالإمام أبي جابر موسى بن أبي المعالي موسى بن نجاد^(٩٣).

وقد تميز هذا العصر بالعديد من الأحداث الداخلية والخارجية التي أهمها كما سبق القول تمرد أقارب الجلندى عليه، وقدم شيبان بن عبد العزيز اليشكري الشيباني^(٩٤) إلى عمان، حيث لقي هو وأصحابه مصرعهم فيها على يد العمانيين.

^(٩٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٧ ص ٢١٧-٢١٩ و ٢٣٠.

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٥ ص ٤٣٠ و ٤٤٥.

- الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الخ ص ٤٧.

^(٩٤) هو إمام الفرقة الصفرية الخارجية قدم إلى عمان فاراً من تتبع القائد العباسي خازم بن خزيمة التميمي على رأس جملة أرسلها إليه الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح.

وكان أن تتابعت الأحداث في عمان في تلك الفترة ومن أهمها مقتل الإمام الجلندي بن مسعود وجميع أصحابه على يد القائد العباسي خازم بن خزيمة ١٣٤هـ (٧٥٢م)^(٩٥) ثم قيام الإمامة الإباضية الثانية وذلك بمبايعة محمد بن أبي عفان عام ١٧٧هـ (٧٩٤م). وبعد سنتين تمت مبايعة أول إمام من بني خروص، هو الوارث بن كعب الذي أنقذ البلاد من الظلم والفساد. وفي عهد الإمام غسان بن عبدالله اليعمدي (١٩٢-٢٠٧هـ / ٨٠٨-٨٢٣م)، تم إنشاء أول أسطول حربي بحري عماني لردع القراصنة الهنود، الذين دأبوا على الإغارة على السواحل العمانية، للسطو والنهب.

وفي عهده سميت نزوى بيضة الإسلام، بدلاً من تخت العرب مما يشير إلى اشتداد التيار الإسلامي في البلاد، وفي عهده وعهد خليفته الإمام عبد الملك بن حميد ازدهرت عمان ازدهاراً كبيراً. بينما وصف خلفهما الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦-٢٣٧هـ / ٨٤١-٨٥١م) بالحزم وقوة الشخصية، وفي عهده نمت وتطورت القوات العسكرية العمانية تطوراً كبيراً فقد بلغت القوة البحرية ثلاثمائة سفينة حربية، أما القوة البرية فقد بلغ عدد أفرادها المرابطين في نزوى وحدها عشرة آلاف مقاتل وتسعة آلاف جمل وسبعمائة فرس معدة عند أول نداء للحرب.

ونتيجة للازدهار الاقتصادي الذي شهدته عمان في عهد سلفيه فقد تضاعف عدد سكان عمان حتى أن سكان قرية سعال وحدها وهي إحدى قرى مدينة نزوى قد بلغ أربعة عشرة ألف نسمة^(٩٦).

وفي عهد الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٣هـ / ٨٥١-٨٨٧م). تم إنقاذ جزيرة سقطرى التابعة لعمان في تلك الفترة من غزو نصارى الحبشة، الذين نقضوا العهد المبرم بينهم وبين العمانيين.

^(٩٥) الطبري: ن. م ج ٧ ص ١٧٦-١٧٨ و ص ٢٣١-٢٣٣ و ص ٤٨٥ والبلارري فتوح البلدان ص ٨٤. ابن الأثير: ن. م ج ٥ ص ٣٥٥ و ٤٥٢.

^(٩٦) مخطوطة سير علماء الإباضية ج ١ ص ١٢٦-١٢٧ و ١٦٤-١٧٠ و ج ٢ ص ٦-١٤ و ٥٢ و ٧٦ و ١٠١ و ١٣٨.

- الرقيشي، أحمد بن عبدالله: مصباح الظلام شرح دعائم الإسلام لابن النظر ص ٩١ و ٩٧-٩٩.

- الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الخ ص ٤٧-٥٣.

وفي عهده حدث تمرد قاده موسى بن موسى عُزل فيه الإمام، وقد ترتب على هذا العزل انقسام وصراع على السلطة، فاستنجد النزاريون المنهزمون بالعباسيين، الذين نصروهم ضد القبائل اليمنية من أزد وعتيك، وقتل الإمام عزان بن تميم الخروصي على يد العباسيين بمدينة سمد الشأن عام ٢٨٠هـ (٨٩٣ م). كما ترتب عليه أيضاً انقسام فكري سياسي حول شرعية عزل الإمام بدون أسباب قاهرة أو عدم شرعيته. تبلور عن ذلك الانقسام الفكري قيام ثلاث مدارس فكرية أخصبت عمان بكثرة التأليف والسير المؤيدة لهذا الفريق والمعارضة له والواقفة على الحياد^(٩٧).

وبذلك انشغل العلماء بهذه البلبلة الفكرية حتى عهد الإمام العادل ناصر بن مرشد مؤسس الدولة اليعربية في عام ١٠٣٤هـ (١٦٢٤م). لقد أخذ كل فريق ينصب أئمة ويناصب الفريق الآخر العداء، حتى أنه بلغ عدد الأئمة خلال الأربعين عاماً من استشهاد الإمام عزان بن تميم حتى مبايعة الإمام سعيد بن عبدالله (٢٨٠-٣٢٠ هـ / ٨٩٣-٩٣٢م) سبعة أئمة^(٩٨).

والملاحظ أن الفترة التي حكم فيها هؤلاء الأئمة السبعة تخللتها هجمات القرامطة، ثم حُكم يوسف بن وجيه ومن بعده خادمه نافع الأسود، الذي خضع لنفوذ البويهيين في بغداد وفارس وذلك عام ٣٥٥هـ (٩٦٥م)^(٩٩).

^(٩٧) المدرسة الرستاقية (نسبة إلى مدينة الرستاق): معارضة لعزل الإمام ومهاجمة القائمين به وتبنت أفكاراً متشددة حول طبيعة الإمامة الإباضية وتزعمها العلامة ابن بركة. أما المدرسة المؤيدة للعزل: فقد تزعمها فكرياً للعلامة محمد بن جعفر.

المدرسة النزوانية (نسبة إلى مدينة نزوى): ظهرت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كانت محايدة ومعتدلة في أفكارها، حاولت التوفيق بين المدرستين، تزعمها في البداية آل الرحيل وأشهرهم البشير بن محمد بن محبوب بن الرحيل.

^(٩٨) هم، محمد بن الحسن، الصلت بن القاسم، عزان بن الهزير المالكي، عبدالله ابن محمد الحداني (المعروف بأبي سعيد القرمطي) الحكم بن الملا البحري.

انظر - الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٧ ص ٣٤٩ والمسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٤ ص ٢٤٤.

- العوتبي: الأنساب ج٢ ص ٣١٣-٣٢٣ والأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٥٤-٦٥.

- العقيلي، محمد رشيد: الإباضية في عمان وعلاقتها بالدولة العباسية في عصرها الأول ٣٤-٤٣.

^(٩٩) انظر - الطبري: ن. م ج٧ ص ٤٣٥ المسعودي: ن. م ج٣ ص ١٤٦.

وفي ذلك الدور وجدت على مسرح عمان ثلاث قوى تتصارع فيما بينها لفرض سيطرتها على البلاد، هي قوة البويهيين ويمثلها نافع خادم يوسف بن وجيه، وقوة القرامطة ويؤيدها المنتفعون من التجارة والمعارضون للبويهيين المغالين في فرض الرسوم الباهظة على الأقاليم الخاضعة لنفوذهم، أما القوة الثالثة فهي القوة الوطنية المتمثلة في الإمامة الإباضية، والتي كان لابد لقيامها من توحيد صفوف العمانيين على يد الرجل المناسب لمنصب الإمامة الذي يستطيع أن يجمع شملهم.

استمر ذلك الوضع المتذبذب بين هذه القوة مدة خمسة وستين عاماً، ثم بعدها توحيد العمانيين وقاموا بمبايعة أئمتهم ومن هؤلاء الأئمة الإمام الخليل بن شاذان، الذي حكم من سنة ٤٠٧ حتى سنة ٤٢٥ هـ (١٠١٦-١٠٣٣ م) وبمبايعته هذه تكون قد قامت الإمامة الإباضية الثالثة ثم خلفه الإمام راشد بن سعيد من سنة ٤٢٥ إلى ٤٤٥ (١٠٣٣-١٠٥٣ م) الذي نجح في طرد البويهيين من الساحل العماني لذا أعتبر عهده بداية منعطف جديد في تاريخ الإمامة بعمان، وهذان الإمامان هما اللذان استعان بهما الإمام الإباضي إبراهيم بن قيس إمام حضرموت، على معارضيه، كالصليحي وغيره^(١٠٠).

استمر تداخل نفوذ الأئمة الإباضيين المبايعين مع حكم أسرة بني مكرم حتى سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م). وعلى الرغم مما حققته الإمامة الإباضية الثالثة من ازدهار سياسي إلا أنها لم تستطيع مد نفوذها على الشريط

-
- الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٢٤٤ وابن مسكويه: كتاب تجارب الأمم ج ٢ ص ٤٦ و ١٤٣-١٤٤.
 - ابن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ١٤٣ والمفريزي: اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ص ٢١٧-٢١٨.
 - (١٠٠) الكدومي: محمد بن سعيد: الاستقامة ج ١ ص ٢١٠-٢١٩ وج ٢ ص ٩٧-١٠٠.
 - الحضري، إبراهيم بن قيس: ديوان السيف النقاد ص ١٣٣.
 - الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٦١ - ٧٢ والسالمي: التحفة ج ١ ص ٢٢٤-٢٦٢.
 - باوزير، سعيد عوض: معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٦٧.
 - أبو عزة، عبدالله: بحث في علاقة عمان بدار الخلافة في النصف الأول من ق ٤ هـ (٣٠٥-٣٥٥ هـ) ص ١٦٥-١٦٧.
 - فاروق عمر، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ص ٤٩.

الساحلي الذي خضع لحكم السلاجقة لمدة ثمانين عاماً من سنة ٤٤٧-٥٢٧هـ (١٠٥٥-١١٣٥م). ثم خضع بعد ذلك لحكم مملكة هرمز التي مدت سيطرتها عليه حتى قدوم البرتغاليين إلى المنطقة في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

أما عن علاقة عمان بالخلافة العباسية في تلك الفترة فأهم معالمها أن العباسيين قاموا بمحاولات مستمرة لإخضاع عمان لسلطتهم وقد ساعدتهم في تحقيق ذلك استمرار الصراع القبلي والتنافس على السلطة في عمان.

وقد حقق العباسيون أول نجاح لهم في عمان عام ١٣٤هـ (٧٥٢م) بعد قتلهم الإمام الجلندي بن مسعود على يد قائدهم خازم بن خزيمة وتوليبتهم أقاربه ومعارضيه من بني الجلندي المواليين لهم. وبقيت عمان في يدهم مدة ثلاث وأربعين عاماً. ثم كرر العباسيون محاولتهم الثانية في عام ١٨٩هـ (٨٠٥م). حين أرسل هارون الرشيد حملة بقيادة عيسى بن جعفر، لكن العمانيين قضوا عليها وقتلوا قائدها وذلك عندما كانوا متحددين.

وفي عام ٢٨٠هـ (٨٩٣م)، بعث المعتضد بالله حملة تلبية لاستتجاد بني سامة بن لؤي النزاريين به، فأوكل لواليه على البحرين محمد بن ثور بقيادة تلك الحملة فتأثر للقبائل النزارية ودمر الأفلاج والمزارع في عمان وهزم القبائل اليمنية، وقتل الإمام عزان بن تميم وبذلك أخضعوا عمان لسلطتهم، وعينوا بني سامة بن لؤي عمالاً لهم بعد رحيل محمد بن ثور فكان محمد بن القاسم السامي أول عامل منهم على عمان، وآخرهم أحمد بن هلال وظلت عمان في يدهم مدة أربعين عاماً.

وعندما ظهر نفوذ بني بويه في الدولة العباسية خضعت عمان لنفوذهم في الفترة الواقعة ما بين سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) وسنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) وظل الأمر كذلك حتى حل السلاجقة محل بني بويه في فارس والعراق

وبالتالي في المناطق الخاضعة لهم ومن جملتها عمان وبخاصة الأجزاء الساحلية^(١٠١).

-
- (١٠١) انظر - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٦٤٦-٦٤٧ وج ٩ ص ٥٦٥-٥٦٦ وج ١٠ ص ٣٤٠ وج ١٢ ص ٣٠٤ وأبو الفدي: المختصر في أخبار البشر ج ٢، ص ١٦٢-١٦٣ وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر) ج ٨ ص ١٤٥-١٨٠ وج ٩ ص ٦٠ و ١٠٤.
- الأزكوى: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٤٨ و ٤٩-٥٠ و ص ٥٨-٦١ وأبو عزه، عبدالله: بحث في علاقة عمان بدار الخلافة في النصف الأول من ق ٤هـ ص ١٦٥-١٦٧.
- وفاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ص ٣٨ و ٤٠-٤٣ و ص ٥٠.

الفصل الأول

بنو نبهان:

- أصولهم.
- ظهورهم على مسرح الأحداث.
- حروبهم مع منافسيهم.
- بنو نبهان والإمامة الإباضية في عمان.
- بنو نبهان وعلاقتهم بالقوى الخارجية.

الفصل الأول

بنو نبهان في عمان

أجمع المؤرخون العمانيون على أن حكم بني نبهان في عمان استمر قرابة خمسة قرون، وكان على فترتين: الفترة الأولى، هي التي عرفت بفترة النبهانة الأوائل، واستمرت أربعمئة عام، بدأت بوفاة الإمام أبي جابر موسى بن أبي المعالي مرسي بن نجاد عام ٥٤٥هـ (١١٥٤م)، وانتهت بالقضاء على حكم سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني ومبايعة محمد بن إسماعيل إماماً عام ٩٠٦هـ (١٥٠٠م)، وقد تخللت هذه الفترة غزوات وحروب واجهت بني نبهان من الداخل والخارج، بالإضافة إلى نصب العمانيين للأئمة بين فترة وأخرى.

أما الفترة الثانية، والتي عرفت بفترة النبهانة المتأخرين، واستمرت من عام ٩٠٦-١٠٣٤هـ (١٥٠٠-١٦٢٤م)، وقد تخللتها أحداث مختلفة منها نصب الأئمة، والصراع على السلطة بين ملوك بني نبهان أنفسهم من جهة وبينهم وبين القبائل العمانية الأخرى من جهة ثانية^(١٠٢).

على أن أهم أحداث تلك الفترة كانت احتلال البرتغاليين للمنطقة الساحلية من عمان بعد انتزاعها من مملكة هرمز التي كانت تسيطر عليها.

ويمكن القول أن نفوذ بني نبهان انحسر في المناطق الداخلية من عمان طيلة حكمهم في فترتين مذكورتين. وبالرغم من أن بني نبهان لم يكونوا هم الحكام المطلقون المسيطرون على عمان بأسرها، إلا أنهم مع هذا كانوا هم السائدون دون سواهم من القبائل العمانية الأخرى لذا عرفت فترة خمسة قرون تلك بعصر بني نبهان.

(١٠٢) الأزكوى، سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الخ ص ٧٤.

- السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيره أهل عمان، ج ١ ص ٣٠٣
- السيادي، خلفان بن جميل: سلك الدرر الحاوي غرر الأثر ج ٢ ص ٥٧٧
- السيادي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٣ ص ٩٣.

هذا ويلاحظ أنه على الرغم من وجود فترات شغور في عصر بني نبهان، إلا أن القضاء على حكم واحد منهم بعينه لا يعني القضاء على نفوذ النبهانة ومناصريهم ويتضح هذا من الصراع الذي دار بين سليمان بن سليمان بن مظفر من ناحية وبين الأئمة من ناحية أخرى والذي سنراه خلال دراستنا للفترة الأولى من حكم بني نبهان.

أصول بني نبهان ونسبهم:

ينتمي بنو نبهان في أصولهم إلى العتيك، تلك القبيلة العربية الأزدية العمانية العريقة، التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي وذلك من خلال فرع من فروعها المشهورين، نعني به أسرة آل المهلب بن أبي صفرة^(١٠٣)، وهو القائد العماني الفذ، الذي تم على يديه ومساعدة قبيلته العتيك ثم الأزد العمانيين القضاء على شرور ابن الأزرق وغلوه. ومن المعلوم أن العتيك منتمين إلى قبيلة الأزد العربية القحطانية التي ينتهي نسبها إلى يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام^(١٠٤).

وخير دليل على انتسابهم هذا ما قاله شاعر النباهنة المشهور المعاصر في فترة حكمهم الأولى أبو بكر الستالي، الذي اختص بمدح ملوك بني نبهان^(١٠٥).

(١٠٣) المكنى بأبي سعيد الذي تنسب إليه قبيلة بني أبي سعيد "البوسعيدي" التي منها الأسرة الحاكمة حالياً في عمان آل سعيد وذلك حسبما ورد في كتاب تاريخ بني بوسعيد تأليف السيد حمد بن سعيد البوسعيدي.

وبذلك يتضح أن قبيلة العتيك قد تولت حكم عمان منذ القرن السادس الهجري لأن اليعاربة فرع من النبهانة انظر السيادي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ١٤٠.

(١٠٤) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: نسب عدنان وقحطان ص ٣٣.

- العوتبي: الأنساب ج ٢ ص ١١٧ - ١٢٠.

- السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ص ٣٠٣.

- السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان بحرية عمان ص ٩٢.

- السيادي، سالم بن حمود: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص ١١٦ - ١١٨.

(١٠٥) الستالي، أحمد بن سعيد: ديوان الستالي ص ٤٤٣ حيث قال:

ثم ما قاله بعد ذلك الملك النبهاني الشاعر سليمان بن سليمان بن المظفر، الذي عاش في الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين (القرنان الخامس عشر والسادس عشر^(١٠٦) الميلاديين).

ظهور بني نبهان على مسرح الأحداث:

يستدعي الحديث عن ظهور بني نبهان التساؤل عن العوامل التي أوصلت بني نبهان إلى الحكم، ومتى تم ذلك؟ ثم من هم ملوك بني نبهان في الفترة التي نتناولها بالدراسة؟

وللإجابة عن ذلك نقول:

تحول الانقسام الحاد والصراع المرير على السلطة في عمان بين مؤيدي الفرقة النزوانية وبين مؤيدي الفرقة الرستاقية، من طابع سياسي بحث في أوله، إلى طابع قبلي، هذا بالنسبة للوضع الداخلي، ومن جانب آخر، أدى هذا التفكك إلى طمع القوى الخارجية في بسط نفوذها وسلطانها على عمان وسلب خيراتها، فاستغلت ذلك التمزق في صفوف العمانيين،

حلى	الملوك	وتيجانها	وبيت	المعالى	وإيوانها
وبأس	الكمة	وأقدامها	وحكم	الكفاة	وإحسانها
توارثتها	الأزد	حتى انتهت	إلى أن	حوى	الإرث نبهانها
أمير العتيك	تسامى به	كهول	العتيك	وشبانها	
أنبهان	إنك من	عصبة	نماها	إلى المجد	قحطانها
هم العين	في يعرب	كلها	وأنت	من العين	إنسانها

(١٠٦) النبهاني، سليمان بن سليمان بن المظفر: ديوان النبهاني حيث قال:

ومنا سليمان الهمام وظافر	ونبهان مولى كل حاف وناعل
وحارثة الغطريف منا وعامر	وعمر ابن ماء المزن كهف الأرامل
وقحطان رب التاج والملك يشجب	غوثة الأنام الغوثة رب الجحافل
وكهلان والعنقاء عنقاء يعرب	وهود نبي الله أفضل فاضل
وأنا ابن نبهان وجدي تبع	ولنا من تفضيل ما لم يجهل

وقد شرح المحقق التنوخي هذه الأبيات بقوله:

"من قومنا النباهنة اسم أبيه وجده، وظافر هو جده مظفر وحارثة هو جده امرئ القيس بن ثعلبه، وعمرو هو مزيقيا بن عامر ماء السماء الذي عبر عنه بابن ماء المزن. ومن أجداده الأعلى قحطان ويشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود عليه السلام".

وفرضت سيطرتها على عمان، وكونت لها حلفاء موالين لها فيها. وفي هذا الجو المضطرب، والتمزق بين مؤيدي الإمامة المنتخبة -التي لا تستقر إلا بمبايعة الأمة بأسرها ومباركتها لها- وصل بنو نبهان إلى الحكم، بغض النظر عن الكيفية التي وصلوا بها إن كان ذلك الوصول بجهودهم أو بجهود أنصارهم في الداخل، أم بمعونة من الخارج^(١٠٧).

ومن المشاكل الكبرى التي تواجهنا في دراسة تاريخ عمان في الفترة بين عامي ٥٤٩ هـ، ٨٠٩ هـ (١١٥٤-١٤٠٦م) تداخل الأحداث وتضارب التواريخ وتداخلها واختلافها حتى أن تواريخ مبايعة الأئمة ووفياتهم التي أعطاها المؤرخون العمانيون جل اهتمامهم تداخلت تماماً بحيث لا يوجد تاريخ محدد متفق عليه لبداية حكم كل منهم.

فالسّالي شاعر ملوك بني نبهان يورد في ديوانه ثلاثة تواريخ في مناسبات مختلفة في عهد بني نبهان الأول عام ٤٧٤ هـ^(١٠٨)، والثاني عام ٥٠١ هـ^(١٠٩)، والثالث عام ٥٥٩ هـ^(١١٠). فلو افترضنا أن التأريخ الأول هو بدء نظمه للشعر وهو بدء حكم بني نبهان وأن التأريخ الأخير آخر ما نظمه من الشعر فيهم لكان الفرق الزمني بينهما خمس وثمانين عاماً. وإذا كان قد بدأ ينظم الشعر بهذا المستوى الرفيع وعمره لا يقل عن عشرين عاماً، فأن

(١٠٧) السّالي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج١ ص ٣٠٣.

- السّالي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج٣ ص ٨٦.

- العقيلي، محمد رشيد: الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول ص ٣٧.

- فاروق عمر: مقدمات في دراسة مصادر التاريخ العماني ص ٥٠-٥١.

- أبو عزة، عبدا : ث بعنوان علاقة عمان بدار ال لافة النصف الأول من

ق٤٤ هـ - ص ١٦٢-١٦٣.

(١٠٨) أنظر السّالي ص ٢٦١ يرثي السلطان أبا محمد نبهان بن عمر بن محمد بن نبهان سنة ٤٧٤ هـ (١٤٠٦م).

(١٠٩) ن. م ص ٣٧ يعزي أبا عبدالله محمد بن عمر في وفاة والدته سنة ٥٠١ هـ.

(١١٠) ن. م ص ٢٨٣ يمدح السلطان أبا الحسن ذهل بن عمر ويهنئه بعودته من أداء فريضة الحج سنة ٥٥٩ هـ.

عمره حينذاك يكون قد تعدى المائة عام^(١١١). هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن السالمي الذي استشهد بديوان الستالي عند حديثه عن ملوك بني نبهان، يبدوا أنه لم يطلع على هذه التواريخ المذكورة ولو تم له ذلك لاستفاد منها في تدوين تواريخ أولئك الملوك الذين مدحهم الستالي، لكونه أعني السالمي^(١١٢) حريصاً على تسجيل تواريخ الأحداث والوقائع التي يتحدث عنها بدقة كبيرة، فكيف غاب عن باله ما سجله الستالي من تأريخ. أما الأزكوي فيشير إلى أن الفترة الواقعة بين وفاة الإمام محمد بن خنبش سنة ٥٥٧ هـ (١١٦١ م)، ومبايعة الإمام مالك بن الحواري عام ٨٠٩ هـ^(١١٣) بلغت مائتين واثنين وخمسين عاماً حيث يقول " لم أجد فيهن تأريخاً لأحد من الأئمة". لكنه قال في موضع آخر "لعلها كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنبش ومالك بن الحواري سنين ملك النباهنة ولعل ملكهم كان يزيد على خمسمائة سنة إلا أنه كان فيما بعد هذه السنين يعقدون للأئمة والنباهنة ملوك في شيء من البلدان والأئمة في بلدان أخرى"^(١١٤). وعند ذكره لبني نبهان وصفهم ابن رزيق^(١١٥) بأنهم ملوك عظام لهم من المكارم والملاحم شأن عظيم، ومن الصعوبة بمكان ذكر ملوكهم بالتفصيل وذلك لكثرتهم فكل واحد منهم هو هو في الشأن والسلطان.. "ولكن الفلاح بن المحسن هو الأشهر منهم جوداً: وسياسة" أما بادجر فعندما ترجم ما كتبه ابن رزيق اعتبر الفلاح بن المحسن المذكور، أول ملوك بني نبهان، وحذا حذوه كل من أخذ عنه من المستشرقين، وغيرهم من المؤرخين المعاصرين ما عدا العمانيين الذين اعتبروا حكم بني نبهان فقط من سنة ٥٤٩ إلى ٨٠٩ هـ (١١٥٤ إلى ١٤٠٦ م)^(١١٦).^(١١٧)

(١١١) هذا العمر قل ما يقول فيه الإنسان العادي الشعر لأنه يحتاج إلى قريحة وبديهة وهما غالباً لا يتوافران في مثل هذا السن المتأخر.

(١١٢) السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٤.

(١١٣) تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٧٢.

(١١٤) الأزكوي: ن. م ص ٧٢ و ٧٤.

(١١٥) حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة البوسعيديين ص ٢٥٠.

(١١٦) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ج ٢ ص ٦٢٩ مترجم (نقلاً عن بادجر).

(١١٧) أنظر - زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ج ١ ص ١٩٤.

- لوريمر: ن. م، القسم الجغرافي، ج ٥ ص ١٧٠١.

- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ١٣٩-١٤١ مترجم.

- سليمان، أحمد السعيد: تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ص ٢٢٩-٢٣١.

وعند قراءتنا لما كتبه ابن رزيق قراءة ممعنة نجد أنه لم يقل بأن الفلاح بن المحسن هو أول من حكم من بني نبهان، وإنما قال: أنه أشهرهم، وفي حقيقة الأمر أن الفلاح بن المحسن هذا هو السلطان الثالث من سلسلة ملوك بني نبهان المتأخرين الذين حكموا في الفترة الثانية من عصرهم^(١١٨)، وهذه الفترة تخرج عن موضوع دراستنا هذه.

وهكذا يبدو أن المؤرخين وضعوا أسماء ملوك بني نبهان المتأخرين في الفترة الأولى موضوع دراستنا هذه، ولم يتطرقوا إلى أسماء ملوكها، الذين سوف نذكرهم في حينه. ومن جانبه حدد الأستاذ أحمد شلبي^(١١٩) ظهور ملوك بني نبهان زمنياً في القرن الرابع الهجري كولاية للبويهيين، مستنداً على ما ذكره ابن الأثير في حوادث عام ٣٦٣هـ، الذي قال "وبعمان أبو الفرج بن العباس، نائب معز الدولة، فارقتها، فتولى أمرها عمر بن نبهان الطائي، وأقام الدعوة لعضد الدولة، ثم أن الزنج غلبت على البلد، ومعهم طوائف من الجند وقتلوا ابن نبهان، وأمروا عليها إنساناً يُعرف بابن حلاج"^(١٢٠).

ونرد على ذلك بأن بعمان قبيلتين تحملان اسم النباهنة، الأولى تنتمي إلى نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء ابن من قبيلة طيء العربية

- شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج ٧ ص ٢٤٢-٢٤٥.

- شلبي: حصاد تدوة الدراسات العمانية، مج ٣٩-٤٠.

^(١١٨) هو الفلاح بن المحسن بن سليمان بن سليمان بن المظفر بن سليمان بن المظفر بن نبهان بن كهلان بن عمر بن نبهان بن محمد بن عثمان بن نبهان بن محمد بن عثمان بن محمد بن زياد بن خالد بن طالب. أي أن المذكور حفيد الملك النبهاني الشاعر سليمان بن سليمان بن المظفر الذي تنتهي به دراستنا. أنظر الكيذاوي: موسى بن حسين بن شوال: ديوان الكيذاوي ص ٥.

ملوك بني نبهان في الفترة الثانية هم:

سلطان بن المحسن بن سليمان بن سليمان، الذي حكم من سنة (٩٦٤-٩٧٣هـ / ١٥٥٦-١٥٦٥م) ابنه المظفر بن سلطان بن المحسن (٩٧٣-٩٧٦هـ / ١٥٦٥-١٥٦٨م)، الذي توفي وترك ولداً صغيراً تولى الحكم عنه عم أبيه الفلاح بن المحسن المذكور أعلاه وكان يحكم بمقتنيات فانتقل إلى بهلى فتولى الحكم (٩٧٦-٩٨٣هـ / ١٥٦٨-١٥٧٥م). انظر الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٧٦ و ٨٣.

^(١١٩) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج ٧ ص ٢٤٢، وحصاد الدراسات العمانية مج ١ ص ٣٩.

^(١٢٠) الكامل في التاريخ، ج ٨ ص ٦٤٦.

المعروفة وموطنهم مدينة سمائل بعمان وهي الأقدم ذكراً في التاريخ، وهذه ليست موضع دراستنا^(١٢١).

أما القبيلة التي نعينها، فتنتهي كما سبق القول إلى العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو^(١٢٢). إلا إذا كان ابن الأثير قد نسب عمر بن نبهان، الذي تولى الحم في عمان عام ٣٦٣هـ، خطأ إلى قبيلة بني نبهان الطائية. ثم إننا نرى أن ظهورهم في ذلك الوقت مبكر جداً لا يتفق على ما أجمع عليه المؤرخون العمانيون بأن مدة حكمهم كانت خمسمائة عام طيلة الفترتين، فلو أخذنا بما قاله الأستاذ أحمد شلبي: بأن بداية حكمهم كانت في التاريخ المذكور أعلاه، لصارت مدة حكمهم ستمائة وواحداً وسبعين عاماً شاملة الفترتين، لأن نهاية حكمهم كانت على يد الإمام ناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربة سنة ١٠٣٤هـ. حتى ولو أخذنا بذلك لكان الفرق بينه وبين عام ٤٧٤هـ، وهو التاريخ الأول الوارد في ديوان الستالي افتراضاً مائة وأحد عشر عاماً. ولذا نرجح ما قاله الأزكوي، على أن عام ٥٥٧ هجري هو العام الذي وضع ملوك بني نبهان، أيديهم فيه على السلطة الفعلية في عمان كما اتضح لنا من سياق حديثه وأن فترة ما بين عامي (٥٤٩ و ٥٥٧هـ)، كانت فترة مخاض وصراع على السلطة بين ثلاث قوى هي:

- أنصار الإمامة وهم الأغلبية ولكنهم منقسمون على أنفسهم إلى فرقتين نزوانية ورستاقية كما مر بنا.

- قبيلة اليعربي ويتزعمها الملك محمد بن مالك، وكن في صراع مع الإمامة الفرقة الرستاقية وإمامها أبو جابر بن أبي المعالي موسى بن نجاد.

^(١٢١) ومنهم من يقطن الآن بقرية صنب ببوشر إحدى ضواحي محافظة مسقط حالياً، وطيء هذه

ينتمي إليها مازن بن غضوبة الطائي الصحابي أول من أسلم من العمانيين على يد رسول الله P. انظر العوتبي: الأنساب، ج ١ ص ٢٤٦-٢٥٦.

^(١٢٢) هم بنو نبهان بن كهلان بن نبهان بن محمد بن نبهان بن عثمان بن أحمد. وينتهي نسبهم إلى العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو الخ..

انظر: الميرد: نسب عدنان وقحطان ص ١٢ والسالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٩٢. السيابي، سالم بن حمود: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص ١١٦-١١٧.

وكان نفوذها في منطقة الرستاق وما حولها، فخلى لها الجو باستشهاد الإمام المذكور سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م).

-ملوك بني نبهان، كان صراعهم على السلطة مع إمامة الفرقة النزوانية وإمامها محمد بن خنبش الذي استشهد عام ٥٥٧هـ (١١٦١م)^(١٢٣)، وبذلك خلى الجو لهم فاستولوا على مدينتي نزوى وبُهلَى وما حولهما. وفي حوالي عام ٦٠٠هـ (١٢٠٣م)، قضوا على سلطة قبيلة اليحمد، فاستولوا منهم على الجبل الأخضر وكان يعرف بجبل اليحمد نسبة إليهم حسبما ذكر السيابي "وكان نزولهم بالجبل الأخضر منذ ثمانمائة سنة، وكان قبلهم يقال له جبل اليحمد"^(١٢٤).

ونستطيع أن نحدد ملوك بني نبهان في فترة دراستنا في القائمة الآتية:

- (١) أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.
- (٢) أبو الحسين أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.
- (٣) أبو محمد نبهان بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان، الذي رثاه الستالي سنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م)^(١٢٥).
- (٤) أبو عمر، معمر بن محمد بن عمر بن نبهان.

^(١٢٣) ذكر السالمي ونقل عنه السيابي أن الإمام أبا جابر موسى بن أبي المعالي موسى بن نجاد قد بويع بالإمامة سنة ٥٤٩هـ، واستشهد في موقعة بوة سنة ٥٧٩هـ، التي كانت بينه وبين قبيلة اليحمدي، ومع تقديري للشيخ السالمي، الذي يحرص دائماً على تسجيل وقائع التاريخ بالدقة لكنه في الفترة الواقعة بين عامي ٥٤٩ و ٨٠٩هـ نقل عن سير معلوماتها مضطربة أصلاً، وقد أشار بنفسه إلى ذلك. لذا فسنأخذ بما ذكره الأزكوي بأن هذه الفترة هي فترة تولي ملوك بني نبهان للحكم في عمان لم ينافسهم فيه أحد من الأئمة.

انظر - الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٢.

- السالمي، عبدالله بن حميد: التحفة، ج ١ ص ٢٩٣-٣٠٢.

- السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ٨٦-٩٢.

^(١٢٤) سالم بن حمود: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص ١١٧، وفاروق عمر: مصادر التاريخ العماني ص ٢٢.

^(١٢٥) الستالي، أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي: ديوان الستالي ص ٢٥٩-٢٦٤.

- (٥) أبو القاسم، علي بن محمد بن عمر بن نبهان بن عثمان.
- (٦) أبو الحسن، ذهل بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان بن عثمان، الذي
هنا الستالي بمناسبة عودته من الحج عام ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م) (١٢٦).
- (٧) أبو العرب، يعرب بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان بن عثمان.
- (٨) أبو إسحاق، إبراهيم بن أبي عمر معمر بن محمد بن عمر بن نبهان.
- (٩) أبو عبدالله، محمد بن أبي عمر معمر بن محمد بن عمر بن نبهان، الذي
عزاه الستالي في وفاة والدته سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) (١٢٧).
- (١٠) أبو المعالي، كهلان بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.
- (١١) أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.
- (١٢) أبو محمد، نبهان بن ذهل بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان.
- هؤلاء هم ملوك بني نبهان الأولون، الذين قال فيهم شاعرهم المشهور
الستالي قصائده العديدة بل جل ديوانه، في مناسبات مختلفة من مديح وتهنئة
ورثاء وتعزية (١٢٨).
- وهناك أسماء ملوك آخرين ورد ذكرهم في كتب التاريخ هم:
- (١٣) خردلة بن سماعة بن محسن، الذي كان مستولياً على مدينة سمائل وما
حولها مدة أربعين عاماً. وذلك خلال القرن السابع الهجري. وكان
معاصراً له العالم الفقيه ابن النظر (١٢٩). وقد وصف خردلة بأنه كان
ملكاً جباراً طاغية ظالماً للرعية، يأخذ أموال الناس ظلماً وعدواناً.

(١٢٦) الستالي: ديوان الستالي ص ٢٨٣.

(١٢٧) ن. م ص ٣٧.

(١٢٨) انظر الديوان المذكور.

(١٢٩) ابن النظر، هو أبو بكر أحمد بن سليمان بن عبدالله بن أحمد بن الخضر بن سليمان من بني
النظر المنتمون إلى قبيلة النعب العمانية من سكان مدينة سمائل عاش في القرن السابع الهجري، له
عدة مؤلفات فبالإضافة إلى كتابة المشهور الدعائم هناك كتاب سلك الجمان في سيرة أهل عمان،

(١٤) جبر بن سماعة بن محسن: كان معاصراً ومنافساً لأخيه خردلة بن سماعة بن محسن، الذي كان مستولياً على مدينة سمائل وما حولها، بينما كان جبر هذا مستولياً على مدينتي نزوى وإزكي وما حولهما، وكان التنافس والصراع بينهما على السلطة والنفوذ على أشده كما هو عليه الحال بين ملوك بني نبهان^(١٣٠).

(١٥) أبو المعالي كهلان بن نبهان، وفي عهده غزا ملك هرمز عمان سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م).

(١٦) عمر بن نبهان، تعرضت عمان في عهده على غزو من قبل حكام شيراز ببلاد فارس عام ٦٧٤هـ (١٢٧٥م).

(١٧) كهلان بن عمر بن نبهان، هو الذي خرج عليه بنو الريس قبيلة عمانية، تقطن شمال عمان، غزواً مقر حكمة -مدينة نزوى- سنة ٦٧٥هـ (١٢٧٦م).

(١٨) أبو محمد بن النبهان، الذي قدم في عهده إلى عمان الرحالة المغربي ابن بطوطة سنة ٧٣١هـ (١٣٣٠م). حيث ذكره في كتابة بهذا الاسم المختصر^(١٣١).

مجلدان، عثر على تسعة كراريس منها محروقة، ثم كتاب مرآة البصر في مجمع المختلف من الأثر (٤ مجلدات) والقصائد الطويلة العديدة كان معارضاً لسطوة خردلة فقتله وأحرق كتبه.

^(١٣٠) انظر كتاب الدعائم لابن النظر - مقدمة الرواحي ص ٥-٨ وشرح الدعائم لابن وصاف ج ١ مقدمة المحقق عبد المنعم عامر. والسالمي، عبدالله بن حميد: التحفة ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٨.

- السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ٩٥.

- والخصيبي، محمد بن راشد: شقائق النعمان على سموط الجمال في أسماء شعراء عمان ج ٢ ص ٣٢٤.

^(١٣١) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ص ١٨١-١٨٢.

- مايلز، س. ب: الخليج بلدانه وقبائله ترجمة محمد أمين عبدالله ص ١٤١.

- الخليلي عبدالله بن علي: ديوان وحي العيقرية ص ١٥٢، ١٥٣ يرد في قصيدة له على

ابن بطوطة بما وصف به العمانيين بسبب تصرفات ملوك بني نبهان:

١٩) المظفر بن سليمان بن المظفر بن نبهان.

٢٠) سليمان بن المظفر بن سليمان بن المظفر بن نبهان، والد الملك الشاعر سليمان بن سليمان وأخيه حسام، وقد غزاه ملك هرمز نور شاه بن لقمه سنة ٨٦٦هـ (١٤٦١م).

٢١) حسام بن سليمان بن المظفر، الذي لقي حتفه عقب صراع طويل على السلطة بينه وبين أخيه الملك الشاعر سليمان بن سليمان، فرثاه الأخير بقصيدة مؤثرة:

أحسام أوجعني رداك ولم أكن أحسام عز علي فقدك من أخ إن أمسي مأثوماً بقتلك إنني قطعت يدي عمداً يدي وتوهمي	قدماً ليوجعني مصاب موجع عف الشمائل جوده ما يقلع بك يا ابن سيد يعرب المفجع من قبل أن يداً يداً لا تقطع (١٣٢)
---	---

٢٢. سليمان بن سليمان بن المظفر، الملك الشاعر، صاحب الديوان من أشهر ملوك بني نبهان خلال فترة دراستنا هذه، كانت له حروب ووقائع كثيرة بينه وبين أخيه حسام السابق الذكر، وبينه وبين منافسيه من زعماء القبائل العمانية الأخرى وبينه وبين الأئمة خاصة في الفترة الواقعة ما بين الإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي سنة ٨٨٥هـ (١٤٨٠م)، والإمام محمد بن إسماعيل الحاضري ٩٠٦هـ (١٥٠٠م) (١٣٣).

يا بني نبهان إحساناً فما حسبك بآبن بطوطة عظة يا أبا طنجة مهلاً أنها إن يك الفخر خلق المصطفى سمة الدين سمت الأنبياء	قر فوق الملك مثل الحسين إذ رمى تاريخكم رمي المشين نبوة السيف فمن للمنصفين وهدها فلنا الفخر المبين في رجال من عمان قانتين
--	--

(١٣٢) النبهاني، سليمان بن سليمان: ديوان النبهاني ص ١٤٩-١٥٠.

(١٣٣) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد ص ٣٨ و ٦٦ و ٦٧.

- الشقصي: خميس بن سعيد: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ج ٥ ص ٣٤٩.

- الأركوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٤-٧٦.

وقد اتخذ هؤلاء الملوك من نزوى وبُهلَى حاضرتين لملكهم^(١٣٤)، وكان حكمهم وراثياً بمعنى أن يرث الابن الملك عن أبيه أو الأخ عن أخيه، وأن لم يوجد الابن أو الأخ يتولى الحكم أقرب أقرباء الملك المتوفى.

وقد وصف عهدهم بالظلم والاستبداد والجبروت، كما وصف بالفساد وكثرة المجون. ومع أنه لا يوجد وجه للمقارنة بين حكم هؤلاء الملوك، الذين ساهم الفقهاء العثمانيون بالجباية^(١٣٥) وبين الأئمة الشرعيين المنتخبين، الذين اتصفوا بالزهد والتقوى والورع، إلا أننا لا نميل إلى الأخذ بهذا الحكم المطلق، ونرى أنه يجب علينا كدارسين أن لا نأخذ هذه الأحكام على أنها مسلمة لا نقاش فيها. فكما أن هناك المفسد المسيء، هناك أيضاً المصلح المصيب. وكما ينطبق هذا المثل على عامة الناس وحكامهم على

- المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة ص ٣١.

- ابن رزيق، يد بن مد: الصحيفة القحطانية طوطة ص ٣٣٨-٣٣٩.

(١٣٤) الستالي: ديوان الستالي ص ٢١١:

يا أرض نزوى تباهي واكتسي زهراً
قد أصبحت في بهجة سمد
فأنت بين الفرات العذب والمطر
عذراء تختال بين الوشي والحبر
سمد قرية من قرى مدينة نزوى تقع بها قصور ملوك بني نبهان.

- النبهاني: ديوان النبهاني ص ٣٦ - ٣٧.

خليلي هل حصن العميري عامر
وهل شرع بُهلَى ذو المعافل عائد
وهل عقر نزوى مخصبات ملاعبه
بأيامنا لذاته ومطاربه

(١٣٥) ديوان الستالي ص ٢٣:

يا مجلس الأنس واللذات والطرب
يا سيد الناس طرى وابن سيدهم
يَهْنِيكَ شرب كميت اللون صافيه
شمس العتيك ملوك العجم والعرب
تري لها في أكف القسوم كاللهب

ديوان النبهاني ص ١٢٢ - ١٣٣ حيث وصف الشاعر سليمان بن سليمان غرامياته:

ففننا إلى خدر أنيق ومضجع
وظلت تمج الخمر والشهد في فمي
عبيق يعير الروض من نشره نشرًا
ونلهم والزمان مساعداً
وتفرشني اليمنى وتلحقني اليسرى
ولم نخش بعد الوصل صدأ ولا هجراً

أنظر أيضاً - ابن طوطة: رحلة ابن طوطة ص ١٨١ - ١٨٢.

- السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ص ٣٠٣.

- والسيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ٩٧.

مر العصور ينطبق أيضاً على ملوك بني نبهان الذين لم يكونوا كلهم على هذه الحالة.

وندلل على ذلك بما وصف الستالي به بعض ملوكهم، حيث أشاد بتواضع وحسن أخلاق الملك النبهاني، أبي العرب يعرب بن عمر، الذي عُرف عنه حبه للعلم والعلماء^(١٣٦). كذلك أثنى على السلطان أبي الحسن ذهل بن عمر وهنأه بعودته إلى وطنه بعد أدائه فريضة الحج^(١٣٧) وخير وصف على حسن أخلاق ملوك بني نبهان وكرمهم وتواضعهم ما ذكره ابن بطوطة عند مقابله الملك النبهاني أبا محمد "وعادته أن يجلس خارج باب داره في مجلس هناك، ولا حاجب له ولا وزير، ولا يمنع أحداً من الدخول إليه من غريب أو غيره، ويكرم الضيف على عادة العرب ويعين له الضيافة، ويعطيه على قدره وله أخلاق حسنة"^(١٣٨).

وهكذا نرى أنه من التطرف أن نحمل ملوك بني نبهان وزر ذلك الوضع المتردي كله، بل فعلى معاصريهم من علماء وأعيان البلاد وعامة الناس تحمل جزءاً من تلك المسؤولية، فالمثل يقول "مثلما تكونوا يولى عليكم".

حروب ملوك بني نبهان مع منافسيهم:

(١٣٦) الستالي، أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي: ديوان الستالي ص ٤٦:
لكنه رزق التواضع والنهي
وإذا أردت العلم منه فإنه
طوراً نراه مذاكراً لجليسه
أهل الحجى والدين من قرنائه
وإذا المؤمل زاره لمهمة
والنسك والإخلاص في محرابه
من أهل موضعه ومن طلابه
حكم الملوك وتارة لكتابة
وأولوا النهى والحق من أصحابه
لم يلقه متوارياً بحجابه

(١٣٧) ص ٢٨٣ - ٢٨٧
سرت بالحجيج الوافدين وهجرت
زعيم بني نبهان والسيد الذي
أبا حسن ما أحسن الشيم التي
فوافت بذهل بطن مكة شنفاً
يلاذ به من كل أمر ويكتفى
رزقت وما أحلى وأزكى وأطفا

(١٣٨) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله: رحلة ابن بطوطة، ص ١٨١.

كانت فترة حكم ملوك بني نبهان من أكثر فترات التاريخ العماني تنافساً وصراعاً على السلطة. فعند خلو منصب الإمامة من إمام قائم بأمور الدولة بأي سبب من الأسباب تعود الأوضاع في البلاد إلى حالة الفوضى والتسيب، فيعود الصراع والتطاحن بين القبائل. واستمر هذا الوضع المضطرب في عمان أكثر من مائتين وخمسين عاماً. ويبدو أن هذه الفترة خلت فيها البلاد تماماً من منصب الإمامة لذا كان الصراع على أشده بين قبيلة النباهنة والقبائل العمانية الأخرى بل بين أفراد أسرة بني نبهان أنفسهم بعضهم وبعض، ولم ينحصر التنافس والصراع فيما بين أبناء العم فقط، بل تعداه إلى التنافر والقتال على السلطة بين الأخوة أنفسهم. ولا نستطيع أن نتتبع أحداث هذا الصراع عند قيام دولة بني نبهان لأن مصدرنا الوحيد عن تلك الفترة هو الستالي الشاعر الذي كرس نفسه في مدح ملوك بني نبهان الأول والثناء عليهم دون أن نتعرض لمثالبهم التي من ضمنها ذلك الصراع الدموي على السلطة، لكن سليمان بن سليمان الملك الشاعر أشار على ذلك الصراع، ففي أبيات شعرية ناشد فيها أخاه حسام بن سليمان بأن يترك الحرب ويركن إلى السلم والمصالح^(١٣٩).

لكن يبدو أن حسام لم يستجب لتلك النصائح، فصمم علي على انتزاع السلطة من يد أخيه سليمان إلى أن لقي حتفه في ذلك الصراع الدائر بينهما^(١٤٠).

كذلك تطرق الملك النبهاني إلى الصراع الدائر بينه وبين زعماء القبائل العمانية الأخرى فدخل في صراع مع قبائل، بني عمرو، والعوامر، وبني عمير وبني ربيعة، وبني كعب وآل طيء وبني مانع والشريحيين، والسوالم والنوافل، مما أدى إلى تكتل هذه القبائل في عصابة واحدة ضده.

^(١٣٩) النبهاني: ديوان النبهاني ص ٢١٣

ودع عنك تذكّار الوغى والطوائل
تؤول بباغيها إلى غير طائـل
وحثف النفوس بالقنا والمناصل

فقل لحسام راجع السلم تسلمن
فإن طريق الحرب وعر مضلة
ففي الحرب تفريق لكل بني أب

^(١٤٠) سبق ذكر الأبيات الدالة على ذلك.

ويقال: أنه في إحدى الوقائع بلغ عدد أفرادها أكثر من سبعة آلاف مقاتل^(١٤١).

والخبر الوحيد الذي أشارت إليه الكتب التاريخية العمانية^(١٤٢) عن ذلك الصراع القبلي هو خروج قبيلة بني الريس^(١٤٣) على سلطة ملوك بني نبهان في عهد الملك النبهاني كهلان بن عمر بن نبهان، ففي نهاية شهر شوال سنة ٦٧٥هـ/ أوائل شهر إبريل نيسان ١٢٧٧م، خرجت حملة كبيرة من قبيلة الرياسة تناصرها قبيلة الحدان^(١٤٤) وذلك لضغينة بينهم وبين ملوك بني

^(١٤١) النبهاني، سليمان بن سليمان: ديوان النبهاني:

سل بني عمرو وسائل عامراً وعميراً حين تحمر الحدق ص ١٧١
وربيعاً وبني كعب وسـل آل طي حين يشتد الفرق

في ألوف سبعة لوزاحمت ركن رضوى انهد منه ما شفق ص ١٧٢

جمعت موينعاً وأبا شريح ووافاك السوالم والنفلول ص ١٨٧
وجئت لتملكن بهم عماناً فأريك والعلی رأى ضلیل
ألم تعلم ولو تعلم بقيناً لما طارت بحيوتك الجفول
بأنا لما نعوها بالعوالي وعز لا يزال ولا يزول

^(١٤٢) انظر - ابن مداد عبدالله: سيرة عبدالله بن مداد، ص ٣٨.

- المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة مصورة ص ٣١.

- الأزكوي، سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٣-٧٤.

- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص ٩٦.

- ابن رزيق - حميد بن محمد: السيرة الجامعة، ج ٣، أو الصحيفة القحطانية ج ٢، مخطوطة مصورة ص ٣٣٩.

- ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، ص ٧٣.

- السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١، ص ٣٠٥.

- السياب، ساء بن ود: عمان في التاريخ، ج ٣، ص ١٠٢.

^(١٤٣) بنو الريس: قبيلة عمانية تنتمي إلى قبيلة طي موطنها فَرْح بكسر الفاء وسكون الزاء بعدها جاء مهملة، وتقع في مدينة لوى بمنطقة الباطنة من عمان، والقبيلة المذكورة عريقة السكنى بالمنطقة وهي كثيرة العدد.

انظر السيابي: سالم بن حمود: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ص ١٥٨.

^(١٤٤) قبيلة الحدان: قبيلة أزدية عمانية تنتمي إلى الحدان بن شمس، موطنها منطقة الظاهرة بالمنطقة الغربية من عمان.

انظر العوتبي، سلمة بن مسلم، ج ٢، ص ٢٤٣

نبهان، قاصدين عقر نزوى مقر ملك بني نبهان آنذاك، فلما علم الملك كهلان بن عمر بذلك خرج بمن معه من العسكر وأهل العقر ليصدهم عن دخول نزوى.

وعندما علم المهاجمون بخروج كهلان ومن معه من سكان العقر بنزوى سلكوا طريقاً أخرى ليتجنبوا الاصطدام معهم، ثم ليدخلوا نزوى وهي خالية من المدافعين عنها. فتم لهم ما أرادوا والحرب خدعة، فدخلوها دون أن يتصدى لهم أحد وعندئذ اقتحموا سوقها ونهبوا ما بها ثم أضرموا فيها النيران، التي امتدت إلى مخازن المسجد الجامع بنزوى فاحترقت وما بها ومن جملتها الكتب.

ولا نميل إلى الأخذ بما أورده بعض الكتب التاريخية العمانية من أنهم أحرقوا عمداً تلك المخازن حسبما جاء في تلك الكتب نفسها، "وأحرقوا مخازن المسجد المتصلة به، وأحرقوا الكتب"^(١٤٥). فما دامت المخازن متصلة بالسوق فهناك احتمال كبير جداً أن تمتد لهب النيران المشتعلة خاصة إذا وجدت ريحاً قوية تدفعها أو تحملها أو تحولها إلى جهة المخازن.

ثم توجه الغزاة إلى منازل الأهالي، فسلبوا الأموال، وسبوا النساء. وفي اليوم التالي عاد الملك كهلان ومن معه من أهل العقر والعسكر وتجمعوا بمنطقة السراة على مداخل مدينة نزوى، وكان عددهم سبعة آلاف مقاتل. وزحفوا على الغزاة من قبيلتي بني الريس والحدان فوقع القتال بينهم

ويقول الستالي:

والعزة والبأس في الحدان إنهم أهل البسالة من مرد من شيب
سراة شمس ملوك الأزدي من يمن خير البرية حقاً غير تكذيب

- أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي: ديون الستالي، ص ٥١

(١٤٥) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد ص ٣٨

- الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٧٣.

- المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة ص ٣١.

- ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية ج ٢ ص ٣٣٩ مخطوطة مصورة.

وبلغ عدد القتلى ثلاثمائة قتيل من الفريقين، فانهزم الغزاة، وعادوا من حيث أتوا^(١٤٦).

وقد ورد في بعض المراجع اللاحقة أن عدد الغزاة من قبيلتي بني الريس والحدان سبعة آلاف مقاتل، وهذا عدد كبير للغاية من قبيلتين فقط، ونرى أن المقصود بذلك عدد من اجتمع بالسراة مع الملك كهلان من العسكر وأهل العقر، لأنه لو كان المقصود به عدد مقاتلي الغزاة لكانت العبارة مطابقة عند الحديث عنهم حين خروجهم، ولم تأت مطابقة عند الحديث عن من اجتمع بالسراة، ثم أنها لم ترد في المصادر الأقدم^(١٤٧).

كذلك ورد في بعض تلك المراجع تصحيف لكلمة السراة حيث أبدلت بكلمة الشراة^(١٤٨) ويقصدون بها أولئك العسكر الذين خرجوا مع الملك كهلان. ولكن كما هو معلوم كلمة الشراة^(١٤٩) مصطلح إباحي يقصد به أولئك الرجال المقاتلون الملتفون حول الإمام والمدافعون عن نظام الإمامة فقط، وليس عن نظام معاد للإمامة كما هو الحال لنظام ملوك بني نبهان.

(١٤٦) انظر - الأزكوي: ن. م. م

- ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية ج ٢ ص ٣٣٩ مخطوطة مصورة.

- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص ٩٧.

- السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ص ٣٠٤.

(١٤٧) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد ص ٣٨ عاش في القرن التاسع الهجري أي كان أقرب عهداً بتلك الأحداث.

- المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر: قصص وأخبار جرت في عمان ص ٣١ مخطوطات

مصورة.

(١٤٨) أنظر المعولي أبو سليمان، محمد بن عامر بن راشد: ن. م. م

- ابن رزيق، حميد بن محمد: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧٣.

(١٤٩) الشراة: جمع. مفردا الشاري = المشتري. والبائع. ومن يبيع نفسه بطاعة الله المعجم الوسيط ص ٤٨١.

وهي اشتقاقاً من الآيات الكريمة (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) ٢٠٧ البقرة. (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية ١١١ التوبة.

والذي يدلنا على صحة ما جاء في سيرة ابن مداد "وعند اليوم الثاني غرة شهر القعدة وصل كهلان بعساكره واجتمعوا بالسراة فزحف عليهم العسكر وكانوا مقدار سبعة آلاف^(١٥٠)."

(١٥٠) ابن مداد، عبدالله: سيرة عبدالله بن مداد، ص ٣٨: صاحب السيرة، كان معاصراً للإمام عمر بن خطاب بن محمد الخروصي في أواخر القرن التاسع الهجري.

لأئمة الذين بويع لهم بالإمامة في عهد بني نبهان وعاصمتهم نزوى

التسلسل	اسم الإمام	فترة حكمه أو تاريخ وفاته
١	محمد بن خنبش بن محمد بن هشام ^(١٥١)	توفي ٥٥٧هـ / ١١٦١م
٢	مالك بن الحواري	٨٠٩ - ٨٣٢هـ / ١٤٠٦ - ١٤٢٨م
٣	أبو الحسن بن خميس بن عامر	٨٣٩ - ٨٤٦هـ / ١٤٣٦ - ١٤٤٣م
٤	عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن الصلت بن مالك	٨٨٥ و ٨٨٧ - ٨٩٤هـ / ١٤٨١ و ١٤٨٢ - ١٤٨٨م
٥	محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج القاضي	٨٩٤هـ / ١٤٨٨م
٦	عمر الشريف	٨٩٤ - ٨٩٥هـ / ١٤٨٨ - ١٤٨٩م
٧	محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج القاضي (للمرة الثانية).	٨٩٥هـ / ١٤٨٩م
٨	أحمد بن عمر بن محمد الربخي ؟	

^(١٥١) أورد كل من مايلز في كتابه الخليج بلدانه وقبائله ص ١٣٩ بأن حفص ابن الإمام محمد بن خنبش خلف أباه في الإمامة. وويلسون في كتابه: تاريخ الخليج ص ٤٥ بأن فترة الأئمة في عهد بني نبهان قد بدأت عام ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م. وهذان الرأيان لا يتفقان مع ما ذكره المؤرخون العمانيون والذي سبق مناقشته.

الضنكي "نسبة إلى مدينة ضنك"

- ٩ أبو الحسن بن عبد السلام "وأظنه ؟
عبد السلام ابن أبي الحسن بن خميس
بن عامر بن الإمام المذكور أعلاه"
- ١٠ محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرح ؟
للمرة الثالثة
- ١١ محمد بن إسماعيل بن عبدالله ٩٠٦ - ٩٤٢ هـ/
الإسماعيلي الحضاري
١٥٠٠ - ١٥٣٥

ملوك بني نبهان والإمامة الإباضية:

قبل الدخول في التفاصيل الخاصة بالأئمة في عهد بني نبهان نجد لزماً علينا تلقي بعض الأضواء على الإمامة وشروطها وأنواعها عند الإباضية: الإمامة عند الإباضية فرض واجب. أوجبها الله ورسوله.

والإمامة عندهم في الأساس لا يمكن حصرها أو توارثها في أسرة أو قبيلة بعينها فهي حق لكل مسلم تنطبق عليه شروطها، وتتم بالاختيار، والمبايعة الخاصة والعامة.

واشترطوا في الإمام المسلم أن يكون:

- ذكراً بالغاً عاقلاً ناضجاً.
 - عالماً بالأصول والفروع، وله دراية تامة في شئون الحكم والقيادة.
 - تقياً ورعاً متواضعاً دون تكلف.
 - عادلاً لا يخاف في إقامة حدود الله لومة لائم.
 - كامل الخلقة أي خالياً من جميع العيوب والعاهات الجسمانية.
- أما الأئمة فهم ثلاثة أنواع:
- الإمام الشاري:
- هو الذي يتمتع بالثقة المطلقة من قبل أتباعه، ويحظى بإجماعهم على إمامته.
- إمام الدفاع:

هو الذي يختاره أعلام الأمة وأعيانها في الظروف الصعبة الحرجة ليلم الشعث ويوحد الصفوف، ويقودهم إلى المعركة، وقد لا تتوفر فيه كل الشروط الواجب توافرها في الإمام فإذا استطاع رد العدوان ودحره نظر في إمامته إما أن يبقى أو يُطلب منه الاعتزال، وإذا رفض الاعتزال يطرد قسراً، أو يقتل.

- الإمام الضعيف:

هو الإمام الذي يكون بحاجة إلى مشورة علماء المسلمين وفقهائهم، وغالباً ما يزهدون في مبايعة مثل هذا الإمام، حيث يعودون خلال فترة عدم وجود إمام لهم إلى كبار علمائهم لحل مشاكلهم^(١٥٢).

وقد رأينا فيما سبق أن أنصار الإمامة انقسموا على أنفسهم إلى فرقين، نزوانية ورستاقية تتصارعان فيما بينهما، كل منهما تخطئ الأخرى وتتأصبا العداء في جميع المجالات، فتقوم الفرقة الرستاقية بتأليب الناس على الفرقة النزوانية، فتألف الكتب والسير والجوابات مهاجمة فيها الفرقة النزوانية وفكرها الذي سارت عليه، فتقوم الفرقة النزوانية بالرد عليها والدفاع عن نفسها نافية التهمة عن فكرتها السياسية التي انتهت، ولم تمر الأعوام حتى انقلب ذلك الصراع النظري الفكري السياسي إلى صراع عملي دموي، اتخذ فيما بعد صراعاً قليلاً، فقد جذبت كل فرقة منهما قبائل المنطقة الواقعة تحت نفوذها، وهكذا أخذت كل منها تبايع إماماً لها، وتعتبر أنه الإمام الشرعي محاولة عزل إمام الفرقة المناوئة على اعتبار أنه غير شرعي من وجهه نظرها.

وهكذا تفرقت صفوف الأمة وأهدرت طاقاتها، وأطلقت العصبية القبلية برأسها وتزعمت قبيلتا اليحمد والنباهنة ذلك الصراع، وفرضت كل منها سيطرتها على المنطقة الواقعة تحت نفوذها.

-
- (١٥٢) انظر الكدومي، أبو سعيد محمد بن سعيد: الاستقامة، ج٢ ص ١١٩-١٢٠.
- أعوش، بكير بن سعيد: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ص ١١٩-١٢٠.
 - مؤلف مجهول: تاريخ أهل عمان، تحقيق أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص ٧٥-٧٦ و ص ٨١. تعليقاً نقلاً من كتاب عمان تاريخ يتكلم تأليف محمد بن عبدالله السالمي وناجي عساف ص ١٢٧-١٢٨.
 - شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامية والحضارة الإسلامية ج٧ ص ٢٣٣.
 - فيليبس، وندل: تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبدالله ص ١٦٠-١٦٢.
 - ويلسون، أرنولد: تاريخ الخليج ن. المترجم ص ٤٤.

وبوفاة الأمام محمد بن خنبش عام ٥٥٧هـ (١١٦١م)، سادت عمان حالة من الاضطراب والفوضى، كما دخل تدوين تاريخها حالة من الغموض والظلال.

ويعتبر الأذكوي^(١٥٣) عن تلك الحالة بقوله "وأصيب أهل عمان بموته بما لم يصابوا بأحد من قبله"، فهو يصور لنا الحالة المضطربة والصراع المرير الذي قاسى منه العمانيون الأمرين، ولم تجتمع إرادة الأمة على اختيار إمام يوحد لها طيلة الفترة الممتدة من (٥٥٧ إلى ٨٠٩هـ/ ١١٦١-١٤٠٦م).

ويذكر مايلز^(١٥٤) أنه "على امتداد أربعين عاما لا يوجد ذكر لصراع أو تنافس على السلطة بين النبهانيين ورجال الدين الإباضيين، غير أننا نجد أنه في سنة ٨٠٩هـ (١٤٠٦م) انتخب الأمام مالك بن الحواري" وهو يعني بذلك ملوك بني نبهان والأئمة، وفي الحقيقة كلهم إباضيون، والفترة أكبر مما ذكر فهي مئتان واثنان وخمسون عاما. ولم يتم فيها مبايعة إمام إلى أن اجتمع الأعيان من أهل الحل والعقد على مبايعة مالك بن الحواري إماماً لهم. لذا يعتبر مالك بن الحواري من سنة (٨٠٩-٨٣٢هـ / ١٤٠٦-١٤٢٨م) أول إمام في عهد بني نبهان^(١٥٥).

وكدليل على اضطراب الأحوال، مما أثر بدوره على تدوين وتسجيل أحداث التاريخ ما أورده السالمي^(١٥٦)، الذي بدأ فترة الأئمة في عهد بني نبهان بالحواري بن مالك، حيث يقول "وفي بعض الأثر مالك بن الحواري، فلا أدري أهما إمامان بعضهما بعد بعض أو انقلبت العبارة سهوا على بعضهم، وكذلك وقع الخلاف في تأريخ موتها... ولعل الثاني منهما ولد

^(١٥٣) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٢.

^(١٥٤) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ١٤٢.

- ويلسون أرنولد: تاريخ الخليج ص ٤٥.

^(١٥٥) ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧١.

: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٤٧.

مؤلف مجهول: تاريخ أهل عمان، تحقيق أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص ٩٩.

^(١٥٦) عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج ١ ص ٣١٩.

الأول". ولم يرجح رواية عن أخرى، أما السيابي^(١٥٧) فقد أرسى قاربه على شاطئ واحد فذكر بأن المبايع هو الحواري بن مالك.

وأمام هذا التضارب في المعلومات، نرى الأخذ بالمعلومة القائلة بأن المبايع هو مالك بن الحواري، وأما الحواري بن مالك فما هو إلا قلب للاسم كما اعتقد السالمي، ويؤكد هذا ما ذكره الأزكوي^(١٥٨) وأقره عليه السالمي السيابي "ثم عقد بعد موت مالك بن حواري بسبع سنين لأبي الحسن بن خميس بن عامر" الذي بويغ له سنة ٨٣٩هـ، كما سنرى عند حديثنا عنه، وهذا التاريخ يتناسب مع مبايعة مالك الحواري كما ذكر الأزكوي وابن رزيق^(١٥٩).

هذا وقد عقد للأمام مالك بن الحواري بالإمامة بمدينة نزوى، واستولى على جبل بني ريام^(١٦٠) -المعروف حالياً بالجبل الأخضر- ويبدو أنه أخذه من يد ملوك بني نبهان وأنصارهم بني ريام، وقد سبق القول بأنهم قد استولوا عليه من قبيلة اليعمد، التي كان ينسب إليها. وعند تعليقه على خطوة الإمام هذه عللها السيابي بقوله "ولعله أراد أن يجعله عاصمة لإمامته وأنه لخليق بذلك، فإن جبل بني ريام من أعظم عواصم عمان"^(١٦١). ولكنه لم يكن يوم قط عاصمة لعمان.

والذي لا يختلف عليه اثنان هو أهمية الجبل الأخضر كموقع استراتيجي هام، كان ومازال كذلك، فهو معقل من معاقل عمان الشهيرة، بل حصن من حصونها المنيع على مر العصور له أهميته في حماية المدن الواقعة تحت سفحه كنزوى وبُهلا والرسناق^(١٦٢)، وهي المدن التي كانت كل منها عاصمة لعمان في فترة من الفترات. وصحيح أنه من الأهمية بمكان أن تكون عاصمة أية دولة في منأى عن متناول يد الأعداء، ولكن

^(١٥٧) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج٣ ص ١٠٤.

^(١٥٨) سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٧٤.

- مؤلف مجهول: تاريخ أهل عمان، تحقيق أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص ٩٩.

^(١٥٩) الأزكوي: ن. م. م. وابن رزيق: في كتابيه ذكر أئمة عمان ص ٧١ والفتح المبين ص ٢٤٧.

^(١٦٠) السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج ١ ص ٣١٩.

^(١٦١) السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٣ ص ١٠٥.

^(١٦٢) ويلسون، أرنولد، تاريخ الخليج ص ٤٤.

أيضاً أن لا يكون الوصول إلى هذه العاصمة عويصاً وشاقاً على أهل البلاد.
والحق أن الوصول إلى الجبل الأخضر كان شاقاً وعويصاً جداً.

هذا وقد أرسل الإمام مالك بن الحواري حملة بقيادة عبدالله الملقب بالهول لغزو مدينة الرستاق لإخضاعها. ويبدو أن هذا الإجراء كان حلقة في الصراع الدائر منذ أمد بعيد بين الفرقتين النزوانية والرستاقية. فقام القائد المذكور بحرق سور قلعة الرستاق، وذلك للضغط على المتحصنين بها للتسليم، وترك حالة التمرد والعصيان.

إمامة أبي الحسن بن خميس^(١٦٣):

يعتبر الإمام أبو الحسن بن خميس بن عامر، ثالث الأئمة في عهد بني نبهان بعد محمد بن خنبش، الذي توفي في سنة ٥٥٧هـ، ثم الإمام مالك بن الحواري. لكن زامباور ومن أخذ عنه اعتبروه أول الأئمة في عهد بني نبهان، لقد تجنب هؤلاء الخوض فيما غمض عليهم واكتفوا بما وضح لديهم^(١٦٤) مع أن الأزكوي وابن رزيق قد ذكرا الإمامين محمد بن خنبش ومالك بن الحواري. على كل فقد بويع لأبي الحسن بالإمامة في شهر رمضان المبارك عام ٨٣٩هـ (أبريل ٤٣٥م) وانفرد السالمي بذكر خروج بني صلت عليه ومحاربتهم إياه بمآزرة بني ربيع لهم، فأمر الإمام بقطع أشجار النخيل الخاصة لبني ربيع عقاباً لهم على مؤازرتهم تلك وقد توفي يوم السبت ٢١ من شهر ذي العقدة سنة ٨٤٦هـ (٢٣ من شهر آذار مارس سنة ٤٤٣م)، فكانت بذلك مدة إمامته سبعة أعوام وشهرين^(١٦٥).

ويجيب السيابي عن تساؤله الذي طرحه عن الفترة الواقعة بين الإمام مالك بن الحواري والإمام أبي الحسن بن خميس بن عامر فيقول: قال ابن

^(١٦٣) ذكره ابن زريق في كتابه الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧٤ باسم أبي الحسن راشد بن خميس بن عامر الأزدي، بينما ذكره في كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين باسم أبي الحسن عبدالله بن خميس بن عامر الأزدي فأخذ المستشرقون عنه ومن أخذ عنهم هذا الاسم.
^(١٦٤) زامبارو: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ج ١ ص ١٩٤.

- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام ص ٢٠٩.

- هولي، دونا لد: عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٧.

^(١٦٥) السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج ١ ص ٣٢٠.

زريق: عقد لأبي الحسن بعد أحمد بن محمد الربخي. قلت: لعله كانت إمامته في تلك المدة التي لاحظناها بين مالك بن الحواري وأبي الحسن وهي ست سنين^(١٦٦) انتهى كلامه.

والواقع أن الفترة الواقعة بين الإمام مالك بن الحواري والإمام أحمد بن محمد الربخي هي سبع سنين وليست، كما ذكر السيابي، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك من قبل أما الإمام أبو الحسن، الذي ورد ذكره في النص السابق فهو إمام آخر غير أبي الحسن بن خميس بن عامر، الذي نحن بصدد الحديث عنه، وسيأتي إن شاء الله الحديث عن الإمام الآخر في حينه، فيما بعد.

ويذكر السالمي أنه عند غروب شمس يوم الخميس الخامس من شهر محرم الحرام عام ٨٧٥ هـ (٣١ يونيو ١٤٧٠م)، نصب الفقيه محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج للحكم بين الناس كقاضي وليس كإمام^(١٦٧).

إمامة عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي^(١٦٨).

لما اشتد تعسف وبطش ملوك بني نبهان علي البلاد وأهلها اجتمع أهل الحل والعقد من العلماء وأعيان البلاد، فانتخبوا عمر بن الخطاب الخروصي فبايعوه بالإمامة عام ٨٨٥ هـ (١٤٨٠م). ولكنه بقي في إمامته عاماً واحداً كما ذكر ابن رزيق^(١٦٩) ثم ثار عليه الملك النبهاني سليمان بن سليمان بن المظفر وأنصاره ف وقعت بين الطرفين معركة عنيفة بقرية حممت^(١٧٠) بوادي بني رواحه، وهم القوام بأمره^(١٧١).

^(١٦٦) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج٣، ص ١٠٦.

^(١٦٧) عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج١، ص ٣٢٠.

^(١٦٨) من ذرية الإمام الصلت بن مالك الخروصي اليمودي، الذي عزله القاضي موسى بن موسى بن نجاد سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٧م)، وبسبب هذا العزل حدث انقسام وصراع مرير في المجتمع العماني لم ينته ألا على يد الإمام العادل ناصر بن مرشد اليعربي فوحد البلاد وأسس دولة اليعاربة عام ١٠٣٤ هـ (١٦٢٤م).

^(١٦٩) حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسيعديين ص ٢٥٨.

- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧٩.

^(١٧٠) حممت: قرية تعرف حالياً باسم الجناة، وتقع بوادي بني رواحه.

^(١٧١) السيابي: سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج٣ ص ١٠٧.

وينفرد السيابي بذكر أنصار الملك النبهاني وكان أكثر أنصار السلطان في هذه البادرة هم بنو رواجه.

وكان أن حلت الهزيمة بالإمام وجيشه، وبذلك انتهت إمامته. ثم جددت له البيعة بالإمامة مرة ثانية لكن لم يرد ذكر لتأريخ تلك البيعة. فكانت له وقائع وحروب مع الملك النبهاني المذكور وأنصاره وتم له النصر والغلبة عليهم^(١٧٢).

وينفرد ابن رزيق^(١٧٣) فيذكر أن مبايعة الإمام عمر بن الخطاب الأولى كانت في سنة ٨٣٥هـ، بينما ذكر زامبور^(١٧٤) أن تاريخ مبايعته كانت عام ٨٥٥هـ. دون أن يوضحا هل كانت هذه المبايعة الأولى أم الثانية.

ويخالف هذا ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون الذين رجعنا إليهم، وكذلك مع ما ذكره ابن رزيق نفسه عن مبايعة الإمام أبي الحسن بن خميس، حيث اتفق مع ما ذكره غيره من المؤرخين بأنها كانت في سنة ٨٣٩هـ، وأن وفاته كانت في سنة ٨٤٦هـ. وبذلك تكون المبايعة الأولى للإمام عمر بن الخطاب في عام ٨٨٥هـ كما ذكرنا من قبل واحتمال أن تكون مبايعته الثانية في عام ٨٨٧هـ (١٤٨٢م) كما سيتضح لنا فيما بعد.

وقد شبه ابن رزيق الإمام العماني عمر بن الخطاب الخروصي بالخليفة الراشد الثاني الخطاب ع، فيالعدل والإنصاف مع الحزم والشدّة، في نصرة الحق والضرب على يد الظلمة والمفسدين^(١٧٥).

(١٧٢) الأزكوي: سرحان بن سيعد: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٤.

السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج ١ ص ٣٢١.

(١٧٣) الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧٩.

الفتح المبين في سيرة السادة اليوسعيديين ص ٢٥٧.

(١٧٤) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ج ١ ص ١٩٤.

(١٧٥) في كتابه الشعاع الشائع ن. م. ص ٧٧.

وقالت أنت يا عمر نظير	إلى عمر فعد لكما ترابا
وهيبته أنتك بغير داع	لقلبك بأسها انقلب انقلابا
فأنت إمام عدل تدري مما	بنو نبهان حازوه اغتصابا
هم ظلموا العباد فرد مما	هم ظلموا وفيه غدوا صحابا
فقسمه فتى الخطاب عدلا	على الفقراء قريبا واغترابا

وبعد مبايعته بالإمامة للمرة الثانية وتغلبه على تمرد السلطان سليمان بن سليمان وأنصاره في السابع من شهر جمادى الثانية عام ٨٨٧هـ (٢٣ من شهر يوليو تموز سنة ١٤٨٢م). أمر الإمام عمر بن الخطاب، بتكوين لجنة من كبار العلماء للنظر في الأملاك التي اغتصبها ملوك بني نبهان عن طريق الظلم والتسلط على الأهالي وأوكل برئاستها إلى العالم الكبير، محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج . وعندما نظر المجتمعون في الأمر الموكل إليهم رأوا أن الدماء التي سفكها ملوك بني نبهان والأملاك التي اغتصبوها تفوق بكثير قيمة ممتلكاتهم، ولذلك شكل مجلساً قضائياً من كبار الفقهاء للبت في الموضوع. وحكم ذلك المجلس بمصادرة جميع ممتلكات ملوك بني نبهان ابتداء من المظفر بن سليمان بن المظفر وانتهاء لممتلكات سليمان بن سليمان بن المظفر حسام بن سليمان بن المظفر برمتها المنقولة منها وغير المنقولة، بحيث تشمل المنقولة النقود وما شاكلها. وتشمل غير المنقولة العقارات من أراض ومنازل ومزارع، والأسلحة بأنواعها وجميع ما يقتنونه في منازلهم من أثاث وأنية ومحاصيل زراعية من تمر وسكر وغيره. وبعد أن أقر الإمام ذلك الحكم أصبحت ممتلكات ملوك بني نبهان بيت مال المسلمين، بعد أن اخذ كل ذي حق حقه^(١٧٦).

ويثني السالمي على صنيع الإمام عمر بن الخطاب الخروصي مشبهاً إياه بالخليفة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب^(١٧٧).

-
- (١٧٦) انظر - الشقصي، خميس بن سعيد: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ج٥ ٣٤٩-٣٥٠.
 - الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص٧٤-٧٥.
 - ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص٧٨ وكتابه الفتح في سيرة السادة البوسعيديين ص٢٥٧-٢٥٨.
 - السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج١ ص٣٢١-٣٢٢.
 - السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج٣ ص١٠٨-١١٢.
 (١٧٧) عبدالله بن حميد: جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ج٢ ص٣٥٣.

وصارت هذه الأملاك فيما بعد من ممتلكات الدولة تنتقل تلقائياً من إمام إلى آخر^(١٧٨) كما صار هذا الحكم قاعدة شرعية يطبقها الأئمة الإباضية في عمان على كل من يتمرد على نظام الإمامة، وينشر المفاصد، ويتعدى على حقوق المواطنين بالظلم والعدوان والتسلط والجبروت وأطلقوا على هؤلاء المتسلطين لقب الجبابرة وعلى مصادرة أملاكهم مصطلح التغريق؛ أي أخذ أملاكهم للمصلحة العامة^(١٧٩).

وعند حديثه عن الموضوع قال السيادي "فكل الأموال التي كانت لبيت المال بعمان من سمائل، وإزكي، ونزوى، وبُهلاء، ووادي القريات، ووادي السحتن والرسناق وأوديتها والعوابي، ونخل، كل هذه الأموال هي أموال المذكورين". ويعني بهم ملوك بني نبهان حيث وافق العلماء "على ذلك التغريق... وأوجب العمل به... ورأى الأمام -أن- تلك الأموال في عز دولة المسلمين، أعم منفعة وأعلى شأنًا، وأولي مخرجاً فعز الدولة يشترك فيه العامة من المسلمين فصارت تلك الأموال بيت مال المسلمين منذ ذلك العهد"^(١٨٠).

وفاة الإمام عمر بن الخطاب الخروصي:

لم يدون تاريخ وفاته رحمه الله، وإنما ذكر تاريخ مبايعة الإمام محمد بن سليمان الذي جاء بعده وهو عام ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م^(١٨١) أما ابن ماجد^(١٨٢)

وفي بني اليمد من أسد الشري	أمام صدق كان يدعي عمرا
كذا أبوه يدعي بالخطاب	مساميا لعمر الصحابي
وقد قضى علي بني نبهاننا	جبابرا كانوا علي عمانا
قضي بأن مالملمن ظلم	من العمانيين لكن ما علم
فجعلوا ذلك بيت مال	لجهلم بمالك الأموال
وكان ذا يعرف بالتغريق	ما أشبه الفاروق بالفاروق
شابهه في الاسم والتصلب	على أولي الظلم فلا تستعجب

^(١٧٨) الشقصي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ج٥ ص ٣٥٢.

^(١٧٩) السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج١ ص ٣٢٤ و ٣٢٨-٣٢٩.

- جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ص ٥١٣.

^(١٨٠) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج٣ ص ١١٢ و ١١٤.

^(١٨١) الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٥.

- ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، ص ٧٩.

الذي يعتبر معاصراً لهذه الفترة، وأن كانت معلوماته فيما نرى مرتبكة بعض الشيء فعند حديثه عن طموحات ملك هرمز والتي سماها (جرون)، وتوسعه وحروبه مع جيرانه يقول: وقد أخذ ولده سيف بن زامل عمان (من)^(١٨٣) نبهان بن شهاب بالسيف على سليمان بن سليمان بن نبهان في عام ثلاث وتسعين وثمانمائة وولى عليها إماماً عن الإباضية يدفع له محاصيلها وقد نصره أهلها وقاموا بنصره فهدم حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الإباضي". وعند تحليلنا لهذا النص التاريخي لابد لنا من توضيح بعض النقاط الواردة فيه:

والذي يفهم^(١٨٤) من كلام ابن ماجد، أن المذكور إن كان سيف بن زامل أو نبهان ابن شهاب، قد استولى على عمان "بالسيف" أي بالقوة من سليمان بن سليمان، وولى عليها إماماً إباضياً يدفع له "محاصيلها" أي زكاتها، وقد قام العمانيون بنصرة هذا الإمام الذي أمر عليهم عمر بن الخطاب. ويبدو لنا أن الأمر قد اختلط على ابن ماجد، فالإمام الذي ذكره هو نفسه الإمام عمر بن الخطاب، وربما أراد بذلك الإمام العالم الجليل محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج الذي نصب أو عقد الإمامة على عمر بن الخطاب للمرة الثانية كما سبق ذكره ونرى أن الأمور بعكس ما ذكره ابن ماجد، حيث أنه لم يحدث قط أن استعان إمام منتخب ومبايع بالإمامة بإجماع الأمة بقوى خارجية للقضاء على قوة عمانية محلية تمردت على نظام الإمامة وإنما الذي كان يحدث دائماً هو العكس بمعنى أن تستعين تلك القوى المحلية المتمردة على نظام الإمامة بالقوى الخارجية أياً كان مصدرها. وذلك لتثبيت وجودها في السلطة، وللقضاء على الإمام الذي تمت مبايعته لأنه يشكل خطراً على سلطتها، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الإمام الإباضي المنتخب لا يعترف بسلطة شرعية أخرى وحسب مبادئ المذهب

- السالمي: التحفة، ج١، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

- السيابي: ن. م، ج٣ ص ١١٦.

(١٨٢) أحمد بن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد (مخطوطة مصورة منشورة) ص ٧٠-

ب.
(١٨٣) حرف الجر "من" إضافة من عندي ليستقيم المعنى.

(١٨٤) أسلوب ابن ماجد ركيك لأنه كتب باللهجة العامية وليس باللغة العربية الفصحى.

الإباضي يعتبر الإمام المبايع بإجماع الأمة هو السلطة الشرعية في البلاد وماعداه فهو غير شرعي ولا يحق له أن يجبي الزكاة من البلاد.

وفي ضوء الاعتبارات نستطيع أن نقرر أن سليمان بن سليمان هو الذي استعان بملك هرمز ضد الإمام عمر بن الخطاب، وقدم إلى عمان في العام الذي ذكره ابن ماجد وهو عام ٨٩٣ هـ (١٤٨٧ م)^(١٨٥)، ويحتمل أن يكون الإمام عمر بن الخطاب قد استشهد في ذلك العام في معركة بينه وبين سليمان بن سليمان، وربما تجاهلت المصادر العمانية ذلك الخبر، لأن القرائن التاريخية تدل على عودة سليمان بن سليمان عندئذ، مثلما سيتضح لنا فيما بعد عند حديثنا عن علاقة ملوك بني نبهان بمملكة هرمز.

الإمام محمد بن سليمان:

هو محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج، القاضي البهلوي، قطب علماء عمان في حينه نصب للحكم والقضاء قبل مبايعة الإمام عمر بن الخطاب، ولذلك عُرف بالقاضي ثم أنه هو الذي عقد للإمام عمر بن الخطاب بالإمامة للمرة الثانية. وأوكل إليه الإمام عمر بتشكيل مجلس قضائي للحكم في ممتلكات ملوك بني نبهان كما سبق ذكره. بويع له بالإمامة بعد وفاة الإمام عمر بن الخطاب عام ٨٩٤ هـ (١٤٨٨ م). ولم يبق مدة طويلة في إمامته ربما بأنه عزل، أو اعتزل بنفسه، حيث لم يستطع القضاء على القلاقل التي أثارها سليمان بن سليمان بعد عودته من مملكة هرمز، وذلك للعداء والخصومة التي بينه وبين هذا الإمام لأن هذا الإمام هو نفسه الذي شكل مجلس القضاء للحكم في ممتلكات ملوك بني نبهان وليس أباه كما ذكر السيابي.

الإمام عمر الشريف:

لم تذكر المصادر بقية اسمه ولا نسبه، بويع له بالإمامة بعد اعتزال الإمام محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج، لم يذكر تاريخ مبايعته. وبقي

^(١٨٥) انظر - ابن ماجد، أحمد بن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد (مخطوطة مصورة منشورة ص ٧٠ ب).

- ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧٩.

عاماً واحداً في إمامته. ثم خرج من مقر الإمامة بنزوى إلى بُهلى، وبذلك سقطت إمامته^(١٨٦).

بويغ سلفه السابق ذكره محمد بن سليمان بالإمامة للمرة الثانية، لكنه أيضاً لم يبق مدة طويلة في إمامته واعتزل، فبويغ بعده أحمد بن عمر بن محمد الربخي، وسار في حكمه سيرة محمودة، ووصف عهده بالعدل والنزاهة وتوفي في إمامته ودفن بنزوى.

الإمام أبو الحسن بن عبد السلام:

بعد وفاة الإمام الربخي، بويغ أبو الحسن بن عبد السلام، بالإمامة في نزوى وبقي في منصب الإمامة عاماً واحداً أو دون ذلك بقليل، فتمرد عليه سليمان بن سليمان وقضى على إمامته، أو توفي حسبما ذكر ابن رزيق.

وينفرد الأزكوي فيذكر أنه بويغ بعده محمد بن سليمان المشهور بالقاضي للمرة الثالثة ويقول السالمي "وبقي سليمان بن سليمان أياماً ملكاً بالقهر والجبرية متغلباً على من تحته بالسلطة والقهر"، حتى بويغ الإمام محمد بن إسماعيل. ويدل ذلك على عدم استقرار الأوضاع وكثرة القلاقل والحروب في ذلك الدور وذلك لعدم ثبوت الأئمة في منصب الإمامة لمدة طويلة، نتيجة للتنافس على السلطة بين نظام الإمامة وسلطة بني نبهان، المتمثلة في ثورات وخروج سليمان بن سليمان الذي كان يستعين بملك هرمرز لانتزاع الحكم من الأئمة.

الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي الحاضري:

يتحدث المؤرخون العمانيون عن تسلط سليمان بن سليمان النبھاني وجبروته، وعن مجونه وإمعانه في الفساد، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير والتي أدت إلى القضاء على سلطته هي هجومه على امرأة كانت

(١٨٦) أنظر - الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٥.

- ابن رزيق. ن. م ص ٧٩، ٨١-٨٣.

- السالمي، تحفة الأعيان ج ١ ص ٣٢٦.

- السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ١١٦.

تستحم في فلج الغنتق بنزوى، فهلعت المرأة عندما رآته يقتحم عليها المكان^(١٨٧). وفرت هاربة منه، دون أن تتمكن من ارتداء ملابسها خوفاً من أن يمسك بها. لكنه لحق بها وهم بالإمساك بها. وبينما هما قرب حارة الوادي رآهما محمد بن إسماعيل على هذه الحالة، فأسرع ورمى عمامته على المرأة، وأخذ بخناق سليمان بن سليمان وصرعه أرضاً. وظل ممسكاً به حتى بعدت المرأة، ودخلت عقر نزوى، وعندها أخلى سبيله، ولما انتشر خبر ما صنعه محمد بن إسماعيل في أنحاء البلاد، رأى أهل الحل والعقد من العلماء وكبار الأعيان في شخصه الرجل الكفاء لتحمل مسؤولية إقامة الحق والقضاء على الظلم والفساد السائد في البلاد، ولذلك انتخبوه إماماً وتمت مبايعته بالإمامة سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م).

هذا ما أجمع عليه أغلب المؤرخين العمانيين^(١٨٨)، لكن ابن رزيق يذكر في كتابيه الفتح المبين والشعاع الشائع بأن محمد بن إسماعيل قد استل خنجره وذبح بها سليمان بن سليمان، ومع هذا يورد رواية "وقيل: هو ما قتله، بل صرعه إلى الأرض وداس صدره وبطنه فبقي عليلاً إلى أن مات".

لكنه يعود فيؤكد أنه قتله فيقول "والخبر الأول أصح"^(١٨٩). وبمناقشة هذه الرواية التي أجمعت كتب التاريخ العماني عليها. نستطيع أن نقرر أن سليمان بن سليمان كان مخموراً عندما أقدم على فعلته، وكان معروفاً عنه الإدمان على الشراب مما أفقده عقله ودفعه إلى المجون.

^(١٨٧) الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٧٥ و ٧٦.

- ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٨١-٨٣.
- ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٥٨ - ٢٥٩.
- السالمي، عبدالله بن حميد التحفة ج ١ ص ٣٢٧.

- السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ١١٦ - ١١٩.

^(١٨٨) الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٧٦.

السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ص ٣٢٨.

السيابي: عمان عبر التاريخ ج ٣ - ص ١٢٠.

^(١٨٩) حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٥٩.

حميد بن محمد: الشعاع الشائع في ذكر أئمة عمان ص ٨٤ - ٨٧.

وقد ورد في ديوانه كثير من الشعر في الغزل المتطرف الفاضح فضلاً عن وصفه للخمر^(١٩٠). أما ما أكده ابن رزيق حول قتل محمد بن إسماعيل لسليمان بن سليمان فهذا مالا نأخذ به لسببين هامين:

أولهما: أن محمد بن إسماعيل حين أمسك سليمان بن سليمان، لم يرد قتله أصلاً وإنما أراد إنقاذ المرأة من شره، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن محمد بن إسماعيل حين ذاك لم يكن إماماً، وإنما رجل عادى أخذته الغيرة. والرجل العادي لا يحق له أن يقيم الحدود الشرعية من تلقاء نفسه، وإنما مرد هذا إلى الحاكم.

ثانيهما: أن مسيرة الأحداث تدل على أن سليمان بن سليمان، قد عاش فترة زمنية أخرى بعد هذا الحادث قدرها ستة أعوام إذ أنه توفي عام ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م)^(١٩١).

وقد عاني تلك الفترة آلام الجراح التي أصيب بها نتيجة لهذه الحادثة. هذا بالإضافة إلى ما سببته له من مأس وكآبه وحزن شديد. ويدلنا على ذلك قصيدته المؤثرة التي عبر فيها عن توبته إلى الله من جميع ما ارتكبه^(١٩٢).

(١٩٠) أنظر - النبهاني، سليمان بن سليمان بن المظفر: ديوان النبهاني.

(١٩١) ن. م. مقدمة الكتاب.

(١٩٢) انظر ديوان النبهاني، القصيدة التي توضح توبته ورجوعه إلى الله.

ماذا تجيب عن سؤال الخالق إذا بدت فضائح الخلائق ص ٣٤٠
واحوت النار على المشاقق والكافر الكائد والمنافق

فصرت كالأولى بها صلياً

إن قال يا عبدي عصيت أمري وما انزجرت طائعاً لزجري
ولا اتقيت سطوتي وقهري لو كنت آمنت بيوم الحشر

لم تجن هذا المنكر الفرياً هلا قرأت واعياً تهديدي
هلا سمعت قبلها وعيدي هلا قرأت العقاب البائس الشديد
وما توعدت به عبدي من العقاب البائس الشديد

حتى ركبت المفضع الشنيا

لهفي على ما فات من شبابي في الغي واللذة والتصابي ص ٣٤٢
ويلاه مما خط في كتابي إن لم أتب في ساعة المتاب

ولم أكن مع خالقي مرضياً

يا رب بالبيت العتيق الأعظم والمروتين والصفاء وزمزم
وبالنبى الهاشمي المكرم كن لابن نبهان المليك المجرم

علاقة بني نبهان بالقوى الخارجية:

اتسمت علاقة بني نبهان بالقوى الخارجية بطابعين متباينين، أحدهما سلبي والآخر إيجابي.

أما عن الجانب السلبي فيتصف بالغزو الخارجي لعمان ذلك أن كثرة التمزق والخلاف بين العمانيين أدت إلى استهانة أعدائهم بهم فشنوا عليهم عدة غزوات كان مصدر غالبيتها بلاد فارس فقد ذكر الستالي أن هجوماً قام به الفرس على عمان في عهد الملك النبهاني معمر بن عمر بن نبهان فقضى العمانيون على ذلك الهجوم^(١٩٣).

وفي عام ٦٦٠ هـ (١٢٦١م)، وفي عهد الملك النبهاني أبي المعالي كهلان بن نبهان قام محمود بن أحمد الكوشي ملك هرمز^(١٩٤) بهجوم على عمان فاستولى على ميناء قلعات، واستدعي أبا المعالي كهلان وطلب منه استيفاء الخراج من العمانيين وتسليمه إياه، فاعتذر أبو المعالي عن ذلك متعللاً بأن عمان ليست كلها طوع يده فأشار عليه بأن يأخذ قوة من جيشه يجبر بها من لا يدفع الخراج، وعندما رأى أبو المعالي كهلان إصراره على ذلك أخذ يستلطفه راجياً منه العفو عن أهل عمان، وذلك لعدم استطاعتهم دفع المبلغ الذي طلبه، فغضب عليه الملك الهرمزي، فكلف أمراء البدو

براً	رؤوفاً	راحماً	حفيماً	وامح	والذي	أحدثه	وأجرما	واغفر	لما	أخره	وقدما
وكن	بما	يرجوه	منك	منعما	فإنه	مؤمل	أن	يرحمما	وكن	بما	يرجوه
إن	كنت	عن	عذابه	غنيا	وكن	بما	يرجوه	منك	منعما	فإنه	مؤمل

(١٩٣) ديوان الستالي ص ٢١٤ - ٢١٥

ببمنك رد الله عن أهل دينه	مناوئهم إذ حاول الظلم جائر
أعاجم جاءت في لفيف من العدى	جموعهم في شدة والعساكر
أرادوا اضطهاد الحق بغيا وحاولوا	أزالته والحق مذ كان ظافر
وردوا علي أدبارهم فتبددوا	عباد يد طرا جمعهم متطائر

(١٩٤) مملكة هرمز: أسسها محمد الدغستاني على ساحل كرمان ثم صارت للغز حكام كرمان وملكها محمود المذكور وهو الثاني عشر في سلسلة ملوكها بدأ حكمه سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣م) وأما هرمز الحالية فهي جزيرة على مدخل الخليج قرب الساحل الإيراني ونسب الأوربيون المضيق إليها وكان الأجدر أن يسمى بمضيق مسندم.

العمانيين الذين وفدوا إلى معسكره ملبيين دعوته، فأغدق عليهم هداياه من كساء وأموال، فطلب منهم نصرته، وتنفيذ ما طلب فوعده على ذلك^(١٩٥).

وعند مناقشته لهذه الرواية، صب السيابي جم غضبه على الملك النبهاني فعبر عنه بظلم الحاكم "وانظر هنا طلب محمود لبدو عمان، وإجابته له على ما طلب، لولا ظلم الحاكم لما لبوه، وانظر إليه هو لم يقدر على منعهم من إجابة عدوه، ومن قبولهم عطاياه وهو يرى ويسمع"^(١٩٦).

فالنقد واللوم هنا يجب أن يوجه إلى أمراء البدو لموقفهم الخياني الذي أبدوه لنصرة الغريب الغازي على بني وطنهم مقابل حفنة من دراهم استلموها منه يثبت صحة رأينا السابق بعدم تحميل ملوك بني نبهان كل المآسي التي حلت بعمان في عهدهم، فالمسئولية مشتركة بين الحاكم والمحكوم، هذا ولم تذكر المصادر العمانية ما هو السبب المباشر لرحيله المفاجئ عن عمان.

لكن مايلز يجيبنا على استفسارنا هذا "ولما كان ركن الدين^(١٩٧) غير قادر على ما يبدو أن يقوم بمحاولة للاستيلاء على داخلية عمان توجه عن طريق البحر إلى ظفار"^(١٩٨).

وهكذا ظهر أن الأمر لم يكن بتلك السهولة التي تصورها الملك الهرمزي لأن نفوذ أمراء البدو كان لا يتعدى قبائلهم.

وعند وصول الملك الهرمزي إلى ظفار، تصدى له أهلها، فاستشهد عدد كبير منهم وتمركز جيش الملك الهرمزي في المناطق الساحلية من ظفار فقاموا بنهب الأسواق ومنازل الأهالي وسلب ما في أيديهم، وسبي

^(١٩٥) انظر - ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد ص ٦٦.

- الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٣.

- المعولي، محمد بن عامر: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة ص ٣١.

- وابن رزيق: الصحيفة القحطانية ج ٢ ص ٣٣٨.

- ومايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ١٤٠.

^(١٩٦) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ٩٩-١٠٠.

^(١٩٧) يلقب محمود بن أحمد الكوشي ملك هرمز بركن الدين.

^(١٩٨) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ١٤٠.

رقيقهم، وبلغ عدد السبي اثني عشر ألفاً. وحملت تلك الأمتعة والأموال المسلوبة والرقيق على السفن، وأمر ثلث جيشه بمرافقتهم علي أن يسبقوهم إلى قلهاة لكي يجتمع جيشه هناك. أما هو ومن بقي معه من جيشه فتوغلوا إلى الداخل قاصدين عمان عن طريق البر^(١٩٩).

وهناك رواية وردت في المصادر العمانية^(٢٠٠) بهذا الخصوص مفادها أنه لما "صار في طريق البر نقص عليه الزاد وأصابهم جوع حتى بلغ معهم من^(٢٠١) اللحم بدينار وأصابهم عطش كثير لقلة الماء في تلك الطريق وقيل أنه مات من عسكره خمسة آلاف رجل وقيل أكثر" ولكن هذه المعلومة لا تشفي غليل الباحث لأنها مبهمة ولا تفسر الأسباب التي أدت بهؤلاء القوم إلى هذه الحالة.

فليس من المعقول أن يقوم قائد كبير ملك مملكة لها ثقلها في المنطقة بمغامرة كهذه دون أن يعمل حساباً طول الطريق أو لما تتطلبه الرحلة من استعدادات. ويبدو لنا أن ما ذكره ابن رزيق أقرب إلى الواقع، وهو أنه لما وصل الملك الهرمزي إلى منطقة قبيلة القرى -بادية يسكنون بجبل شاهق في ظفار- استعان بعشرة رجال منهم، ليدلوه على الطرق إلى عمان، فرحبوا بذلك.

"فلما توسطوا بهم البر هربوا عنهم ليلاً فاصبحوا حائرين يترددون في رمال عالية وفيافي خالية". فتأهوا في تلك الصحاري الواسعة، فرادى وجماعات دون أن يهتدوا إلى طريقهم، واستمروا على تلك الحال، حتى نفذ منهم الماء والطعام، ولم يجدوا لدوابهم طعاماً فنفتت من العطش والجوع، فهلك الملك الهرمزي والغالبية العظمى من جيشه^(٢٠٢). ومن لم يهلك عطشا

^(١٩٩) أبين مداد: سيره عبدالله بن مداد ص ٦٦.

ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧٢.

^(٢٠٠) الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٣.

والمعولي: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة ص ٣١.

^(٢٠١) المَن: بفتح الميم مع تشديد النون. وحدة وزن يساوي ٤ كجم انظر الغساني: حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٢٦٠.

^(٢٠٢) ابن رزيق: السيرة القحطانية، ج ٢ ص ٣٣٨.

وجوعاً، أجهز عليه سكان البادية^(٢٠٣) ولم ينج منهم سوى نفر قليل. واصلوا سيرهم برا حتى وصلوا "جلفار" رأس الخيمة حالياً ومنها عبروا إلى جزيرة هرمز. ولا نأخذ بما قاله ابن رزيق على أنه لم يبق منهم سوى رجل واحد فهذا قول مبالغ فيه.

أما أولئك الذين رجعوا من ظفار عن طريق البحر فأرسوا سفنهم في قلعات^(٢٠٤) وجعلوا عليها من يحرسها وقصد غالبيتهم إلى طيوي فصدّهم عنها بنو جابر ومن معهم من القبائل العمانية فقتلوا جميعاً. ودفنوا هناك في مدافن جماعية تعرف اليوم بقبور الترك. وقد أشار ابن رزيق في كتابه الفتح المبين على أن رجالاً من قبيلة بني جابر العمانية ومن تبعهم هجموا على الذين أوكل إليهم حراسة السفن بميناء قلعات فقتلوا عليهم جميعاً وأخذوا ما وجدوه بسفنهم ثم أضرموا فيها النار^(٢٠٥).

غزوة حكام شیراز:

في عام ٦٧٤هـ (١٢٧٦م)، و خلال حكم الملك النبهاني عمر بن نبهان قام كل من فخر الدين أحمد بن الداية وأخوه شهاب الدين، نجلا حاكم شیراز، ببلاد فارس بغزو عمان على رأس حملة عسكرية، قوامها أربعة آلاف وخمسمائة فارس.

نزلوا بمدينة صحار وكان أن التقى بهم الملك عمر بن نبهان بجيشه في حي عاصم بمنطقة الباطنة، فانهزم الملك النبهاني ومن معه حيث استشهد ثلاثمائة رجل من جيشه، فزحف الغزاة إلى العاصمة نزوى، ولم تقلح مقاومة أهلها عنها فاستولى عليها الغزاة في ١٥ من شهر ذي القعدة (الثاني من شهر مايو أيار) من نفس العام.

^(٢٠٣) باوزير، سعيد عوض: معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٦٨.

^(٢٠٤) قلعات: ذكر ابن الأثير أن قلعات كانت تحت سلطة لكة هرمز منذ القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر

ميلادي) الكامل التاريخ ج- ١٢ ص ٣٠٣-٣٠٤.

^(٢٠٥) ابن رزيق: ن. م، ج ٢، ص ٣٣٩ مخطوطة مصورة.

ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧٢-٧٣.

ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٤٨.

فقاموا بنهب منازلها وسوقها. ولم يكتفوا بهذا بل قاموا بتدمير سوقها، وحرق الكتب التي عثروا عليها، وأخرجوا أهل عقر نزوى من منازلهم وحلوا محلهم فيها.

ثم توجهوا بعد ذلك إلى مدينة بُهلى^(٢٠٦)، العاصمة الثانية لملوك بني نبهان، وحاصروها مدة طويلة، لكنهم لم يفلحوا في فتحها. وخلال فترة الحصار هذا أصاب سهم علي قائد الغزاة فخر الدين أحمد بن الداية فخر صريعاً فكان مصرعه هذا سبباً في مد عزيمة جيشه وبالتالي إلى هزيمتهم فعجل هذا الوضع إلى خروجهم من عمان^(٢٠٧).

بعد أن مكثوا بها أربعة أشهر عاثوا خلالها فساداً، قتلًا، ونهبًا، وسلبًا، عانى الأهالي خلال فترة احتلالهم للبلاد الكثير فبالإضافة إلى المفسد والمظالم، غلت الأسعار غلاء فاحشاً لم يتحملة عامة الناس، وقد أجمعت المصادر التاريخية على أن عام ٦٧٤هـ، وهو التاريخ الذي حدث فيه هذا الغزو على عمان ماعدا ابن رزيق في كتابيه الشعاع الشائع والفتح المبين إذ ذكر أنه كان في عام ٦٦٤هـ^(٢٠٨). وكما يتضح مما سبق، يبدو أن ابن رزيق لا يكثرث بالدقة في تدوين التواريخ عند ذكره للوقائع والأحداث. وعن حالة الضعف والتقهر التي وصل إليها المجتمع العماني أن يهزموا بهذه الصورة المشينة في عقر دارهم، وقد عبر السيابي عن استيائه لهذا الوضع "فانظر إلى خمسة آلاف رجل يتغلغلون إلى داخلية عمان، ويقتلون وينهبون ويخرجون الناس من بيوتهم، ويحتلوننا ويقيمون فيها أربعة أشهر بين

^(٢٠٦) مدينة بُهلى: أكثر مدن عمان تحصيناً، محاطة بسور عال من جميع الجهات بما في ذلك حاراتها ومزارعها. وبها حصنها الشهير وقد أقرتها اليونسكو مؤخراً من ضمن التراث العالمي.

^(٢٠٧) انظر - ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد ص ٦٧.

- الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٢-٧٣.

- المعولي: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوط ص ٣١.

- ابن رزيق: الصحيفة القحطانية ج ٢ ص ٣٣٨.

- السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج ١ ص ٣٠٤-٣٠٥.

- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ١٤١.

^(٢٠٨) الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص ٧١ والفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ص ٢٤٧.

ظهري أهله... وهكذا شأن الغازي إذا تسلط في أمة، ولا شك أن الأنصار لهذا الغازي هم أهل عمان" (٢٠٩).

الغزو الثالث، انفرد بذكره كل من ابن مداد والمعولي، فقد أشارا إلى أنه حدث في عام ٨٦٦ هـ (١٤٦١-١٤٦٢ م)، أن قام نور شاه بن لقمة ملك هرمز بغزو عمان على رأس جيش ضخم يربو عدد أفرادها على عشرين ألف مقاتل، بينهم ألف فارس، والعجيب في الأمر أنه بدلاً من أن يلتف العمانيون حول الملك النبهاني، سليمان بن المظفر لصد الغزاة نجدهم التقوا حول العدو وأعانوه على إنزال الهزيمة بالملك النبهاني. وأن دل هذا على شيء فإنما يدل على كراهيتهم له وتذمرهم من حكمه وطغيانه فهزم وأتباعه وفر إلى الأحساء (٢١٠).

وبعد انتصار الملك الهرمزي واستيلائه على عمان، اتخذ من بهلي مقر -الملك النبهاني سليمان بن المظفر الذي، فر إلى الأحساء- مقاماً لجنوده، وأمر عليهم غسان بن كليب الذي كان مستشاراً خاصاً لسليمان بن المظفر بدرجة وزير، ويعتبر أقرب المقربين إليه. وذكر المؤرخان بأن سليمان بن المظفر هذا عاد فيما بعد إلى عمان ورجع إليه ملكه، لكنهما لم يشيرا إلى الكيفية التي عاد بها إلى حكمه، وهل استرجع ملكه بالقوة أم بالصلح؟ أم أن العمانيين ثاروا على المحتل وأخرجوه من بلادهم؟

هذا ما لم يوضحاه. ومهما يكن من أمر فإن سليمان بن المظفر هذا رحل إلى شرق أفريقية كما سنذكره لاحقاً وأسس مملكة بات النبهانية، وإن قيل أنه قيل أنه عاد إلى عمان، فربما عاد إليها زائراً وليس حاكماً. حيث لم نسمع له عن دور في عمان بعد ذلك.

وعندما شب ولداه سليمان وحسام، اشتد بينهما الصراع على السلطة الذي انتهى بانتصار سليمان على أخيه، لكنه بقي يصارع الأئمة وزعماء

(٢٠٩) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ ج٣ ص ١٠١.

(٢١٠) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد ص ٦٨.

المعولي أبو سليمان محمد بن عامر: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة ص ٣٢.

القبائل الأخرى إلى أن انتزع السلطة منه الإمام محمد بن إسماعيل كما سبق القول.

أرَّخ المعولي هذا الغزو بعام ٨٠٦هـ، مع أنه أشار في نهاية حديثه إلى الموضوع وكان هذا بعد سنين الفترة، وسنن الفترة التي أشار إليها هي السنوات الممتدة من عام (٥٥٧-٨٠٩هـ)، والتي كانت فيها عمان شاغرة من منصب الإمامة. وكان لملوك بني نبهان اليد الطولى في عمان، ولكن يبدو أن التاريخ الذي ذكره المعولي لا يتفق مع ما أشار إليه.

ونرى أن التاريخ الذي ذكره ابن مداد (٨٦٦هـ)، هو الصحيح^(٢١١).

وبعد، فإننا ننهي هذا الجزء من الدراسة بالإشارة إلى أن بقاء بني نبهان على سدة الحكم في عمان رهين بعاملين اثنين، أولهما عدم وجود إمام قوي يجمع على إمامته كافة العمانيين، لأنه عند وجود مثل هذا الإمام في الحكم، يسعى جاهداً للقضاء على أي حكم يخالف نظام الإمامة الإباضية -وهو ما عرف بحكم الجبابة ويمثله في تلك الفترة ملوك بني نبهان، أو أي نفوذ خارجي يفرض سيطرته على عمان.

أما العامل الثاني: فهو رضا الحكام المتنفذين في بلاد فارس، الذين يمدون نفوذهم على عمان بين فترة وأخرى، ويمثلهم في تلك الفترة ملوك هرمز، الذين يفرضون سطوتهم على ملوك بني نبهان. وكان بنو نبهان يدفعون لهم الإتاوات والضرائب نظير دعمهم لهم في حكم عمان.

ثانياً: الجانب الإيجابي في علاقات بني نبهان بالقوى الخارجية:

وكان ذا شقين تعاون سياسي، وتبادل تجاري، وسنرجئ الكلام عن التبادل التجاري إلى الفصل الخاص بالتجارة.

أما التعاون السياسي، فيتمثل في تبادل الزيارات بين ملوك بني نبهان وغيرهم من حكام وزعماء البلاد الأخرى المجاورة وغيرها. وتبادل

^(٢١١) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد ص ٦٨.
- المعولي: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة ٣٢-٣٣.

الزيارات بين المسؤولين والمقربين من ملوك بني نبهان وغيرهم من المسؤولين الآخرين وهذا ما عبر عنه الستالي شاعر ملوك بني نبهان المقرب إليهم. وذلك عند زيارته لشرق أفريقية ومدحه لثلاثة من حكامها، هم سبخت بن علي^(٢١٢) وبختان^(٢١٣) واسحق بن عمر^(٢١٤).

كذلك كان هناك نوع من أنواع العلاقات القائمة بين ملوك بني نبهان وبين غيرهم من ملوك وأمراء الأقطار الأخرى، وتتمثل هذه العلاقات في الاتصالات كالمراسلات وتبادل الهدايا في مختلف المناسبات وبخاصة في مناسبات الأفراح كالانتصارات وغيرها. ففي ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) أرسل الملك النبهاني أبو المعالي كهلان بن عمر بن نبهان هدية إلى ملك اليمن السلطان المظفر شمس الدين أزدمر^(٢١٥) وذلك بمناسبة انتصاره على حاكم ظفار سالم بن إدريس الحبوضي. وكانت الهدية عبارة عن فرسين ورمحين^(٢١٦).

علاقة بني نبهان بحكام الأحساء^(٢١٧):

^(٢١٢) انظر الستالي، أبو بكر أحمد بن سعيد: ديوان الستالي ص ١٧٣-١٧٧.

^(٢١٣) ن. م ص ٣٤١ - ٣٤٤.

^(٢١٤) ن. م ص ٣٤٤ - ٣٤٧.

^(٢١٥) ذكره الخزرجي بأنه الأمير شمس الدين أزدمر.

بينما اكتفي كل من الذهبي وأحمد السعيد بذكر لقبه شمس الدين بن يوسف. وهو السلطان الملك المظفر شمس الدين أزدمر بن يوسف بن السلطان عمر بن علي بن رسول التركماني تولى الحكم عام ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م)، وتوفي عام ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) من أسرة بني رسول التي حكمت اليمن بعد بني أيوب في الفترة من ٦٢٦-٨٥٨ هـ (١٢٢٩-١٤٥٤ م).

^(٢١٦) انظر - الذهبي، الحافظ شمس الدين، ابن عبد الله محمد بن أحمد: كتاب دول الإسلام ج ٢ ص ١٩٧.

- الخزرجي، علي بن الحسن: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج ١ ص ١٨١-١٨٥.

- سليمان، أحمد السعيد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ٢٠٦-٢٠٧.

- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله. ترجمة محمد أمين عبدالله ص ٤١٦.

^(٢١٧) الأحساء: مدينة عامرة مشهورة بالبحرين القديمة (جزر البحرين الحالية والأجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية) أول من عمرها وحصنها وجعلها قسبة هجر أبو طاهر سليمان بن سعيد الجنابي القرمطي. أنظر الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ١١٢ والمنجد في اللغة والأعلام.

لم تتوسع المصادر التاريخية العمانية في ذكر علاقة ملوك بني نبهان بحكام الأحساء، إلا ما أشار إليه كل من ابن مداد والمعولي، حول لجوء الملك النبهاني سليمان بن المظفر إليهم فاراً من بطش ملك هرمز نور شاه بن لقمة^(٢١٨).

علاقة عمان بشرق أفريقية في عهد بني نبهان:

علاقة عمان بشرق أفريقية علاقة قديمة، خاصة العلاقات التجارية بين الطرفين، ذلك أن إقليم شرق أفريقية كان ملجأ للعُمانيين، يلجئون إليه عندما تجبرهم الظروف على ترك وطنهم، سواء كانت تلك الظروف اقتصادية، أو السياسية كالجوء الزعماء والأمراء مثلما حدث لسعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي فراراً من اضطهاد الحجاج بن يوسف الثقفي، أو اجتماعية نتيجة للحروب القبلية والثارات، التي دفعت بعضهم إلى الفرار إلى شرق أفريقية خوفاً على حياتهم، لذا كان استيطان العُمانيين لشرق أفريقية ظاهرة قديمة.

أما علاقة ملوك بني نبهان بشرق أفريقية، ونزوحهم إليها وأقامتهم مملكة نبها نية في بات فمن المرجح أن يكون قد حدث بعد عودة الإمامة إلى الحكم في عمان، بمبايعة مالك بن الحواري إماماً لعمان عام ٨٠٩ هـ.

(١٤٠٦-١٤٠٧م)^(٢١٩) ومن المحتمل أن يكون ذلك قد تم في عهد الملك النبهاني المظفر بن سليمان بن المظفر بن نبهان أو في عهد ابنه سليمان بن المظفر -والد الملك الشاعر سليمان بن سليمان- الذي رحل من عمان بعد زحزحته من الحكم على يد الملك الهرمزي نور شاه بن لقمة كما سبق القول.

^(٢١٨) سيرة عبدالله بن مداد ص ٦٨ والمعولي: قصص وأخبار جرت في عمان مخطوطة ص ٣٢ - فاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ص ٢٤ - ٢٥.
^(٢١٩) الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ص ٧٢.

ولجؤه إلى مملكة بات وزواجه هناك من ابنة ملكها المدعو اسحق، ثم انتقال الحكم إليه أما ب وفاة والدها المدعو اسحق أو بتنازل الأخير من ذاته لابنته ثم لزوجها^(٢٢٠).

علاقة بني نبهان بملوك هرمز:

تحدثنا فيما سبق عن الغزوات التي تعرضت لها عمان خلال عهد بني نبهان وكان مصدرها بلاد فارس وبالذات مملكة هرمز. ولم تشر المصادر العمانية إلى أي علاقة أخرى، ولكن ما جاء في ديوان النبهاني^(٢٢١) ينم على أن ثمة علاقات تعاون عسكري وسياسي بين ملوك بني نبهان وملوك هرمز، كانت تقوى حينما يكون الأخيرون راضين عنهم، من ذلك أن الملك النبهاني سليمان بن سليمان بن المظفر استعان بملك هرمز بعد هزيمته والنكسة التي حدثت لملوك بني نبهان في عهد الإمام عمر بن الخطاب الخروصي عام ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م). عندما أقر الإمام المذكور الحكم القاضي بمصادرة ممتلكات ملوك بني نبهان. ويبدو أن ملكا من ملوك هرمز لم يذكر اسمه قد أعان سليمان بن سليمان وأمه بالمال والعتاد. وكان أن عاد سليمان بن سليمان إلى الحكم والنفوذ وبقي ملكاً حتى قضى عليه الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي عام ٦٠٩ هـ (١٥٠٠ م).

خصائص عهد بني نبهان:

لما كان بنو نبهان يمثلون نظاماً سياسياً، فإنهم ملوك سلكوا أسلوباً مغايراً لأسلوب الأئمة، الذين اتصفوا بالزهد والتقشف، في حين مال بنو

(٢٢٠) انظر - حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٨٤-٨٥ بحث مقدم من أ. د. جمال زكريا قاسم بعنوان "الدولة العمانية في شرق أفريقيا". ص ١٥٠-١٥١. بحث مقدم من الأستاذ د. رأفت غنيمي بعنوان "دور عمان في بناء حضارة شرقي أفريقيا" ن. م مج ٥ ص ٢٨٢-٣٠٥ بحث مقدم من الأستاذ ج. كير كمان بعنوان "التاريخ المبكر لعمان الإسلامية في شرق أفريقيا".
(٢٢١) النبهاني، سليمان بن سليمان، ديوان النبهاني ص ٣٥ - ٣٨ وأضاف:

دعاني الهوى العذري بالقسم موهنا	لبرق تنشت من عمان سحائبه
فإن أك قد فارقت قومي وأسرتي	لإدراك شأو شاسع أنا طالیه
سأفجأ أجناد الطغاة بفيلق	من العزم مجر مردفات كتائبه
يسير به النصر الذي هو حزبه	وينجده النصر الذي هو صاحبه

الخ.... قصيدته.

نبهان إلى حياة الرفاهية والترف والفخامة. فبنوا لأنفسهم القلاع والحصون لتكون لهم حصوناً منيعة تصد عنهم هجمات منافسيهم.

لكنهم مع هذا لم يستخدموا الحجاب والبلاط، كما استخدمه الحكام المعاصرون، فكانت زعامتهم زعامة عربية قبلية خالية من التعالي والاحتجاب عن رعاياهم. كذلك قربوا إليهم الشعراء وأغدقوا عليهم الأموال، لكي يقولوا فيهم الشعر ويطربوهم بقصائد المديح والثناء، لذا اعتبر عهدهم عهد الشعر والشعراء.

ومنذ ذلك العهد أخذ الفقهاء يؤلفون مؤلفاتهم الفقهية نظاماً تمشياً مع روح العصر وليسهل على الناس حفظها، وكان أن أدى هذا إلى نشاط الحياة الثقافية، بينما ازدهرت الحياة العمرانية، فكما تنافس بنو نبهان على السلطة والحكم تنافسوا أيضاً في بناء الحصون والقلاع^(٢٢٢) التي خلدت ذكراهم.

على أن عهد بني نبهان لم يخل من مثالب وعيوب، منها أن هذه الأسرة تعتبر أول أسرة عمانية تمردت على نظام الإمامة الإباضية المنتخبة، وأقامت حكماً وراثياً محصوراً بين أفرادها واستعانوا في ذلك بالقوى الخارجية ممثلة في مملكة هرمز المعاصرة لهم. لذا اعتبر الفقهاء العمانيون حكمهم غير شرعي.

يضاف إلى هذا انتشار الفساد وكثرة المجون وشربهم الخمر واتخاذهم الغواني والخيلات.

(٢٢٢) الحصون جمع مفردا حصن: أكبر عمائر الاستحكامات الحربية إن لم تكن أمنعها وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها ويحصنها من هجمات الأعداء. القلاع (جمع) مفردا قلعة: استحكام حربي يبني في منطقة استراتيجية كالجبل أو التل أو الروابي الصخرية أو على سواحل البحار. وبها فتحات للمراقبة ورمي السهام وتختلف عن الحصن لكونها معدة لسكن العسكريين بخلاف الحصن الذي يمكن أن يسكنه الجميع. عن الموضوع انظر النبهاني، سليمان بن سليمان: ديوان النبهاني ص ٣٦-٣٧ سعاد ماهر، حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٢ ص ١٣٤-١٣٦. (بحث بعنوان الاستحكامات الحربية في مسقط) سعيد عاشور وعوض، خليفات، عمان والحضارة الإسلامية ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

هذا بالإضافة إلى استبداد ملوك بني نبهان واستيلائهم على مملكات الرعية بطرق غير شرعية، وفرض الضرائب الباهظة التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام وقواعده في جمع الزكاة.

قال ρ "فيما سقت السماء والعيون العشر وما سقي بالدوالي والغرب نصف العشر" وقال أيضا "ليس فيما دون خمس أواق صدقة. وليس فيما دون عشرين مثقالاً صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة... وليس فيما دون^(٢٢٣).

ولا يمكن القول بقيام حكومة قوية في عهد بني نبهان وإنما اتصف ذلك العهد بكثرة الصراعات والنزاعات المستمرة والتنافس الدائم على السلطة طيلة عهدهم، سواء كان ذلك فيما بينهم كأفراد في أسرة بني نبهان، أو بينهم وبين زعماء القبائل العمانية الأخرى، أو بينهم وبين الأئمة المنتخبين. وأقل ما يوصف به عهدهم أنه عهد الأسرات الحاكمة أو دويلات المدن. فليس هناك حكومة مركزية قوية تفرض نفسها على البلاد بأسرها. هذه الأسباب مجتمعة أثارت سخط العمانيين عليهم، فسموهم بالجبابة، والطغاة ووصف عهدهم بالتسلط والاستبداد، ومن جانب آخر أحجم المؤرخون العمانيون عن كتابة تاريخهم، إذ اعتبروا فترة حكمهم فترة سوداء في التاريخ العماني، لذا غاب عنا تاريخهم، ومن هذه الناحية اعتبر عهدهم عهداً مظلماً في التاريخ العماني.

(٢٢٣) تكملة الحديث الشريف "أربعين شاة صدقة وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة" انظر صحيح البخاري ج٢ ص١٤٣-١٤٤ والجامع الصحيح للربيع بن حبيب ج١ ص٨٥ والجامع الصحيح لمسلم ج٣ ص٦٦.

الفصل الثاني

- الزراعة في عمان
- الموارد المائية (الأمطار والمياه الجوفية)
- الآبار والعيون
- نظام الأفلاج
- أسلوب الزراعة
- أنواع الحاصلات الزراعية
- أهمية شجر اللبان
- تربية الحيوانات
- عسل النحل

الفصل الثاني

الزراعة

من المعروف أن الزراعة مهنة قديمة مارسها الإنسان منذ بدأ حياة الاستقرار والإقامة على بقعة من الأرض اتخذها مقراً ومقاماً.

ولذا فإن العلاقة قوية بين ممارسة الزراعة والاستيطان، وبالتالي قيام الحضارات الإنسانية على كرتنا الأرضية.

وعمان بلد زراعي في المقام الأول، اشتهرت بذلك منذ القدم، ووصفها الرحالون والجغرافيون القدماء^(٢٢٤) وخلال فترة دراستنا بأنها بلد "خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس"^(٢٢٥).

وتعتبر الزراعة أهم مصدر من مصادر الاقتصاد العماني خلال فترة دراستنا بل هي المصدر الرئيسي لحوالي ٨٠% من السكان.

وهنا علينا أن نلاحظ أن أساليب الزراعة، وما يرتبط بها من ري وحاصلات، وما تتأثر به من عوامل طبيعية مثل، المناخ والتضاريس لم تختلف في عمان اختلافاً واضحاً في يومنا هذا عما كانت عليه في الفترة التي ندرسها.

إن أهم عاملين يؤثران على قيام الزراعة وتنوعها في أي بلد هما المناخ والتركييب الجغرافي -التضاريس- وقد سبق أن تكلمنا عنهما فيما يتعلق بعمان.

والواقع أن للظروف السائدة في عمان يظهر لنا أن التناقضات الهائلة في تضاريسها بالإضافة إلى تنوع مناخها من قمم الجبل الأخضر الشامخة

^(٢٢٤) الاصطخري: كتاب مسالك الممالك ص ٢٥، وابن حوقل: كتاب صورة الأرض ص ٤٤ والبكري: جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ص ٣٧.
^(٢٢٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ١٨١.

حيث تنخفض درجات الحرارة حتى تتساقط الثلوج أحياناً عليها إلى الحرارة الشديدة في الصحراء، والرطوبة الخانقة على السواحل واعتدال الطقس في السهول الداخلية والوديان كل ذلك أدى إلى تنوع النباتات والزراعة، وبالتالي إلى تنوع الثمار والمحاصيل الزراعية^(٢٢٦).

وتقسم مساحة عمان من حيث طبوغرافيتها إلى جبال وهضاب ومرتفعات تبلغ مساحتها خمسة وأربعين ألف كيلومتر مربع وتزيد مناسب ارتفاعاتها عن "٤٥٠ متراً" فوق سطح البحر، وسهول ساحلية مأهولة مساحتها تسعة آلاف كيلومتر مربع وأخيراً مناطق أودية وأراضي صحراوية تبلغ مساحتها مائتين وستة وأربعين ألف كيلومتر مربع.

وتقدر المساحة القابلة للزراعة حوالي مائتي ألف هكتار يزرع منها حالياً ما يقرب من خمسة وأربعين ألف هكتار^(٢٢٧).

الموارد المائية (الأمطار والمياه الجوفية) قال تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي)^(٢٢٨).

الأمطار وكيفية اختزانها إلى مياه جوفية:

تتمتع عمان بكميات كبيرة من المياه مما يساعد على انتعاش الزراعة. فبعد هطول الأمطار الغزيرة على رؤوس الجبال تتجمع مياه الأمطار المتساقطة مكونة شعاباً مائية تشكل فيما بعد سيولاً جارفة تتجمع في روافد الأودية وبطونها السحيقة بين الجبال حاملة معها الرسوبيات والطين فتلقي بها إلى الأحباس المنخفضة ودلتا الأودية.

ثم تختزن هذه المياه الجارية في الشقوق الصخرية ومجاريها الداخلية وتتحرك بتأثير الجاذبية في اتجاه طبقة الرسوبيات ليستفاد منها بحفر الآبار

(٢٢٦) لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج ٥ ص ١٧٨٧.

- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣١٩.

- أحمد شلبي: حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٢٩ (مقدمة).

(٢٢٧) الموارد المائية بسلطنة عمان إصدار وزارة الزراعة والأسمك بسلطنة عمان ١٩٨٦ م ص ١١.

(٢٢٨) آية ٣٠ من سورة الأنبياء.

والأفلاج. ويتوقف مدى تخزين هذه المياه أو تسربها على نفاذية الصخور، وتتوقف نوعية المياه على مدة بقائها في الصخور وبصفة أساسية على التكوينات الصخرية التي تتخللها.

هذا وتنحصر الموارد المائية في عمان في ثلاثة مصادر رئيسية هي: العيون الطبيعية الآبار والأفلاج.

العيون الطبيعية:

هي الينابيع المائية التي تنبع من ذاتها بقدرة الخالق. قال تعالى (وفجرنا فيها من العيون)^(٢٢٩) وليس للإنسان يد في ذلك، وإنما يقوم باستغلال مياهها في مختلف المجالات ومنها ري مزروعاته. وفي عمان العديد مثل هذه العيون والينابيع، وكمثال لها نذكر منها ينابيع الماء بوادي بني خالد، وعين الكسفة في مدينة الرستاق، وعين الثوارة في مدينة نخل والعيون المائية الأربع في ظفار - المنطقة الجنوبية من عمان - وهي عين أرزات، وعين حمران وعين صحنوت^(٢٣٠).

الآبار:

وتعتبر الآبار المصدر الأساسي في الحصول على المياه الجوفية، لكونها الأكثر شيوعا واستخداما في عمان كلها، سهولها وجبالها، سواحلها وصحاريها.

وللآبار عدة أسماء حسب أحجامها منها الركبة، والقليب، والطوي والجفر^(٢٣١) والشائع في عمان الاسمان الأخيران. كما تختلف أحجامها حسب استعمالاتها فإن كانت للشرب وسقي الدواب والاستخدام المنزلي، فيتم استخراج الماء منها بالدلو، بواسطة البكرة والحبل وتجر باليد.

(٢٢٩) آية ٣٤ من سورة يس.

(٢٣٠) الموارد المائية بسلطنة عمان ص ٩٠ و ١٤٦.

(٢٣١) الطوي (مفرد) تجمع أطواء: من الفعل طوى يطوي أي طيها بالحجارة، انظر ابن الأعرابي، محمد بن زياد: - كتاب البئر ص ٥٨ والرازي مختار الصحاح مادة طوي. - الجفر : بئر يحفر في البراري ليستفيد منه المسافرين والرعاة.

أما إن كان استعمالها لري الزراعة فتكون مربعة الجوانب واسعة وعميقة. ومياها غزيرة وتجري مياها الحيوانات كالثور والحمار والجمال، فيجر الدلو بواسطة آلة تسمى الزاجرة. بينما ذكر ابن بطوطة أنه شاهد في ظفار مجموعة من الرجال يقومون بذلك الدور^(٢٣٢) وتتكون آلة الزجر أو الزاجرة^(٢٣٣) أو السانية من الآتي:

الشجار "الواقى":

وهي عبارة عن قائمتين خشبيتين من جذع النخل يركزان على جانبي البئر مشقوقتان من أعلى، قبل نهاية طرفيهما العلويين، حيث تدخل فيهما العارضة الخشبية ثم تربط ربطاً وثيقاً بحبال سميكة مصنوعة من ليف النخل.

النعامتان "اللواهب":

عبارة عن قائمتين خشبيتين من جذع النخل مشقوق طرفيهما العلويين بمقدار يسمح لوضع قطعة خشبية محورية لولبية الشكل تحمل الدولاب، ويثبت بهذا المكان مشاقص لمنع المنجور من اللقطة والانفراط. ويثبت هاتان القائمتان في مقدمة البئر. ثم يربط طرفاهما العلويان بالعارضة السابق ذكرها ربطاً محكماً، كي لا يتزحزح عن مكانهما، وتكون هاتان القائمتان مدرجتين ليسهل الصعود عليهما عند تركيب الدولاب وتغييره أو في حالة تصحيح وضعه في حالة انفراطه.

الدولاب "المنجور"^(٢٣٤):

(٢٣٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ١٧٣.
(٢٣٣) آلة الزجر أو الزاجرة: هي آلة لسحب الماء ويسمى الشخص الذي يساعد الحيوان بالزجر وهي بمثابة الساقية في المناطق الأخرى كما هو الحال في مصر والساقية "مفرد" تجمع سواق وهي الساقية أو الناعورة، انظر الرازي: مختار الصحاح، المعجم الوسيط، المنجد في اللغة والأعلام.
(٢٣٤) المنجور (لهجة عمانية): وهو المنجنون، يعني الدولاب التي يستقي عليها، وهي أيضاً المحالة التي يسني عليها وتجمع مناجير (بالعمانية) ومناجين وهي أيضاً المحالة الكبيرة العظيمة التي تستقي بها الإبل أو الثور. انظر الرازي: مختار الصحاح، وسعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٢٣٦.

عبارة عن بكرة خشبية كبيرة، وهي دولا ب خشبي مجوف قدر دخول القطعة الخشبية المحورية ذات الشكل اللولبي السابق ذكرها ويتكون هذا الدولا ب من أضلاع مركبة دائرياً عليه وتلف هذه الأضلاع بجلد سمك القرش بعد نزع اللحم منه مباشرة وذلك قبل أن يجف ليشد هذه الأضلاع شداً قوياً لكون هذا الجلد شديد الالتصاق بعد جفافه.

الدلو:

دلو كبيرة مصنوعة من جلد البقر، توضع بداخلها خشبتان متقاطعتان يسميان "العراقي" (٢٣٥) لشد الدلو ومنعها من الالتواء، وتلف الدلو من أعلى دائرياً بحبل لحمايتها من التمزق، يسمى الظفير (٢٣٦) وتدهن الدلو بين فترة وأخرى بزيت السمك "الصل" وذلك لتطريتها، ولكي تغطس الدلو في ماء البئر يربط بها حجرة صغيرة، ويسهل صب الماء من الدلو جعل لها كم يسمى "القنان" (٢٣٧).

حبل الدلى والرشاء (٢٣٨)

حبلان طويلان سميكان مصنوعان من ليف النخل يربط حبل الدلى بأحد خشبتي عراقي الدلو، وذلك لتوازن الدلو عند سحبها، ويمر حبل الدلى على الدولا ب "المنجور" فيدور محدثاً صوتاً موسيقياً شجياً تطرب له الأذن.

بينما يربط حبل الرشاء في كم الدلو ويمر على دوارتين "محالتين" خشبيتين تدور كل منهما على محور حديدي، الكبيرة منهما تتركب على حافة البئر، أما الصغيرة فتتركب بعدها على حافة المصب ويكون حبل الرشاء أقصر من حبل الدلى، والغرض من مروره على هاتين البكرتين لتخفيف سرعة اندفاع الدلو وجعلها تصب في المصب وهو المكان

(٢٣٥) العراقي: جمع العرقاء أو العرقوة: خشبه معروضة على الدلو.

(٢٣٦) الظفير: غرز قمة الدلو بالحبل. انظر المنجد في اللغة والأعلام.

(٢٣٧) ابن الأعرابي: كتاب البئر ص ٧٠-٧١ وشفاهة من أحد ممارسي هذه العملية.

(٢٣٨) حبل الدلى: هو الذي ينزل الدلو في البئر ثم يجذبها. بينما حبل الرشاء (مفرد) وتجمع أرشية

وهو حبل الدلو السميكة -انظر- الرازي: مختار الصحاح والمنجد في اللغة والأعلام.

المخصص لصب الماء، وغالباً ما يكون مبنياً بالحجر والصاروج^(٢٣٩) العماني لضمان عدم تلف المصب من جراء اندفاع الماء من الدلو بقوة. ^{ýýýýý}

يوصل كل من حبلي الدلي والرشاء بحبل مساعد يسمى الخادمة فالخادمة الفوقية لحبل الدلي بينما الخادمة التحتية لحبل الرشاء، تجتمع الخادمتان قبل جسم الثور بحبال أخرى أحدها يوصل بقطعة خشبية على شكل حرف الدال تسمى "المعلقة"^(٢٤٠) يضعها الرجل الزجار دائماً في يده اليسرى ليتحكم من خلالها في سير الثور وحركة الدلو، وتوصل الخادمتان بحبلين آخرين يسميان البدن يكونان بجانب الثور ثم يربطان بطرفي الويج من كل جانب^(٢٤١).

الويج:

قطعة خشبية محنية على شكل سنام الثور وتوضع على السنام، مصنوعة من خشب شجر القرط الشديد الصلابة لكي لا تنكسر، وهي مهذبة تهذيباً جيداً كي لا تحدث جروحاً للثور. يشد الويج بحبال تسمى الغبط إلى كلكل الثورة "صدره"، وتثبت تثبيثاً قوياً على سنام الثور لأن خروجها معناه نفس عملية السني أو "الزجر" برمتها.

المخب "مكان سير الثور":

يحفر في الجهة المقابلة للبئر طريق يسير فيها الثور، تهبط تدريجياً ابتداء من المصب إلى مسافة تساوي عمق البئر.

كيفية سحب الماء:

بعد إنزال الدلو في البئر وامتلائها بالماء يبدأ الثور بجرها. فالثور يهبط في خط سيره المخب من هنا، والدلو ترتفع من البئر شيئاً فشيئاً.

^(٢٣٩) الصاروج: صرج الحوض بناه بالصاروج وهو الكلس وأخلطه "فارسية الأصل".
^(٢٤٠) المعلقة: قنطان من خشب متصلتا الطرفين بحبل وبينهما فجوة لدخول يد الزجار انظر: المنجد في اللغة الأعلام.
^(٢٤١) ابن الأعرابي: كتاب البئر ٦٨ والمعلومة الشخصية.

وعندما يكون الثور قد وصل إلى نهاية خط سيره تكون الدلو قد صبت ما بها من ماء في المصب، وهكذا دواليك.

أما الماء فيجرى في جدول إلى مكان قريب يسمى الجل أو الجابية^(٢٤٢) يتم تجميعه فيه وبعد امتلائه تفتح الفتحة المعدة لخروج الماء فيجري في جدول صغير إلى المزرعة المراد ريها.

نظام الأفلاج في عمان

الأفلاج:

تعتبر الأفلاج من أشهر الظواهر الطبيعية التي تتميز بها عمان، وهو نظام فريد للحصول على المياه الجوفية^(٢٤٣)، وهو أيضاً نظام قديم الاستخدام في عمان منذ أكثر من ألفي عام تقريباً^(٢٤٤).

الفلج في المعاجم اللغوية:

الفلج: بفتح أوله وثانيه، وآخره جيم، هو الماء الجاري من العين. ويقال عين فلج وماء فلج.

والفلج : هو النهر الصغير. ويجمع أفلاج. وقد اشتق اسم الفلج من الفعل أو الكلمة العربية فلج، فنقول فلج -الفلاح الأرض- أي شقها^(٢٤٥) والكلمة مشتقة أصلاً من جذور سامية قديمة بمعنى انقسام الأرض وانبلاجها. وما يقابل فلج في اللغة العربية القديمة هو تقسيم الملكية إلى أنصبة، ويمكن إطلاق الكلمة على نظام تقسيم المياه بين المساهمين. هذا هو

(٢٤٢) الجل أو الجابية:

عبارة عن حوض مبني بالحجر والصار وج ومطلي بالجص طلاء جيداً من الداخل حتى لا تتسرب منه المياه إلى الخارج وهو واسع وعميق قدرقامة الرجل.

(٢٤٣) سعيد عاشور، وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٧.

(٢٤٤) المعمرى، أحمد بن حمود: عمان وشرقي أفريقيا مترجم ص ١٧.

(٢٤٥) الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٢٧١ والمعجم الوسيط والمنجد في اللغة والأعلام مادة فلج.

معنى كلمة فلج في عمان. فهو عبارة عن تنظيم معين لتوزيع مياه الفلج بين المساهمين الذين لهم حقوق ملكية فيها.

كذلك يقصد به الماء الجاري عبر قناة في الأرض، مصدره المياه الجوفية المختزنة في باطن الأرض نتيجة لترسب مياه الأمطار ثم تجمعها في طبقة صخرية مائية تحت الأرض^(٢٤٦).

أنواع الأفلاج:

تنقسم الأفلاج في عمان إلى ثلاثة أنواع، الأفلاج الغيلية، وأفلاج الينابيع أو العيون والأفلاج العادية التي يقوم الإنسان بحفرها.

أولاً: الأفلاج الغيلية:

هي الأفلاج الصغيرة، التي تستمد مياهها من مياه الغيل وتعني كلمة غيل بالمفهوم العماني المياه المتدفقة على سطح الوادي. وذلك نتيجة لاستمرار هطول الأمطار وتجمع مياهها في باطن الوادي بصورة مستمرة، وعلى العموم فإن الأفلاج الغيلية هذه ما هي إلا قنوات بسيطة تأتي بالماء من الوادي مباشرة، أو من ينابيع أو شقوق في صخور بجوانب الوادي تنبجس منها المياه، ثم يشق لها جدولاً في باطن الوادي يتراوح عمقها بين متر واحد وأربعة أمتار. وتتراوح أطوالها ما بين مائة متر إلى اثنين "كيلومتر" وهذا النوع من الأفلاج كثير ومنتشر في عمان لكنها محدودة البقاء فكثيراً ما تتأثر بالجفاف، فبقاءها مرهون بهطول الأمطار، واستمرار تدفق جريان الماء في بطن الوادي، فإذا جفت مياه الوادي جفت هي معه.

ولهذه الأفلاج قواعد وأحكام متعارف عليها تختلف عن أحكام وقواعد الأفلاج الرئيسية العادية الأخرى. "فلا يجوز تعميقها أو توسيع جداولها أو

^(٢٤٦) ولكنسون، جي. رسم: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٤٦.

سعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة والإسلامية والعبري، بدر بن سالم: بحث (الأفلاج ونظامها) بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٠.
"نشرة سلطنة عمان" مسيرة الخير المنطقة الداخلية والوسطى" ص ٢٠.

تغيير منابعها لأن ذلك يضر بالآخرين". وتمثل هذه الأفلاج حالياً حوالي ٢٠% من أفلاج عمان^(٢٤٧).

ثانياً: أفلاج الينابيع أو العيون:

تلك الأفلاج التي، ليس للإنسان دخل في تكوينها، لأنها تستمد مياهها من الينابيع والعيون المائية الطبيعية، التي تنبثق من تلقاء نفسها بقدرة الخالق جلت قدرته. فقد ذكرها في كتابه الكريم (وأن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار)^(٢٤٨).

تتميز هذه الأفلاج بأنها دائمة الجريان لا تتأثر بالجفاف، ثابتة لا تزيد ولا تنقص وهي على أنواع.

فبعضها معدني و الآخر ساخن تصل درجة الغليان، مثل عين الكسفة في الرستاق، وعين الثوارة في مدينة نخل، وحمامات فنحاء وغلا وبوشر^(٢٤٩).

وينطبق على هذه الأفلاج ما ينطبق على الأفلاج الأخرى العادية من أنظمة سنتطرق عليها في حينه.

ثالثاً: الأفلاج العادية:

هي الأفلاج التي يقوم الإنسان بشقها وهي الأكثر انتشاراً في غالبية عمان، خاصة في تلك المناطق الواقعة على سفوح الجبال ومجاري الأودية^(٢٥٠).

^(٢٤٧) العبري، بدر بن سالم: ن. م مج ٣ ص ١٢.

- ولكنسون: ن. م ص ٤٦ و ٤٩

- خطوات على طريق التنمية ص ١٣٦.

^(٢٤٨) سورة البقرة: آية ٧٤.

^(٢٤٩) العبري، بدر بن سالم: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٣ بحث بعنوان الأفلاج العمانية ونظامها.

سعيد عبد الفتاح عاشور وعوض حليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٨ جريدة عمان اليومية العدد ٢٨١٨ بتاريخ ٣ فبراير سنة ١٩٨٩ م.

إنشاء الفلج:

من المعلوم أن هطول الأمطار في عمان متذبذبة، حتى تلك الأمطار شبه الموسمية التي تهطل على المناطق الداخلية الجبلية في فصل الصيف. فتأتي أعوام تنقطع عنها الأمطار وقد تنعدم، لذا كان من الطبيعي أن لا يعتمد المزارع العماني في ري مزروعاته على الأمطار مباشرة. ففكر في إيجاد مورد مائي ثابت يعتمد عليه، فكانت الخطوة الأولى في حفر الآبار.

ومنها أخذ يسحب المياه الجوفية المخترنة بباطن الأرض. ومع مرور الزمن لم يكتف هذا المزارع الطموح بما حصل عليه من مورد مائي شحيح ومجهود شاق ومظني. ففكر في وسيلة توفر له جهداً وتعطيه كمية كبيرة من المياه فهداه تفكير إلى شق الأفلاج وذلك منذ ألفي عام، فكانت وسيلة لخروج المياه من باطن الأرض بصورة انسيابية^(٢٥١).

وقبل القيام بشق الفلج لابد من معرفة العوامل الطبيعية والجغرافية المحيطة بالمنطقة المراد إنشاء الفلج لها مثلاً أن تكون هذه المنطقة على مقربة من منطقة جبلية مرتفعة تستقطب أكثرية الأمطار الساقطة على المنطقة.

- أن تحيط بهذه المرتفعات منحدرات ترابية مفتتة تكون صالحة لترسب هذه المياه وتكوين حقول جوفية لاختزان هذه المياه.

(٢٥٠) يقدر عدد الأفلاج في عمان قبل خمسمائة عام أي خلال فترة دراستنا بحوالي أحد عشر ألف فلج، بينما تبلغ في وقتنا الحاضر حسب التقديرات الحالية أربعة آلاف فلج تجري فيها المياه من منابعها حتى مصباتها ولا زالت مياهها تروي الأراضي الزراعية.

انظر نشرة خطوات على طرق التنمية ص ١٣٦.

(٢٥١) العبري: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٠-١١ بحث "عن الأفلاج ونظامها" سعيد عاشور وعرض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٧. محمد متولي: حوض الخليج العربي ج ١ ص ٢١١ - ١٢.

- لابد من توفر المعلومات عن وجود خزان مائي بمعرفة مهندس الأفلاج، الذي يعبر عنه محلياً بالباصر^(٢٥٢).

بعد التأكد من كميات غزيرة من المياه، تبدأ عملية تنفيذ شق الفلج وتتطلب هذه العملية مهارة هندسية، دقيقة تقوم على أسس علمية منها:

تحفر أول بئر في أقصى الحد المطلوب منه الماء في الأرض المرتفعة فتكون هي رأس الفلج ويصل معدل عمقها إلى خمسة وستين قدماً وقد ينقص عن ذلك وقد يزيد فيصل إلى عمق مائتي قدم^(٢٥٣)، وعلى نفس العمق تحفر بعدها عدة آبار متتالية تسمى الثقاب أو الفرض، ثم يوصل بينها لينساب نبع رأس الفلج إلى البئر الثانية ليلتقي مع نبعها، فتجتمع ينابيع جميع الآبار أو الثقاب، فتجري معاً مكونة فلجاً يجري في القناة المعدة لهذا النهر الصغير، ويتوقف قوة جريانه على مستوى انحدار الأرض ومنسوب المياه في هذا الينابيع، وتبنى هذه القناة على شكل بناء المناجم، وعندما تشق القناة في أرض رخوة يبطن جانبها بالحجر والصاروج العماني وتسقف هذه القناة ابتداء من أم الفلج إلى أن يصل انحدارها إلى مستوى الأراضي الزراعية المراد ريها بهذا الفلج، إلى أن يخرج الفلج على سطح الأرض^(٢٥٤).

^(٢٥٢) بيركس، وسالي. ليتس: مجلة الدراسات العمانية ص ١٦٢ بحث " العوامر قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج".

^(٢٥٣) كانت وحدات مستعملة للقياس قديماً ولا زالت عند إنشاء الأفلاج هي كما يلي:

- الباع: هو طول امتداد الذراعين جانباً ويساوي ١٧٢ سم تقريباً ويستعمل للقياسات الجانبية في قناة الفلج.

- القامة: هي مقدار ارتفاع الرجل العادي وتساوي أيضاً ١٧٢ سم تقريباً وتستعمل لقياس الأعماق عمودياً.

- الذراع: هو المسافة بين رؤوس الأنامل إلى الكوع على ذراع ممدودة ويساوي ٤٣ سم أي ربع القامة والباع. وعند شق فلج جديد حالياً تتكلف القناة التي مقاييسها ذراع واحد عرضاً بذراعين ارتفاعاً يكلف الباع منه بين ٤٠ و ١٣٠ ريالاً عمانياً، ويتوقف على العمق وعلى صلابة الصخر.

انظر: العوامر قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج في شمال عمان الداخلية، بحث بمجلة الدراسات العمانية ص ١٦٥-١٦٦.

^(٢٥٤) انظر - سعيد عبد الفتاح عاشور، وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٨.

- ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٤٩ - ٥٠.

- متولي، على: حوض الخليج العربي ج ١، ص ٢١١.

ويكون اتساع القناة ما بين قدمين إلى أربعة أقدام، أما ارتفاعها فيكون ما بين ثلاثة إلى سبعة أقدام، أما طولها فيكون ما بين خمسة إلى عشرة "كيلومترات" وقد يكون بعضها قصيراً لا يتعدى بضع مئات من "الأمتار"، وهذا يتوقف على أمور منها:

العمق الذي تم فيه الحصول على الماء، ووفرة الماء وغازاته الذي تم استخراجه. وأخيراً مستوى انحدار الأرض التي تشق فيها مجرى الفلج.

توضع فتحات على سقف قناة الفلج تكون على مسافات متساوية بين الواحدة والأخرى (٥٠-٦٠) قدماً، تفتح عند اللزوم، لدخول العمال الذين يقومون بترميم وصيانة القناة عند توخي جزء من أجزاء للانهيال، أو لتنظيف مجرى الفلج من الأتربة، والأحجار التي قد تتسرب إليه أو لإزالة الأشجار والحشائش التي قد تعيق جريان الفلج، ثم أن لهذه الفتحات فوائد أخرى للتهوية وتزويد العمال بالهواء النقي^(٢٥٥).

هذا وعند وصول الفلج إلى الأراضي الزراعية المنشأ من أجلها يربط مجراه الرئيسي بجداول تعرف محلياً بالسواقي^(٢٥٦) إلى المزارع المراد ريها، فيتم تحويل مياه الفلج إلى المزرعة التي حان الوقت المحدد لريها.

- العبري: الأفلاج العمانية ونظامها بحث بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١١.

- عمان المنطقة الداخلية والوسطى ص ٢٠.
(٢٥٥) متولي، محمد: ن. م ج ١ ص ٢١٢.
العبري: بدر بن سالم: ن. م. م.

ولكنسون: ن. م ص ٥٠.
عمان المنطقة الداخلية والوسطى ص ٢٠.
والمعمري، أحمد حمود: عمان وشرقي أفريقيا ص ١٧.
(٢٥٦) السواقي جمع مفرد لها ساقية حيث يقول: السالمي: عبدالله بن حميد: جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ص ٤١٩:

ومسك	الماء	يسمي	ساقية	تجوزا	لسقيها	للساحية
والعرف	قد	صيرها	حقيقه	كثرة	استعمال	الطريقه

وهناك أفلاج يشق لها روافد إضافية رافد واحد أو رافدان أو ثلاثة حسبما يتطلب الحال وتسمى سواعد مفردها ساعد، وهذه الروافد بمثابة أفلاج صغيرة تصب مياهها في القناة أو المجرى الأساسي للفلاج وذلك لزيادة منسوب الماء فيها. ويشترط في هذه الروافد أن لا تكون قنواتها أو مستوى جريان الماء فيها اعمق من مستوى جريان الماء في القناة الأصلية للفلاج، لأنه لو كان العكس لسحبت هذه الروافد الماء من القناة الأصلية إليها وهنا أصبحت تضر الفلاج بدلاً من أن تفيده.

ونظام الري بالأفلاج نظام يمكن الاعتماد الكامل عليه كنظام للري لأنه دائم الجريان طيلة أيام السنة، فهو ثابت حتى في فترات الجفاف الطويلة، وإن كانت مياهه تتضاءل خلال تلك الفترات^(٢٥٧).

ويختلف مقدار الماء المتدفق في قناة الفلاج من فلاج إلى آخر وذلك لظروف منها وفرة الماء في الخزان الجوفي الذي ينبع منه الفلاج، ومقدار ما يفقده الفلاج من مياه بفعل التسرب والتبخر. هذا ويبلغ معدل تدفق المياه في الفلاج العادي من (٥٤٠-٥٠٠) "جالوناً" في الدقيقة الواحدة^(٢٥٨).

قبل الدخول في تفاصيل تقسيمات نظام الري بواسطة الأفلاج لابد من الإشارة إلى أن لمياه الأفلاج هذه استخدامات أخرى عامة وشائعة لجميع من يمر عليهم مجرى هذا الفلاج فأول هذه الاستعمالات هي مياه الشرب والطبخ حيث تؤخذ من أول فتحة تظهر فيها مياه الفلاج على سطح الأرض وتسمى شريعة الفلاج.

ثم الاستفادة الثانية وهي للاستحمام والوضوء وغسل الملابس وقد خصص لها أماكن مستورة بجانب المساجد، حيث يمر الفلاج عليها وتكون

^(٢٥٧) هذا بالنسبة للأفلاج التي في خزائنها الجوفي احتياطي كبير من المياه، أما الأفلاج التي تفتقر لمثل هذا الاحتياطي فإنها لا تصمد كثيراً لفترة جفاف قد تدوم أكثر من عام.
^(٢٥٨) انظر: المعمرى، أحمد بن حمود: عمان وشرقي أفريقية ص ١٧.

- سعيد عبد الفتاح عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٨.
- متولي، محمد: حوض الخليج العربي، ج ١ ص ٢١٣.
- عمان الداخلية والوسطى ص ٢٠.

أولاً لاستعمالات الرجل، ثم أماكن أخرى منفصلة لاستعمالات النساء، كما يمر الفلج على مغاسل الموتى.

كما يستفاد من مياهه في الاستعمالات المنزلية الأخرى كسقي الحيوانات وغسل الأواني وغيرها، وعندما تكون في أيام الخصب والفيضانات تستخدم مياهه لأغراض البناء والإنشاءات، لكن في فترات الجفاف وتناقص مياه الأفلاج يمنع استعمال مياهه لهذه الأغراض^(٢٥٩).

نظام الري بواسطة الأفلاج:

بعد أن مر الفلج على ما سبق ذكره، وتمت الاستفادة من مياهه في أغراض شتى، يكون قد وصل إلى الأراضي الزراعية التي تروى من مياهه والتي تنقلها إلى المزارع والبساتين شبكة من الجداول أو القنوات الصغيرة المسماة محلياً السواقي. والمبدأ الذي يقوم عليه نظام اقتسام مياه الفلج وتوزيعها يخضع لنظام وترتيب خاص يختلف من فلج إلى آخر لكن هنالك اتفاقاً عاماً على توزيع مياه الأفلاج بالتناوب والدوران^(٢٦٠).

وكيفية تقسيم مياه الأفلاج تتم على الصورة التالية:

فبعد أن تم لجماعة من المزارعين إنشاء فلج جديد لهم لري مزارعهم، يكونوا قد اتفقوا فيما بينهم على أن يتم دوران الفلج على ثمانية أيام مثلاً فيخصصون منها سبعة أيام للمشاركين في الفلج فتسمى كل يوم منها بيوم من أيام الأسبوع^(٢٦١). بينما تخصص اليوم الثامنة للقعد أي إيجار مياه الفلج لمن يريد وتسمى بيوم القعد، ويخصص ريعها لصالح الفلج لصيانته وترميمه.

^(٢٥٩) ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان (مترجم) ص ٦٠.

- عمان الداخلية والوسطى ص ٢١.

^(٢٦٠) ولكنسون: ص ٦١-٦٣ وعمان الداخلية والوسطى ص ٢٠.

^(٢٦١) وتسمى البود (جمع بادة) في بعض الأفلاج بأسماء المساهمين أو المشاركين في ملكية الفلج إن كانوا أقلية أو بأسماء بطون القبيلة التي تمتلك هذا الفلج.

هذا وتقسم كل يوم من هذه الأيام إلى بادتين، واحدة في النهار والثانية بالليل فتعتبر ست عشرة بادة، وتقسم البادة الواحدة إلى أربعة وعشرين أثراً يساوي نصف ساعة^(٢٦٢) ويقسم الأثر الواحد إلى أربعة أقسام كل قسم يسمى "ربعة"^(٢٦٣). وهناك أرباع البادة ونصف البادة^(٢٦٤).

ولتطبيق هذه التقسيمات ومعرفة موافقتها أجمع العمانيون على نظام المحاضرة^(٢٦٥) وهما محاضرتان إحداها نهارية بواسطة الشمس والثانية ليلية بواسطة النجوم. قال سبحانه وتعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)^(٢٦٦).

المحاضرة النهارية أو الشمسية:

تقسم محاضرة النهار إلى أربعة وعشرين أثراً ويتم ذلك باختيار بقعة من الأرض مستوية السطح لا عوج فيها، ولا ارتفاع ولا انحدار معرضة لأشعة الشمس من وقت شروقها إلى غروبها تقدر مساحتها بعشرة أمتار، بعيدة عن التعرض لظل شجر أو بناء. ينصب في وسطها عمود خشبي طوله متران ونصف، ثم تسوى هذه الأرض وتخطط خطوطاً منتظمة متساوية المسافات بين الخط والآخر مسافة تساوي أثراً واحداً أي نصف ساعة، هو مقدار ما يستغرقه جريان الشمس أو ظل العمود من خط إلى الذي يليه. في أول شروق الشمس يتقاصر ظل العمود من الغرب إلى الشرق إلى أن ينعدم عند العمود وهو الخط الثاني عشر أي منتصف النهار لأن الشمس تكون عمودية على العمود ولذلك يختفي ظله. وبعد تحرك الشمس من كبد السماء يبدأ ظل العمود يطول متجهاً نحو المشرق لأن الشمس أخذت تميل إلى الزوال حتى تغرب. ولنا ملاحظة هامة هي أن الشخص الذي له دوران الماء في منتصف النهار يكون نصيبه أكبر من

^(٢٦٢) إذن اليوم الواحد = بادتين وتساوي البادتان ٤٨ أثراً أي ٢٤ ساعة.

^(٢٦٣) العبري، بدر بن سالم: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٣-١٤ "بحث عن الأفلاج العمانية ونظامها".

^(٢٦٤) بما أن البادة الواحدة تساوي أربعة وعشرين أثراً يكون نصفها اثني عشر أثراً وربعها ستة أثار.

^(٢٦٥) المحاضرة: من حضور الشيء إذا دني أو برز ومعناها أن كل مزارع له نصيب من ماء الفلج فاليحضر لمعرفة الوقت المحدد له.

^(٢٦٦) سورة النحل آية (١٢).

الماء لأن الشمس تجري ببطء في منتصف النهار بخلاف جريانها في أول النهار وآخره فظل العمود يجري تبعاً لجريان الشمس^(٢٦٧) فقد قال سبحانه وتعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً)^(٢٦٨).

وللمحافظة على هذه الخطوط من الاندثار بفعل عوامل الزمن من رياح وأمطار وغيرها توضع على كل خط منها ثلاثة أحجار كجواميد اثتان منها على طرفي العمود ويمثلان الشمال والجنوب والثالث في وسط الخط وذلك مراعاة لتبدل الفصول وانتقال الشمس من مجاريها الصيفية والشتوية، ثم قسمت المسافة بين كل خطين إلى أربعة أقسام صغيرة، ميز كل منها بعلامة مميزة، على أساس أن كلاً منها يساوي ربع أثر. والشخص الذي ينتظر دوره ليروي بستانه، فما عليه إلا أن يذهب إلى مكان المحاضرة فتمتى وصل ظل العمود إلى الخط المحدد لوصول دوره، يذهب إلى الجدول الرئيسي للفلج فيحول مياه الفلج إلى الجدول المؤدي إلى بستانه فيرويها إلى أن يحين وقت دوران الذي يليه فيحول هو الآخر مياه الفلج إلى بستانه وهكذا تدور عجلة الزمن وبدورانها تنتقل مياه الفلج من بستان إلى آخر، بكل دقة وانتظام^(٢٦٩).

محاضرة الليل:

أكثر تعقيدا من محاضرة النهار لأنها تتم بواسطة الكواكب قال تبارك وتعالى في ذلك (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)^(٢٧٠).

ولكون الكواكب عديدة في السماء، ومختلفة في أحجامها وقوة لمعانها من كوكب لآخر، وفي طلوعها وغروبها، لذلك لا يتقن المحاضرة عليها إلا القليل من الناس ذوي المعرفة الدقيقة، التي لا تتأتى إلا بحكم الخبرة والممارسة الطويلة لهذا العمل.

^(٢٦٧) عمان الداخلية والوسطى ص ٢٠.

^(٢٦٨) سورة الفرقان آية ٤٥.

^(٢٦٩) العبري، بدر بن سالم: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٢٥-٢٧.

^(٢٧٠) سورة النحل آية (١٦).

ولمعرفة تحديد فترة كوكب يمكث في الأفق ثلاثة آثار، فإنه يرتفع في الأفق مقدار ثلاثة أمتار، حيث قدر لكل متر أثر واحد، وبارتفاعه لهذا المستوى يكون قد غرب وطلع بعده الكوكب الذي يليه، ويكون بين فترة هذين الكوكبين الكبيرين المحاضر عليهما طلوع كوكبين قصيري الفترة متتاليين مثلثين لهذه الفترة فيكون أحدهما بعد أثر واحد من طلوع الكوكب الكبير المحاضر عليه، بينما يكون طلوع الكوكب الثاني في المثلث الثاني ويكون غروبه هو الثلث الأخير وهو نهاية الفترة المحددة بطلوع الكوكب الكبير الثاني^(٢٧١).

أما إذا كانت الفترة المحددة بين كوكبين أثرين، فيقسمها طلوع كوكب صغير وذلك بعد طلوع الكوكب المحاضر عليه بأثر واحد، فتكون الفترة الباقية من الوقت إذن أثر واحد، وبذلك يكون هذا الكوكب الصغيرة هو منتصف الفترة ويسمى "المنصف" وتحدد ارتفاعات الكواكب في الأفق ومسيرها بواسطة علامات في الأرض إن كانت فوق جبال أو مباني، أو في الجهات الأربع من هذه العوالم الطبيعية الثابتة، أما لتحديد نصف الأثر وربعه حيث أن أحد مساهمي الفلج يمتلك من أسهم الفلج أثراً ونصف وآخر له أثر ورابع، بينما يكون لشخص ثالث أثران إلا ربعاً.

ولإعطاء كل ذي حق حقه من أسهم مياه الفلج، يكون للخبرة دورها الكبير في تحديد تلك الأوقات "المسماة المحاضرة" وهناك شبه اتفاق بين المحاضرين على مكان ما كجدار مسجد مثلاً، وضعوا عليه خطوط بينها مسافات، تقدر بواسطتها أوقات طلوع، وارتفاعات ثم غروب تلك الكواكب الواحد والعشرين المتعارف عليها^(٢٧٢)، وعلى هذه المواقيت يتم تقسيم مياه

^(٢٧١) العبري، بدر بن سالم: حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ٣ ص ٢٩-٣٠ "بحث عن الأفلاج العمانية ونظامها".

^(٢٧٢) أسماء الكواكب أو النجوم كما يسمونها محلياً والمتعارف عليها في عمان الداخل:

(١) كوبي	(٢) الموقي	(٣) الغراب
(٤) الأدم	(٥) الصارة الأولى	(٦) الصارة الأخرى
(٧) السعد	(٨) الكوكبين	(٩) الثريا
(١٠) الدبران	(١١) الشبكة	(١٢) الجوزاء

الفالج بين المساهمين. فإذا نظر المحاضر وجاء نظره والكوكب على خط من تلك الخطوط المخصصة مثلاً لثمن أثر يكون قد مضى على طلوع ذلك الكوكب المحاضر عليه ثمن أثر وإذا ارتفع إلى الخط الآخر يكون قد مضى على طلوعه ربع أثر ثم نصف وهكذا. هذا ونظراً لاختلاف مطالع هذه النجوم من فصل لآخر فمثلاً بعض النجوم يكون طلوعها أول الليل في فصل الشتاء بينما يكون طلوعها آخر الليل في فصل الصيف بينما يكون بعضها الآخر العكس من ذلك، وبهذا تكون مواقيت دوران الأسهم متفاوتة بين فصل وآخر^(٢٧٣)، وتجنباً لهذا، وتجنباً لسوء التوزيع فيأخذ بعض المساهمين دوران النهار دائماً، ويكون من نصيب الآخرين دوران الليل دائماً، لذا وضع نظام تبادل الأدوار، فالذي يأتي نصيبه في هذه الدورة ليلاً يأتي نصيبه في الدورة الثانية نهاراً.

هكذا تتم المحاضرة بواسطة الشمس نهاراً وبواسطة النجوم والكواكب ليلاً لكن إذا كانت السماء مغيمة أو ممطرة، فكيف تتم معرفة المواقيت أو المحاضرة؟

في مثل هذا اليوم يرجع من لهم الدور فيه إلى رجل خبير أو وكيل الفالج، تكون لديه خبرة في معرفة وتقدير ما يرويه أثر الماء من عدد النخيل، أو مساحة من حقل قمح أو غيره من المزروعات، فإذا كان أثر الماء يروي خمسين نخلة ومقدار مساحة ما يرويه الأثر سابقاً وذلك بتعليمات الخبير وبهذا يكون قد أخذ كل منهم سهمه.

وهناك أفلاج أكثر دقة وتنظيمات فتقسم أسهم المشتركين فيها على عدد الحدائق والبساتين والحقول الزراعية التي يمتلكونها فلو انتقلت ملكية بستان ما بالبيع أو الوراثة أو المنحة أو الوقوف انتقلت ملكية الأسهم

(١٣) الجنب	(١٤) الذراعين	(١٥) البطن
(١٦) السفاح		
(١٧) المواتيب	(١٨) الذكرين	(١٩) الشوي
(٢٠) النعش		
(٢١) العقرب.		

(٢٧٣) انظر العبري، بدر بن سالم: حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ٣ ص ٣٠-٣٢.

المخصصة لها معها، لأنها مرتبطة بها^(٢٧٤) لذا فقد خصص لمجموعة من الحدائق والمزارع والحقول المتجاورة يوماً كاملاً، وخصص لمجموعة أخرى يوم آخر، و ذلك كسباً للوقت وحفاظاً على مياه الفلج من التوزع هنا وهناك.

وليس لأحد الحق في أن يتصرف في هذا الماء، فيؤجره، أو يبيعه، وحتى المالك نفسه لا يحق له أن يحول الوقت المخصص لمزرعته هذه إلى مزرعته الثانية في جهة أخرى أبعد عنها، لأن هذا يخل بالنظام المتفق عليه ولذلك يحتج عليه من يليه، فيمنع من هذا التصرف^(٢٧٥).

وهناك أفلاج تتبع نفس نظام المحاضرة الشمسية أو الليلية، لكنها من الكبر وغازرة المياه، وسعة المساحة التي يرويهها، كفلج دارس في نزوى، وأمثاله، فإنه من الصعوبة بمكان أن تحصر مياهه في جدول واحد، ويفتح برمته إلى مزرعة صغيرة ذات زراعة حقلية لا تتحمل جذورها شدة جريانه فيجرها تياره المتدفق معه. لذا لجأوا إلى تقسيمه، حيث فتحوا في مجراه الرئيسي الذي يشق البلدة، فتحات متساوية منتظمة، تقديراً هندسياً دقيقاً، فتجري من تلك الفتحة مقدار غيز^(٢٧٦) من المياه تجري في جدول إلى ناحية من نواحي البلدة، فتزيد هذه الجداول أو تنقص حسب غازرة مياه الفلج وضحالتها، التي تتوقف هي الأخرى حسب توفر الأمطار من عدمها. ففي فترات الجفاف، تسد تلك الفتحات وتبقى مياه الفلج كلها في جدول واحد فقط^(٢٧٧).

وبقدر ما تختلف الأفلاج في أحجامها وغازرة مياهها، واختلاف القرى والمساحات التي ترويهها، تختلف أيضاً نظم الري المتبعة في كل فلج، فهناك أفلاج صغيرة تروي قرى صغيرة حسب حجمها، ففلج مثل هذه

^(٢٧٤) العبري، بدر بن سالم: ن. م، مج ٣ ص ٢٧ "بحث عن الأفلاج العمانية ونظامها".

- ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٦٢-٦٣.

^(٢٧٥) العبري: حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ٣، ص ٢٧ "بحث عن الأفلاج العمانية ونظامها" و عمان المنطقة الداخلية والوسطى ص ٢٠.

^(٢٧٦) غيز: ربما أنها كلمة فارسية معربة لأنها غير موجودة في المعاجم العربية.

^(٢٧٧) العبري، ن. م، ص ٤٥-٤٦.

- ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان، ص ٦٣.

الأفلاج، يكون المساهمون فيه بضع أفراد، يكون للشخص الواحد منهم بادتان أي يوم كامل من طلوع إلى طلوعها في اليوم الآخر، ولشخص آخر بادة واحدة بكاملها من شروق الشمس إلى غروبها، ولشخص ثالث بادة هو الآخر فيأخذ من أول الليل إلى آخره، وهكذا تتوزع الأسهم بالبود (جمع بادة) وليس بالأثر.

هذا نوع ونوع آخر من الأفلاج، من الصغر وضحالة مياهه بحيث تجمع مياهه في حوض خاص يسمى "الحل" بكسر الجيم، وعندما يمتلأ هذا الحوض يفتح الشخص الذي له الدور، الفتحة المخصصة لخروج الماء ولما ينتهي من ري مزرعته يغلق الفتحة، وبعد أن يمتلأ الحوض مرة ثانية، يأتي الشخص التالي له فيأخذ هو الآخر نصيبه من الماء ويستمررون في التعاقب على هذا المنوال^(٢٧٨).

وهناك أفلاج أخرى يتم تقسيم مياهها أيضا بالبادة والأثر مثلها مثل غيرها من الأفلاج الأخرى، لكن قياس مواقيتها لا يتم بواسطة الشمس والنجوم وإنما بواسطة إناء نحاسي مثقوب من أسفله ثقباً مقدراً تقديراً دقيقاً، وعليه أربعة خطوط بينها أربع مسافات متساوية تماماً كل منها تساوي ربع أثر يوضع هذا الإناء في حوض ماء صغير فيتسرب الماء من الحوض إلى داخل الإناء، فإذا ارتفع الماء إلى مستوى الخط الأول يكون قد مضى من الوقت ربع أثر، وعند مستوى الخط الثاني يكون الوقت نصف أثر. وعند مستوى الخط الثالث تكون قد مضت ثلاثة أرباع الأثر، وعند امتلائه يكون الأثر قد كمل ومعنى هذا أن مقدار توقيت هذا الإناء أثر واحد، أي نصف ساعة. هو شبيه بالساعة المائية، ويوكل إلى شخصين أمينين تقسيم مياه هذا الفلج، يتبادلان مراقبة الساعة المائية ليلاً ونهاراً على أن يكونا في محل رضا الجميع^(٢٧٩).

مما سبق يتضح أن الأنواع الثلاثة الأخيرة من الأفلاج ليست بحاجة إلى محاضرة شمسية ولا ليلية.

^(٢٧٨) العبري، بدر بن سالم: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٤٠-٤٥ "بحث عن الأفلاج العمانية ونظامها".
^(٢٧٩) العبري، حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٤٥ بحث عن الأفلاج العمانية ونظامها.

وبعد أن انتهينا من عملية إنشاء الأفلاج ومعرفة تقسيم مياهها بين المساهمين بقي علينا أن نعرف أن هناك مسؤوليات وأعباء أخرى تحتاجها الأفلاج. فلا يكفي شقها وتقسيم مياهها فهي بحاجة إلى أمور أخرى منها الصيانة والترميم وتوكل تلك المسؤولية إلى شخص يختاره أرباب الفلج^(٢٨٠)، يسمى الوكيل أو العريف، تسلم إليه إدارة الفلج والمحافظة على أمواله من المدخرات التي تم تحصيلها من ريع تأجير مياهه.

وعندما يحتاج الفلج إلى إصلاح وصيانة، فإذا لم تف تلك المدخرات يشعر الوكيل أرباب الفلج ليتصرفوا في جمع المبلغ المستحق لتغطية تكلفة تلك الصيانة^(٢٨١). فيجتمعون للتشاور فيما بينهم لمناقشة ما يطرح من آراء في هذا الاجتماع. وغالب ما تطرح في مثل هذه الاجتماعات أربعة اقتراحات وهي:

- إما أن يدفع كل مالك مبلغاً من المال عن كل سهم له، فإذا حدد لكل سهم محمدية واحدة "والسهم الواحد مقداره أثر واحد من الماء" فإذا كان لشخص ما عشرة أثار فالمبلغ المستحق عليه عشر محمديات فضة^(٢٨٢)، شريطة أن يتعهد كل مساهم بدفع ما عليه. وإذا لم يتم الاتفاق على ذلك الاقتراح فيقترح بأن تحدث بادة جديدة في الفلج وبذلك يزداد عدد دوران الفلج، فأما أن ترهن وأما أن تباع، وغالباً ما تكون المرحلة الأولى مرحلة الرهن، فترهن أثارها لمن يرغب من القادرين على الدفع لمدة عشرة أعوام فتسمى البادة المرهونة وغالباً ما يفك رهنها قبل انتهاء المدة المحددة.

^(٢٨٠) أرباب (جمع) المفرد (رب): وتعني مالك الشيء: انظر المنجد في اللغة والأعلام مادة "رب".
^(٢٨١) ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٦٦.
"نشرة" عمان الداخلية والوسطى ص ٢١.
^(٢٨٢) عملة فضية كانت مستخدمة في عمان في عهد بني نبهان انظر ابن النظر: مقدمة كتاب الدعائم ص ٧.

السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان ج ١ ص ٣٠٧.
الخصيبي: محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ج ١ ص ٣٢٥.

وعندما يحتاج الأفلاج لإصلاح آخر ترهن هذه البادة بمبلغ أكبر ولمدة أخرى أو تباع بمبلغ أكبر فتسمى المبتاعة. وللمسترهن الحق في الأسهم التي لديه، فأما أن يقبل بما أجمع عليه، وإلا تنازل عن ما استرهنه لآخر، ومن هنا تتضح لنا أن موارد الفلج المالية تأتي من المصادر التالية:

١- من أيجار مياه الفلج أي "قعدھا" لمدة يوم واحد في الأسبوع.

٢- من رهن أو بيع بادة جديدة في الفلج.

٣- من سيولة نقدية يتبرع بها أصحاب الخير لصالح الفلج.

٤- من استغلال ممتلكات الفلج من أشجار ونخيل وأراضي يكتبها فاعل الخير من ممتلكاته الخاصة وصية لصالح الفلج بعد وفاته.

هذا وكلما ازداد طلب المزارعين إلى مياه الفلج ارتفع ثمن إيجار أو رهن أو بيع آثار الفلج، وهذا يتوقف أيضاً على مدى توفر مياه الفلج ففي سنوات الخصب والفيضانات يقل بالطبع الطلب على استئجار أو استرهان أو شراء مياه الفلج، لأن مياهه كثيرة متدفقة زائدة على طلب المزارع وزراعته لكن عندما تشح الأمطار وتنقطع سنوات عدة تكون بالطبع مياه الفلج قليلة فيزداد الطلب عليه فترفع بالتالي أسعارها فهي إذن قاعدة اقتصادية وكلما قل العروض ازداد الطلب عليه فارتفع سعره. والعكس تماماً. وباستغلال هذه القاعدة ازداد المردود المالي للفلج. وحتى لا تصير أسهم الفلج على مر العصور حكراً لأصحاب الأموال ولكي يتم توفير مياه الفلج لمدد أطول أزيدت بادة سميت "بالمزيدة" بدون رهن ولا بيع، وإنما بزيادة أيام دوران المياه. فبدلاً من أن يدور على ثمانية أيام أصبح يدور على تسعة أيام.

كذلك لاختلاف فصول السنة تأثيراً على قيمة إيجار الفلج ففي فصل الصيف الحار يزداد طلب الزراعة على المياه فيزداد طلب الناس على استئجار مياه الفلج فترفع قيمتها ويحدث العكس في فصل الشتاء البارد. هذا ووكيل الفلج مفوض بالقيام في الأعمال الصغيرة لإصلاح الفلج التي لا تكلف مبالغ كبيرة، أما تلك التي بحاجة إلى مبالغ كبيرة فلا بد من الاتفاق مع

أرباب الفلج ويفوض الوكيل في الدفاع عن الفلج ومخاصمة من يعتدي على حرماته وممتلكاته أمام المحاكم الشرعية. هذا ويتقاضى الوكيل على جهوده تلك وغالباً ما يكون عشر مد خول الفلج السنوي^(٢٨٣).

أسلوب الزراعة:

تقسم أرض عمان إلى ثلاث حلقات:

أولها: المدرجات الجبلية، ثانيها: السهول الداخلية والساحلية، ثالثاً: البراري والصحراء.

أولاً: أراضي المدرجات أو المصطبات الجبلية:

خير مثال لهذه الأراضي الزراعية هي المدرجات الزراعية بالجبل الأخضر، والذي يتراوح ارتفاعه بين خمسة آلاف إلى ستة آلاف قدم فوق سطح البحر، لذا تمتاز بمناخ معتدل صيفاً، بارداً شتاءً.

ثانياً: السهول الداخلية والساحلية:

السهول الداخلية: تمثل غالبية الأراضي الزراعية الخصبة الواقعة على سفوح الجبال أو على ضفاف الأودية، في جميع نواحي عمان.

السهول الساحلية: هي تلك السهول الخصبة الواقعة على طول ساحل الباطنة وسهل صلالة الشهير كبرى مدن ظفار^(٢٨٤).

ثالثاً: أراضي البراري والصحراء:

تأتي هذه الأراضي وراء الأراضي الزراعية، أي البعيدة عن مناطق الاستيطان كالجبال وبطون الأودية والرمال الصحراوية، وتنمو بهذه الأراضي النباتات والحشائش البرية أو الصحراوية، ومجموعات من أشجار

^(٢٨٣) ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٥٧ و ٦٦-٦٧.

(نشره) سلطنة عمان الداخلية والوسطى ص ٢١.

^(٢٨٤) صلالة: عاصمة ظفار، المنطقة الجنوبية من عمان.

السمر والسدر والأثل والغاف، وغيرها من الأشجار الصحراوية، التي تتحمل الجفاف، وهذه الأراضي هي الأراضي الرعوية^(٢٨٥).

تنقسم الأراضي الزراعية الخصبة التي تشمل النوعين الأوليين من أرض عمان إلى أراضي زراعية قريبة، أو بجانب المساكن والهدف من ذلك يعود إلى عاملين أساسيين هما، الحاجة الملحة والمستمرة إلى جني رطب النخيل في فصل الصيف بين آونة وأخرى، ثم ليسهل الدفاع عنها في حالة تعرضها للتخريب من قبل الأعداء المهاجمين لأن التعويض بغرس أشجار نخل جديدة ليس بتلك السهولة، فهي بحاجة إلى سنوات حتى تبدأ في الإنتاج الاقتصادي المأمول. ويطلق على مثل هذه الأراضي الزراعية الحدائق والبساتين وتعرف في عمان باسم "الضواحي"^(٢٨٦) وتخصص لفصل^(٢٨٧) النخل ولغرس الأشجار الأخرى كالحمضيات بأنواعها والأمبا "المانجو" والموز.

ولأهمية النخيل في عمان فإنه يأتي في المقام الأول من اهتمامات المزارع العماني في مختلف مناطق عمان الزراعية ما عدا منطقتين لا يناسبها طقسهما هما مدرجات الجبل الأخضر لارتفاعه وبرودة الطقس فيه شتاء. وسهول ظفار وجبالها لتكاثر الضباب والغيوم وتساقط رذات المطر الموسمي طيلة فصل الصيف (من شهر يوليو حتى شهر سبتمبر ويسمى الخريف)^(٢٨٨).

أسلوب فصل شجرة النخيل:

عند الشروع لإنشاء مزرعة جديدة للنخيل لأول مرة يتبع الخطوات التالية:

-
- (٢٨٥) انظر - ولكنسون: الأفلاج، ووسائل الري في عمان ص ٤٣.
 - لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج ١ ص ٨١.
 - عمان المنطقة الداخلية والوسطى، ص ٩٥.
 - (٢٨٦) الضواحي (جمع) مفردا ضاحية: تعني ضواحي البلدة ونواحيها.
 - (٢٨٧) فصل: تعني غرس الفسيلة (مفرد) جمع فسيل وفسائل: وتعني النخلة الصغيرة تقطع من أمها فتغرس، انظر الرازي: مختار الصحاح والمنجد في اللغة والأعلام.
 - (٢٨٨) الغساني: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٦٨١ بحث "أرض اللبان في سلطنة عمان".

تمهد الأرض ويزال ما بها من أحجار وشجيرات وحشائش ضارة ثم تحرث الأرض بالمحراث^(٢٨٩) الذي يجره الحيوان وغالباً ما يكون في عمان الثور، ثم تسوى هذه الأرض بعد حرثها وتقسم إلى جداول وأحواض وسواق^(٢٩٠) بواسطة آلة حديدية طويلة وعريضة بعض الشيء مثقوبة من طرفيها، ويربط بكل طرف حبل يمسك به رجل، فيقوم الرجلان بتقسيم الأرض وتسمى هذه الآلة المقراز، والعملية "القرابة"، ثم تحفر حفر تسمى الجور بأبعاد (٥٠×٥٠×٥٠سم) ذراع واحد طولاً وذراع عرضاً وذراع عمقاً، وإذا كانت تربة هذه الأرض غير جيدة التربة، يستحسن زيادة أبعادها، وتوضع بها كمية من الطمي الجيد ثم تغرس بها فسائل النخل. وتكون المسافة بين الفسيلة والأخرى مقدار أربعة عشر ذراعاً "ستة أمتار"، هذا وعدد النخيل يختلف من منطقة لأخرى، حسب خصوبة الأرض ووفرة المياه، ففي الأرض الخصبة تكون النخلة أقوى، ولذلك يتراوح عدد النخيل في الفدان^(٢٩١) الواحد في عمان الداخل بين سبعين إلى مائة وستين نخلة وبمعدل مائة وعشرين نخلة، بينما يرتفع العدد في ساحل الباطنة إلى مائتي نخلة في الفدان^(٢٩٢).

هذا ويستفاد من مساحة الأراضي الفاضية بين أشجار النخيل بزراعة الخضر والبقوليات والمحاصيل الحقلية الأخرى والعلف الحيواني، ذلك لمدة تصل إلى سبع سنوات، لكي تستفيد النخيل من الحرارة المتكررة والأسمدة التي تضاف لهذه المحاصيل، وبعد أن تنمو أشجار النخل وترتفع يغرس إلى

^(٢٨٩) المحراث: آلة خشبية مربوطة بحبال بالويج الذي يوضع على سنام الثور، وبأسفل هذه الآلة قطعة حديدية مدببة لشق الأرض، فتعزق الأرض في خطوط طويلة، ثم تعزق في خطوط عرضية وبذلك يتم حرثها.

^(٢٩٠) تعرف الأحواض المذكورة محلياً بالجلب (جمع) مفرداً جلبة والجدول "دك" مفرد جمعها جداول "دكوك" انظر السالمي، عبدالله بن حميد: جوهر النظام ج٣ ص ٤٢٩ حيث يقول:

فالجداول الوعب على السواقي أو غيرها من كل وعب باقي
وذلك الوعب يسمى دكا في عرف بعضنا لننفي الشكا

^(٢٩١) الفدان (مفرد) تجمع أفدنه ويساوي الفدان أربع مائة قصبه مربعة "سريانية" المنجد في اللغة والأعلام.
^(٢٩٢) نخيل التمر، نشرة إرشادية ١٩٨٢ ص ٢٠.

جانبها أشجار الفاكهة مثل الحمضيات من ليمون وغيره، والمانجو والموز والعنب والتين والرمّان والجوافة^(٢٩٣) مع الاستمرار في تسميد هذه الأرض، وريها جيداً وتغرس هذه الأشجار في خطوط منفصلة عن أشجار النخيل، حتى لا تمنع عنها أشعة الشمس والهواء الطلق، لكونها العاملين الأساسيين بعد التربة الخصبة والماء العذب، التي تساعد شجرة النخيل على النمو والإنتاج الجيد.

هذا وتتم عملية الحرث وإضافة السماد الحيواني خاصة سماد البقر دورياً كل عام، أما الري فيتوقف على نوعية التربة وخصوبتها وفصول السنة، لذا تراوحت فترات الري بين عشرة أيام وزيادة هذا في المناطق الخصبة وفي فصل الشتاء، أما في فصل الصيف فالأرض الخليطة بالرمل والحصى لا تتحمل المزروعات أكثر من أربعة أيام إلى خمسة في سهل الباطنة أما الأراضي المحاذية للصحراء فلا تزيد عن ثلاثة أيام^(٢٩٤).

وكما قلنا سابقاً يتم تقسيم المزرعة الواحدة إلى عدة أحواض "جلب" تتوقف سعتها بناء على خصوبة التربة وجودتها، وتوفر المياه، فإذا كانت التربة جيدة ذات خصوبة مرتفعة والمياه متوفرة تكون هذه الأحواض واسعة تسع الواحدة منها عشر نخلات أما إذا كانت بخلاف تلك الأوصاف صغرت مساحتها بحيث لا يزيد عدد النخيل فيها عن ثلاث نخلات، وتخصص لها كمية السماد المخصصة لتلك العشر^(٢٩٥).

التلقيح:

^(٢٩٣) الجوافة: تسمى في عمان الزيتون، لأن الزيتون بالمفهوم العربي العام والذي يزرع في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي يسمى في عمان العتم وينمو بنفسه في الجبل الأخضر كشجرة برية دون أن يعتني به المزارع.

^(٢٩٤) العبري: حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ٣ ص ١٣.

- لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج ١ ص ٣٣٢.

- ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٥٧.

- نخيل التمور - نشرة إرشادية وزارة الزراعة والأسماك سلطنة عمان ص ٢٠ و ٢٢.

^(٢٩٥) ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٥٦.

تبدأ شجرة النخيل السليمة القوية في الإنتاج بعد عامين من غرسها إذا ما توفرت لها الظروف الجيدة، من تهوية وأشعة شمس ساطعة وأرض خصبة وكميات من الماء والسماد كافية وتبدأ ظهور الثمرة وتعرف في عمان بالطلع في الفترة من الأسبوع الأول من شهر يناير وحتى نهاية شهر فبراير. وتتم عملية التلقيح في عمان بواسطة الإنسان الذي يضع حبوب اللقاح "المأخوذة من شجرة النخيل المذكرة الفحل" ذات الأصناف الجيدة على غريض النخلة المؤنثة "القب" بعد انشقاقها وحسب الكمية التي تحتاجها كل نخلة.

هذا وتتوفر في الفحول الجيدة الصفات التالية:

- أن تكون كيزانها قوية ومبكرة الأثمار كبيرة الحجم، كثيرة العدد.
- وأن تكون حبوب اللقاح فيها ذات حيوية عالية ورائحة شديدة نفاذة.
- وأن لا تتساقط أزهارها عند تجفيفها^(٢٩٦).

هذا وللمحافظة على قوة النخلة، والمداومة على إعطاء محصول جيد، يقوم "البیدار"^(٢٩٧) الفلاح بقطع بعض الثمار الزائدة من شجرة النخيل المؤنثة وتسمى هذه العملية "التخفيف" لأنها لو تركت هكذا بدون تخفيف لأصبحت النخلة متذبذبة في إنتاجها فتعطي في هذه السنة محصولاً كبيراً، في حين يقل محصولها في العام القادم وقد ينعدم إذا كانت قد أكثرت في هذا العام مما يضعفها في العام التالي، كذلك تساعد عملية التخفيف في كبر حجم العذق وحجم الرطب "البلح نفسه".

التقويس "الحدار أو التخليج":

^(٢٩٦) نشرة إرشادية عن نخيل التمور ص ٢٢-٢٦.

^(٢٩٧) البیدار (مفرد) تجمع بيادير: هو الفلاح الذي يقوم باحتياجات النخلة من ري وتلقيح عند طلوع ثمرتها وبعد ذلك عند حصاد ثمارها من خراف الرطب أي جني الرطب والجدا، أي قطع عذوق النخلة بعد أن تصير تمراً، ويأخذ مقابل ذلك أكبر وأحسن عذق يختاره من عذوق النخلة الواحدة، انظر ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٦٥.

بعد إتمام عملية التلقيح والإخصاب، ويكبر حجم الثمار، والتالي حجم العذوق، فإذا تركت كما هي فإنها ستتكدس بين السعف مما يعرضها للتلف بتأثير الأشواك، وهنا يتدخل الفلاح فيقوم بتدليتها بين السعف "تسمى الزور" بصورة مرتبة وحررة معرضة للضوء والهواء لتأخذ الحجم واللون الطبيعيين عند النضج، فيوضع العذوق الواحد حسب حجمه على سعفه واحدة أو اثنتين، ويربطه برباط مصنوع من ليف النخيل على تلك السعف المحمول عليها حتى لا يتدلى كثيراً مما يؤدي إلى انكساره عندما يكبر حجمه ويثقل وزنه. وأن تكون العذوق في النخلة الواحدة على مستوى واحد تسمى الحدره^(٢٩٨).

جني الثمار "حصاد أو جمع المحصول":

قال تعالى (والنخل باسقان لها طلع نضيد رزقا للعباد)^(٢٩٩).

يبدأ جني ثمار النخيل في عمان ابتداء من شهر إبريل للأصناف المبكرة ويستمر لمدة سبعة أشهر تقريباً أي حتى شهر أكتوبر للأصناف المتأخرة. ومن المعلوم أن عملية جني الثمار تأتي على فترات متعاقبة، حيث أن كل مجموعة من أصناف النخيل يحين وقت جنيها في وقت واحد، ويستمر لفترة ثم يحين موعد جني ثمار مجموعة أصناف أخرى وهكذا طيلة الأشهر السبعة الأنفة الذكر، هذا وتتوقف فترة جني الثمار واستمرارها على الظروف الجوية وصنف النخلة، والكيفية التي يستهلك فيها المزارع لهذا الصنف من الثمار فمنها ما يستهلكه بسراً، ومنها رطباً وتمرأ، وصنف ثالث تمرأ فقط، وصنف رابع طعاماً للحيوانات فقط حيث لا يصلح للإنسان، وتتم عملية الجني بتسلق شجرة النخيل مباشرة ما دامت النخلة صغيرة العمر وقصيرة الطول لكن كلما زاد عمر النخلة وطولها صعب على المرء تسلقها هكذا مباشرة^(٣٠٠) مما يستدعي الأمر استخدام الحبل ويسمى "حبل

^(٢٩٨) نخيل التمر (نشرة إرشادية) ص ٢٦ و ٢٧، والرازي: مختار الصحاح ص ١٧٣.

^(٢٩٩) سورة ق آية ١٠، ١١.

^(٣٠٠) نشرة إرشادية عن نخيل التمر في عمان ص ٢٧ و ٢٨.

الطلوع"^(٣٠١)، وحبل آخر يسمى الميراد لربط الإناء الذي يوضع فيه الرطب وهذا الإناء مصنوع من سعف النخيل فإن كان صغير الحجم فهو المبدع أو الزمبيل وإن كان كبير الحجم فهو القفير. وتتم عملية جني الثمار وحصادها بثلاث مراحل هي:

مرحلة البسر:

وفيها يكون حجم الثمرة قد اكتمل، وتحول ولونها إلى الأحمر أو الأصفر حسب صنف النخلة وتكون المادة السكرية التي تحتوي عليها قد اكتملت وعقدت تماماً بها. وهنا يبدأ حصاد بعض أصناف النخيل كالمبسلي، والبدعة، وبونارنجة، والمدلوكي، فنقطع "تجد"^(٣٠٢) عذوقها، وتسمى عملية الجني هذه "الجداد" ثم تفتك الثمار حبة حبة وتعزل كل حبة لم يكتمل لونها. وغير الصالحة أو تلك التي تحولت إلى رطب، لأن الشرط لطبخه أن يكون بساً خالصاً، ويطبخ في قدر كبيرة "تسمى المرجل"^(٣٠٣) طبخاً جيداً، ثم تنتشر في مكان معرضة لأشعة الشمس والهواء الطلق حتى تجف تماماً، وهنا يصبح اسمه البسر أو المبسل.

وبعد ذلك تجمع في أكياس وتحمل إلى موانئ التصدير إلى الهند المستهلك أو المشتري الأول لها.

مرحلة الرطب:

(٣٠١) حبل الطلوع: عبارة عن مجموعة جبال صغيرة متداخلة بعضها ببعض وملفوفة بقطع من النسيج لإخفاء خشونة حبال الليف، ويربط أحد طرفيها بحبل سميك جداً وطويل وبالطرف الآخر فتحة، وعند الصعود إلى النخلة يلف الحبل الطويل حول جذعها ثم يدخل في فتحة الطرف الآخر، ويضع الصاعد مجموعة الحبال وراء رقبته وعند وصوله إلى مستوى الثمرة ينزله إلى وسطه ويستمر في جني الثمار وبعد انتهائه يربط الإناء في الميراد وينزله إلى الأرض.

(٣٠٢) جد الشيء جداً: قطعه قطعاً. انظر المنجد في اللغة والأعلام. مادة جد.

(٣٠٣) تبنى بناية من الطين ثم تغطي جدرانها من الخارج بالصاروج العماني لقدر واحد أو لقدرين كبيرين، ويوضع تحتها فتحتين لإدخال الخشب ولإشعال النار، ولها فتحة ثالثة شبيهة بالبرج تسمى المدخنة لخروج الدخان ويسمى هذا المبنى التركيبية ويكون قربها بئر ماء لتلبية عملية الطبخ لما تحتاجه من الماء.

مرحلة يستمر جني الثمار فيها مدة أطول حيث يتم جني الرطب على فترات عدة بين كل يومين أو ثلاثة أيام^(٣٠٤).

مرحلة التمر "مرحلة الجداد":

هي المرحلة الأخيرة في جني ثمار النخيل وتعرف بمرحلة الجداد وتعني مرحلة قطع عذوق النخلة، ففيها تكون الثمار قد نضجت جيداً وتكون بها أعلى نسبة من السكر، وأقل نسبة من الرطوبة فتكون بذلك تمراً خالصاً^(٣٠٥).

وعند قطع العذوق^(٣٠٦) يوضع تحت النخلة بساطاً تفادياً لوقوع الثمرة على التربة ثم يورد كل عذق بواسطة حبل يسمى الميراد يكون طرفه عند الجداد بأعلى النخلة. بينما يكون طرفه الآخر في الأرض عند الشخص الذي يتلقى العذوق وتكون هذه الطريقة أسلم للثمرة من التهتك ومن الوقوع على التراب وأسرع لسير عملية الجداد.

ثم تحمل الثمار لتتشر في مكان معرض لأشعة الشمس والهواء الطلق لكي تكون صالحة للحفظ في أكياس من سعف النخيل تسمى "ظروفاً"^(٣٠٧) وتسمى عملية وضعها في الظروف "الكناز"^(٣٠٨) ويسمى الظرف بعد عملية الكناز "بالجراب"^(٣٠٩) هذا إذا كان ذلك التمر معد للبيع والاتجار به. أما إذا كان للأكل الخاص للأسرة فغالباً ما يكنز في أناء من الفخار يسمى

(٣٠٤) انظر -ابن النظر: الدعائم ج ١ ص ٢٩٤.

السالمي ، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٦٠.

(٣٠٥) نشرة إرشادية عن نخيل التمور ص ٢٧.

(٣٠٦) العذوق (جمع) مفرداً عذق: ما تحمله النخلة من تمر.

(٣٠٧) ظروف: مفرداً ظرف.

(٣٠٨) من الفعل كنز الشيء في وعاء غمزه بيده، وكناز بفتح الكاف أو كسرهما: جعله كنيزاً واكتنز الشيء اجتماعاً وامتلاً.

(٣٠٩) الجراب (مفرد) جمعها جرب: وهو وعاء من سعف النخيل التمر يتسع لأربعة أقفر من التمر عند كنزه.

"الخرس"^(٣١٠) هذا بالنسبة للإناء الكبير أما الصغير فيسمى "جر" وتحفظ الأجر في مخزن تنضد^(٣١١) به نضداً فوق بعضها بعض التهوية وذلك حتى يجري دبسه الذي يعرف في عمان باسم "عسل النخل" في جداول صغيرة تحت الأجر بنيت خصيصاً لهذه العملية، ويسيل العسل منها إلى حوض أو إناء فخاري وضع في منتصف هذا النضد، وعندما يمتلأ يفرغ الحوض أو يبدل ذلك الإناء، بإناء آخر، وبفعل الضغط الواقع على أجر التمر بعضها فوق بعض وبارتفاع درجة حرارة المكان لعدم تهويته تسيل كميات لا بأس بها من الدبس بخلاف لو وضعت تلك الأجر في الهواء الطلق.

أسلوب زراعة الفواكه والحمضيات:

تزرع أشجار الفاكهة والحمضيات بجانب أشجار النخيل كمحاصيل مكملتها في ذلك البستان والطريقة المتبعة لغرس الحمضيات فتنم بالآتي:

يدفن جزء من فرع الشجرة الأم في الأرض وهو متصل بأمه حتى يتم تكوين الجذور عليه في الأرض. ثم يفصل بعد ذلك من أمه فيصبح نبات جديد مستقل بذاته. وتستمر هذه الشتلة في مكانها المؤقت لمدة "٣-٦ شهور" وقد تصل إلى عام كامل. ثم تنقل إلى مكانها الدائم المخصص لها في البستان وذلك في الفترة من شهر نوفمبر وحتى شهر فبراير في جميع مناطق عمان ماعدا ظفار فيمكن غرسها في هذا الموسم إضافة إلى موسم الخريف في ظفار "من شهر يونيو إلى شهر سبتمبر"^(٣١٢)

بعد أن تنمو الشتلات في مكانها الجديد والدائم، يختار المزارع أحسن فروعها نمواً وأقواها عوداً، وتقطع الفروع الأخرى لیتاح لذلك العود النمو، ويستمر في إزالتها حتى يبلغ طوله (٦٠ سم) أو ذارع ونصف، وبعد أن يتم نموها وتبدأ في إعطاء ثمارها، يقوم المزارع بعسف أغصانها بسعفه من

^(٣١٠) الخرس (مفرد) تجمع خروس.

^(٣١١) نضد المتاع: ضمه إلى بعضه متسقاً ومركوماً. انظر -الرازي مختار الصحاح والمنجد في اللغة والأعلام.

^(٣١٢) انظر نشرة إرشادية عن زراعة الموالح في عمان ص ٢٧ و ٣١.

سعف النخيل فتنساقط ثمارها وأوراقها، لأن الصعود عليها صعب لكثرة أشواكها، ثم لهدف آخر هو تساقط أوراقها القديمة، لتنمو أوراق جديدة وثمره جديدة، ويتم حصاد الليمون في عمان في فصل الصيف وبالذات في شهر أغسطس، هذا وللحصول على محصول إضافي آخر، يقوم بعض المزارعين في منع الري عن أشجار الحمضيات خاصة الليمون، "وتسمى هذه العملية التصويم" وذلك بعد فترة جني المحصول العادي السنوي لمدة شهر واحد أو شهرين، ثم تحرث الأرض أو تعزق وتسمد الأشجار وتروى جيداً بعد ذلك التعطيش وبذلك تزهر الأشجار مبكراً في أكتوبر ونوفمبر لتعطي محصولاً مبكراً وإضافياً في الموسم الواحد^(٣١٣).

بعد جمع الثمار توضع في أشعة الشمس لتجف ثم تعبأ في أكياس مصنوعة من الجوت ويعتبر الليمون المحصول الثاني بعد التمور في المحاصيل الزراعية المصدرة من عمان كما تزرع بواسطة الشتلات، أو العقل كل من العنب والتين والرمان والتوت المعروف محلياً "بالفرصاد" فتقطع من أمها ثم تغرس في أماكنها الدائمة المحددة لها ومن أهمها أشجار العنب وتنقل شتلات العنب تلك إلى أخدود من الأرض في مكان مشمس وهواء طلق ويضاف إليه كميات من السماد الطبيعي، لذا تستدعي زراعته في الأراضي شبه الحقلية المنعزلة عن الأشجار الكبيرة كالنخيل وما شاكلها. وعندما يبدأ في الإثمار تقام له معرشات أو الدوالي^(٣١٤) والتي تعرف محلياً باسم "المحاشي" من جذوع النخل وسعفها وتربط بالحبال، لتتدلى منها عناقيد العنب. أما الموز فطريقة غرسه شبيهة لغرس فسائل النخل وتسمى فسيلة الموز "الجرو" وتنقل مباشرة من تحت أمها لتغرس في حفرة مهياة لها، ويحتاج شجر الموز إلى كميات كبيرة من السماد حتى ينتج جيداً وأن يكون الماء دائماً تحتها، وأن يكون في أرض محمية من الرياح الشديدة والشمس المحرقة لذا يغرس بين الأشجار الكبيرة خاصة النخيل.

(٣١٣) نشرة إرشادية عن زراعة الموالح في عمان، ص ٣٨-٤٠.

(٣١٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ١٧٥.

أما أشجار الفواكه الأخرى فتزرع كبدور ومن أهمها الأمبا "المانجو" وجوز الهند المعروف في عمان "بالنارجيل" الذي يعتبر أهم فاكهة بظفار فهو بمثابة نخلة ظفار.

أسلوب زراعته:

تنتخب ثمار جوز الهند المراد زراعتها من نخيل جوز الهند ذات الصفات الجيدة منها:

- أن تكون تلك الأشجار متوسطة العمر، قوية ذات أوراق سليمة وتاج كبير وقوي.
- جيدة الأثمار، منتظمة في ثمرتها، لا تسقط ثمارها قبل فترة نضجها.

تجمع هذه الثمار للزراعة بعد نضجها جيداً وقبل أن تسقط على الأرض أي في عمر (١١-١٢ شهراً) ودليل نضاجها لونها البني وكمية الماء داخلها بسماع الصوت المميز عند هزها بين الأصابع وأن لا تكون متشققة أو جافة توضع هذه الثمار في ظل لمدة شهر واحد حتى يصبح غلافها اللين صلباً لأن هذا يساعد على الإنبات. تزرع هذه الثمار في تربة المشتل الرملية الخفيفة الجيدة الصرف وتعمل لها أحواض مرتفعة عن مستوى أرض المزرعة المحيطة بها. وعند زراعتها توضع الثمرة رأسياً وتروى بانتظام خاصة في الجو الجاف مرة كل يومين أو ثلاثة أيام، ثم تغطي تلك الأحواض بألياف ثمار جوز الهند للمحافظة على استمرار رطوبة التربة ولمنع الحشائش الضارة من النمو عليها.

بعد حوالي ثمانية أسابيع من زراعتها تنبت الثمار. وتبقي في المشتل لمدة (٩-١٢) شهراً ثم يتم اختيار الشتلات القوية السليمة ذات الأوراق جيدة النمو والجذور الكثيفة القوية وتنقل متصلة بقشرة الثمرة التي نبتت منها لأنها تحافظ على تماسك الشتلة. عند نقلها إلى الأرض المستديمة المعدة لها توضع كل شتلة في حفرتها باتساع "٣×٣×٣" قدم. وبين الشتلة والأخرى التي قبلها مسافة "٧-٩ أمتار" في تربة متوسطة الخصوبة وتغرس الشتلات في موسم الخريف بظفار. وتحترث الأرض المزروعة بجوز الهند مرة كل

عامين هذا وتعطي نخيل جوز الهند ذات الأصناف الطويلة الثمرة بعد ستة إلى سبعة أعوام بينما قصيرة الثمرة فبعد أربعة إلى خمسة أعوام^(٣١٥).

أسلوب الزراعة في الجبل الأخضر:

أسلوب الزراعة في الجبل الأخضر يختلف عما عليه الحال في أسلوب الزراعة في السهول الداخلية والساحلية، حيث أن الزراعة في الجبل الأخضر تقوم على نظام زراعة المصطبات أو المدرجات الجبلية، وبطبيعة الحال تكون المساحة المنزرعة فيها ضيقة، ومتدرجة بخلاف الأرض السهلية التي تتصف بالسعة والاستواء، لذا يصعب استخدام الثور أو أي حيوان آخر لحرث الأرض، فيضطر الإنسان الاعتماد على عضلاته في عزق الأرض، وطريقة الري تتوقف على نوع واحد هو الينابيع، التي تحول إلى أفلاج صغيرة وليس هناك آبار ولا زاجرة لسحب المياه منها^(٣١٦).

وتتوفر فيه مختلف أنواع الفواكه والمزروعات الحقلية، والخضروات، التي تتناسب مع مناخ الجبل الأخضر البارد شتاء والمعتدل صيفاً، وسنتطرق على ذكرها عند حديثنا عن المحاصيل الزراعية.

الأراضي الحقلية:

هي الأراضي الخارجية التي تأتي وراء بساتين النخيل والفواكه الزراعية التي سبق الحديث عنها، فالزراعات الحقلية كالقت "البرسيم" و"الحبوب" القمح والذرة بأنواعها "والبقوليات والخضروات بأصنافها المختلفة بحاجة إلى الهواء الطلق وأشعة الشمس الساطعة لذا خصصت لها هذه الأراضي المكشوفة البعيدة عن ظل الأشجار الكبيرة^(٣١٧) وتعرف هذه الأراضي في

^(٣١٥) انظر "نشرة" نخيل النارجيل، إعداد مجموعة من الخبراء الزراعيين ص ١٠-١٤.

^(٣١٦) انظر نشرة الفاكهة في الجبل الأخضر ص ٢-١٢ وعمان المنطقة الداخلية والوسطى ص ٩٥.

^(٣١٧) ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان، ص ٥٨.

- مجلة الدراسات العمانية ص ١١٠ بحث بعنوان ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة.

- كذلك نفس البحث نشر ككتيب مستقل ص ٧٣.

عمان باسم "العوابي مفردها عابية"^(٣١٨) أما أسلوب الزراعة فيها فتتم حسب نوع المحصول، فإن كان المزروع قمحاً حُرثت الأرض مرتان وأزيل ما بها من أحجار وحشائش ضارة وأضيف إليها السماد ثم تنثر البذور وتمهد الأرض وتقسم إلى أحواض ثم تروى للمرة الأولى، وبعد ذلك يتم ري المحصول حسب حالة المناخ في المنطقة المزروع فيها. أما حصاده فيكون في الفترة من نهاية شهر مارس وحتى نهاية شهر إبريل^(٣١٩)، أي بعد نضجه واكتمال حجم الحبوب واصفرارها لكن قبل أن تنفرط عن السنابل ويحصد القمح في عمان يدوياً حيث تجز أولاً الأغصان بالمناجل ثم تحمل إلى مكان مشمس مخصص وممهد لدراسة القمح والشعير وغيرها من الحبوب لكي لا تختلط الحبوب بالأتربة والحصى. وهناك تقطع السنابل وتوضع في كومة كبيرة، وتكون عملية الدراسة "الدوس" بأن يضرب مجموعة من الرجال الأشداء تلك الكومة بمضارب خشبية سميكة حتى تنفصل الحبوب عن التبن الذي يذرونه في الهواء ويستمررون في ذلك حتى تصفى الحبوب من القشور والشوائب فيجمعونها في أكياس وتحفظ في أماكن بعيدة عن الرطوبة، وما ينطبق على القمح ينطبق أيضاً على الحبوب الأخرى كالذرة والشعير والشوفان "الذي يعرف بالبازري" والعلس^(٣٢٠).

أنواع الحاصلات الزراعية في عمان:

بعد أن تطرقنا بإسهاب عن الموارد المائية في عمان وعن أسلوب الزراعة فيها من حيث تخصيص نوع من الأراضي لمجموعة من المحاصيل المتشابهة في الحجم والمتقاربة في البيئة الصالحة لها. والطريقة التي تزرع بها والكيفية التي يتم حصادها بها.

نأتي الآن لنتحدث عن أنواع الحاصلات الزراعية وأين يوجد كل محصول منها.

^(٣١٨) مجلة الدراسات العمانية ص ١١٠.

^(٣١٩) تبدأ زراعة القمح في شمال عمان من منتصف شهر نوفمبر وقد تمتد إلى منتصف شهر ديسمبر أما في جنوبها -إقليم ظفار- فتبدأ الزراعة المبكرة من أواخر شهر أكتوبر إلى منتصف نوفمبر، أما المتأخرة فتكون من خلال شهر نوفمبر حتى منتصف شهر ديسمبر.

^(٣٢٠) انظر -الكندي، أحمد بن عبدالله: المصنف ج ٦ ص ٢٢١.

نشرة، زراعة القمح في عمان ص ١٤-٢٠.

محاصيل الخضر:

تعتبر محاصيل الخضر من أكثر المحاصيل الزراعية انتشاراً في مختلف المناطق الزراعية ويتم زراعتها في موسمين أساسيين هما الموسم الشتوي والموسم الصيفي. أهم محاصيل الخضر الشائع زراعتها في عمان خلال فترة دراستنا:

البصل والثوم، الفلفل، البطاطس الحلوة (الفندال) الجزر، الفجل، القرع العسلي المعروف "بالبوبر" القرع الأخضر "الحاشي" الخيار، الباذنجان، الكزبرة "الجلجان" البقدونس والخردل القثاء الخ.

ثم البطيخ الأحمر "الجح" الشمام "البطيخ الأصفر" وهذان الصنفان يعتبران في عمان فاكهة وليست خضر.

المحاصيل الحقلية:

أهمها الحبوب الغذائية وهي القمح، الشعير، الذرة، البازري، العلس والدخن^(٣٢١) والحمص "الدنجو" الفول "الباقلاء" اللوبيا الفاصوليا، والغرغر والحلباء والعدس والماش "المنج" والسسم.

أما الحاصلات الحقلية التي تدخل في الصناعة: فيأتي محصول القطن في مقدمتها بنوعيه الأبيض والبنّي، الذي يعرف في عمان بـ"الخضرنج" وقد خص الله به عمان عن غيرها في المنطقة وقصب السكر الذي يزرع بكثرة خلال فترة دراستنا خاصة في السهول الداخلية من البلاد^(٣٢٢).

^(٣٢١) العلس: نوع من السلب حسب تعريف ابن بطوطة بينما عرفه الكندي بأنه الشعير الأقشر، أما الدخن: فهو حب الجاروس أو أصغر منه وهو أملس وربما هو القرطم، عبدالمعمر عامر محقق الدعائم لابن النظر.

^(٣٢٢) انظر - البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٤.
- والبكري: جزيرة العرب ص ٣٧.
- ورحلة ابن بطوطة ص ١٧٣ عن المحاصيل.
- الكندي: المصنف ج ٦ ص ٢٢٠-٢٢٢.
- الشقصي: منهج الطالبين ج ٥ ص ١٠٩-١١٠.

محصول التمور:

تعتبر أشجار النخيل أهم الأشجار المثمرة المنتجة في عمان على الإطلاق، حيث تجود زراعتها في غالبية سهولها ما عدا سهل ظفار كما بينا من قبل.

وتتعدد أصناف النخيل وجودتها من منطقة لأخرى وتعتبر سهول الداخلية والشرقية والظاهرة من أفضل المناطق إنتاجاً ونوعية، ويعود ذلك للظروف المناخية الملائمة لنموها وإنتاجها، كما أن التربة الطينية الجيدة الخصوبة العامل الهام لتلك الجودة في النوعية.

أهم أصناف النخيل:

يصل عدد أصناف النخيل في مختلف مناطق عمان إلى ما يقرب من مائتي صنف وأهم أصنافها في السهول الساحلية:

دموس (قش منومة)، قديمي، خمري، صلاني، وأم السلا، التي تعتبر أهم أنواع النخيل في سهل الباطنة من حيث انتشارها وكثافة إنتاجها.

أما في المناطق الأخرى فأهم أصنافها:

مزناج، منحي، نغال، قش قنطرة مبسلي، مدلوكي، حنظل برشي، برني، ثم الخنيزي، الخلاص والزبد وتعتبر الثلاثة الأنواع الأخيرة من الأصناف الفاخرة والممتازة في عمان ثم الهلالي والفرض والخصاب فهي الأصناف الأخيرة زمنياً من حيث المحصول ويعتبر رطب الخصاب من أحب الأنواع رطباً عند العمانيين بينما الفرص من أهمها تماًراً أكلاً وتجارة^(٣٢٣).

- ابن وصاف: شرح الدعائم ج١ ص ٢٨٧ و ٢٩٦.

- ثم خطوات على طريق التنمية ص ١٠-١١.

^(٣٢٣) عن محصول التمر انظر:

البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٤، الاصطخرى: مسالك الممالك ص ٢٥، ابن النضر، الدعائم ج١ ص ٢٩٢-٩٤، السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٦٠، أحمد شليبي: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٣٠.

الموالح:

تنتشر زراعة الموالح في جميع مناطق عمان الزراعية، ويعتبر الليمون الحامض أكثر أنواع الموالح انتشاراً في عمان، كما أن المساحة المزروعة بالليمون تلي مساحة النخيل، وتوجد منه في عمان سلالات عديدة منها سلالات ممتازة الصفات وتختلف ثماره حسب سلالته فمنها كروي إلى مستطيل أو كمثرى الشكل، كما تختلف أحجامه من صغيرة وهي الشائعة إلى متوسطة وكبيرة وهي محببة القشور، وعلى العموم فالليمون العماني غزير الإنتاج وثماره عصيرية عالية الحموضة، ويعتبر فصل الصيف هو فصل حصاده، لكن لا يمنع من وجود ثماره طوال العام

النارنج والأترج:

ذكر آدم متز نقلاً عن المسعودي: أن شجر النارنج والأترج المدور قد جلب إلى عمان من "الهند فيما بعد عام ثلاثمائة هجرية، فزرع بعمان. يعرف النارنج علمياً بالبرتقال الحامضي وتنشر أزهاره عند تفتحها رائحة زكية نفاذة، ثماره متوسطة الحجم لونها برتقالي محمر عند النضج، طعمه يميل إلى الحموضة، رائحته قوية "تسمى الشخاخ".

توجد منه بعض السلالات ذات طعم حلو مع شئ من المرارة ربما هو الأترج السابق ذكره والمعروف محلياً بالسفرجل وهو نوعان عماني وبحري^(٣٢٤).

متولي: حوض الخليج العربي جـ ٢ ص ٣٠٥-٣٠٦، متولي ومحمود أبو العلا جغرافية الخليج ص ٢٦٧، لوريير: دليل الخليج، القسم الجغرافي جـ ١ ص ٣٣٢، مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢١، خطوات على طريق التنمية ص ٢١-٢٧ "تبلغ المساحة المزروعة بأشجار النخيل ٢١ ألف هكتار تمثل ٩ و ٨٣% من المساحة الكلية لعمان ويقدر عدد النخيل فيها بثمانية ملايين نخلة ويصل متوسط إنتاج النخلة الواحدة حوالي ستين كيلو جرام". وعن أصنافه وأوصاف كل منها انظر قصيدة النبھاني عبدالله بن سليمان في كتاب شقائق النعمان علي سموط الجمال.. الخ، لمؤلفه محمد بن راشد الخصيبي جـ ١ ص ٣١٨-٣٢٠.^(٣٢٤) الأصطخري: كتاب مسالك الممالك ص ٢٥.

- متز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ ٢ ص ٣٠٦.
- السالمي، محمد بن عبدالله نهضة الأعيان بحرية عمان ص ٦١.
- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٢.

الليمون الحلو "البانج":

تنتشر زراعته في غالبية عمان، ثماره مستديرة الشكل، قشرتها رقيقة ناعمة مذاقه حلو (سكري). به بعض المرارة.

الليمون المخرفش (الشاموم):

أشجاره أكبر حجماً وأقوى نمواً من الليمون العادي الحامضي، وثماره أكبر حجماً من ثماره. شكله شبيه بالبرتقال بوصرة لكنه محبب، وطعمه أقل حموضة من الليمون الحامضي، وهناك نوعان من الموالح ثمارهما قليلة الحموضة لكن الحجم يعرف أحدهما بالمركب والآخر بالوهق لكنهما ليسا بذلك الانتشار كبقية أصناف الموالح السابق ذكرها.

الأمباء "المانجو أو المنجة":

تزرع أشجار الأمباء في غالبية المناطق السهلية ولكنها تتركز بشكل خاص سهل الباطنة والمنطقة الشرقية، والظاهرة، ويقال أن النباهنة هم الذين جلبوها إلى عمان من الهند خلال فترة حكمهم لعمان. ويوجد منه في عمان عدة أصناف.

وهناك فواكه أخرى عديدة في عمان منها التين بنوعيه الأبيض والأسود والجوافة المعروفة محلياً باسم "الزيتون". والتوت المعروف محلياً باسم "الفرصاد" والبيذام المسمى قديماً بالجلوز^(٣٢٥).

أهم فواكه ظفار:

-
- لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج ١ ص ٣٣٢ زراعة الموالح ص ٧-٨.
 - (٣٢٥) انظر -ابن وصاف: شرح كتاب الدعائم لا بن النظر ج ١ ص ٢٨٧
 - السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٤ و ٦٠-٦١.
 - مايلز: الخليج بلدانه وقيائله ص ٣١٩-٣٢٢.
 - ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٢٤.
 - نشرة زراعة الموالح ص ٢٢-٢٣.

يشتهر سهل ظفار بثلاثة محاصيل زراعية تعتبر من أهم محاصيلها الزراعية وهي على التوالي:

جوز الهند (النارجيل):

تعتبر ظفار من المناطق النادرة في العالم العربي لزراعة وإنتاج جوز الهند وذلك لظروفها البيئية الملائمة لنموه وأثماره، وتتركز زراعته في سهلها الساحلي.

ويعتبر النارجيل نخلة ظفار لأنه أهم محاصيلها الغذائية، وحيث لا تجود زراعة النخيل بها وإن نبت فهي لا تعطي محصولاً قط وقد شبه ابن بطوطة^(٣٢٦) جوز الهند بالنخيل "وشجره شبه شجر النخيل لا فرق بينهما، إلا أن هذه تثمر جوزاً وتلك تثمر تمرأً وجوزها يشبه رأس ابن آدم، لأن فيها شبه العينين والفم، وداخلها يشبه الدماغ، إذا كانت خضراء وعليها ليف يشبه الشعر".

الموز: مع أن زراعة الموز تنتشر في غالبية سهول عمان لكن معظمها تتركز في سهلي الباطنة وظفار، وبالذات سهل صلالة حيث تمتاز أرضه بأعلى إنتاجية من غيرها. كما أن نوعية الثمار الناتجة فيها تفوق مثيلاتها في أي منطقة أخرى، ووصفه ابن بطوطة "وبهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجرم، وزنت بمحضري حبة فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية^(٣٢٧) وهو طيب الطعم شديد الحلاوة"^(٣٢٨).

^(٣٢٦) ولجوز الهند خواص يمتاز بها كما ذكرها ابن بطوطة "تقوية البدن وإسراع السمن والزيادة في حمرة الوجه... ومن عجائبه أنه يكون في ابتداء أمره أخضر فمن قطعه وفتح رأس الجوزة شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة وجرد بها مافي داخل الجوزة من الطعم، فيكون طعمها كطعم البيضة إذا شويت ولم يتم نضجها "ويتعدى به" وهو ما يعرف اليوم بعيون البيض، كذلك لازالت طريقة شراب مائه وأكل ما بداخل هذه الجوزة مستعملة إلى الآن حيث البائع يقطع للمشترى بهذه الطريقة.

^(٣٢٧) الاثنتي عشرة أوقية = رطلاً واحداً لأن الرطل = اثنتي عشرة أوقية أو ٢٥٦٤ غراماً (آرامية)

انظر المنجد في اللغة الإعلام. يوجد هناك موز كبير الحجم جداً.
^(٣٢٨) عن فاكهة ظفار انظر: رحلة ابن بطوطة ص ١٧٥-١٧٦ الأخطري: كتاب مسالك الممالك ص ٢٥ وابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٤. متولي وأبو العلا: جغرافية الخليج ص ٢٦٨. مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢١، خطوات على طريق التنمية ص ٢٧-٢٨.

الفيفاي "الباباي":

جلب إلى عمان من شرق أفريقية والهند، وتعود زراعته في كل سهول البلاد وسهل ظفار بصفة خاصة، فمحصوله أكثر جودة من غيره حيث يمتاز بغزارة إنتاجه وكبر حجمه، ويأتي كثالث محصول زراعي في الأهمية في ظفار بعد جوز الهند والموز^(٣٢٩).

أهم فواكه الجبل الأخضر:

نظراً لارتفاع الجبل الأخضر وقممه الشاهقة فإن مناخه يكون معتدل الحرارة صيفاً يميل للبرودة شتاءً. لذا تنمو فيه نباتات وأشجار المنطقة المعتدلة. قال سبحانه وتعالى: (وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشبهه)^(٣٣٠).

ومن أشهر فواكه العنب بنوعيه الأبيض والأسود، وإن كانت زراعته منتشرة في السهل الداخلي للبلاد، إلا أنها أكثر محصولاً وإنتاجاً بمدرجات الجبل الأخضر. فهناك فائض عن استهلاكه كفاكهة، فيجفف إلى زبيب أو يصنع منه الخل والنبيد خاصة في عهد نبي نبهان.

كذلك يجود به محصول الرمان أكثر من غيره المناطق، وذلك لكثرة محصوله وكبر حجم ثمرته وحلو مذاقه ويوصف بأنه أكثر احتمالاً من غيره حتى أن قشرة ثمرته الخارجية تجف دون أن يتأثر ما بداخلها من حبوب، ومن الفواكه التي يمتاز بها الجبل الأخضر عن سواه في عمان التفاح والخوخ والمشمش والجوز (عين الجمل)، واللوز والبوت والنمت "نوعان من الكزبرة"^(٣٣١)

(٣٢٩) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٦٠، باوزير، سعيد عوض معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٦٣. التقرير الدوري لبحوث الفاكهة ص ٤٢.

(٣٣٠) سورة الأنعام آية ٩٩.

(٣٣١) عن فواكه الجبل الأخضر: انظر: الأصطخري: كتاب مسالك الممالك ص ٢٥، وابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٤. السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان: ج ١ ص ٨-٩ وص ٧٥، السالمي، محمد الشيبه: نهضة الأعيان ص ٦١ لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج ١ ص ٨١ مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٣، متولي: حوض الخليج العربي ج ١ ص ٣٣٦-٣٣٧. ولكنسون: الأفلاج

نباتات الرياحين والزينة:

تنتشر بعمان مختلف أنواع نباتات الرياحين والزينة إن كانت تنمو بنفسها كنباتات صحراوية أو تلك التي يزرعها المزارعون خاصة أصحاب الثروة والغناء في مزارعهم، وقد اشتهر الجبل الأخضر بالنباتات العطرية الفواحة خاصة الورد منها وقد وصفه السالمي^(٣٣٢) بقوله "وفيه من الرياحين كالورد والزعفران والأس والنرجس وغيرها كثير"، ويؤكد السالمي^(٣٣٣) الشبية ما قاله أبوه "ومن الرياحين الزعفران وهو بالجبل الأخضر خاصة الورد والياسمين والفل ويسمونه الرازقيا والريحان وكثير من سائر العطور والرياحين والكثا نبات عطري تدخل أزهاره في الصناعة العطرية ثم الحناء والورس والعصفر^(٣٣٤) المعروف محليا بالشورانة تنتشر زراعته في غالبية المناطق الداخلية، المقل نبات عطري ذو رائحة قوية تنتشر زراعته في ظفار وغيرها من المناطق، ومن الحاصلات العطرية أيضاً الند والصندل والصمغ (نوع من أنواع اللبان) نبات النيلة من نباتات الزينة، فيدخل في تصنيع النيلة، التي تستخدمها نساء البادية كثيراً في صبغ ملابسهن^(٣٣٥).

أهمية شجر اللبان:

شجرة اللبان:

ووسائل الري في عمان ص ٢٤. انظر أيضاً الخصبي: شقائق النعمان ج ١ ص ٣٢ قصيدة للنبهاني يذكر فواكه الجبل الأخضر.

(٣٣٢) عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١ ص ٨-٩.

(٣٣٣) محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان بحرية عمان، ص ٦١ واستخلاص ماء الورد ص ٣-٥.

(٣٣٤) "الشورانة" أو العصفر: هو نبات القرطم ذو صبغ أصفر يستخدم لدهان الجسد وصبغ الثوب. انظر الرازي: مختار الصحاح ص ٤٣٧. المنجد في اللغة والإعلام ص ٥٠٩.

(٣٣٥) ابن النضر: الدعائم، ج ١ ص ٢٨٧، مايلز: الخليج بلدانه وقبائله، ص ٣٢٠-٣٢٢، بلوزير، سعيد عوض: معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ١٦٣ الأس: نبات عطري تستخدم أوراقه بعد أن تجف وتطحن ثم تعجن بالماء وتوضع عجنته على شعر الرأس -انظر الرازي: مختار الصحاح والمنجد في اللغة والإعلام، الورس نبات كالسمسم أصفر يصبغ به ويضاف إليه الزيت ثم يستخدم لدهان البشرة. وهو بخلاف العصفر فالورس يستخدم لفصل الشتاء بينما يستخدم العصفر لفصل الصيف ليطفي حرارة الجو.

الحناء: معروف يستخدم لليدين والقدمين خاصة للنساء والأطفال بينما يستخدمه الرجال للعلاج فقط.

إذا كانت النخلة هي شجرة عمان المفضلة، وجوز الهند نخلة ظفار، فإن شجرة اللبان هي شجرة جبال ظفار الأولى، وهي التي أعطت لظفار شهرتها التاريخية.

التعريف باللبان:

اللبان في اللغة بشد اللام مع ضمة عليه فباء فألف وآخره نون، هو شجر الكندر بضم الكاف والదال أيضاً، وهو نوع من الصمغ شجرته شوكية لكنها ليست صغيرة الحجم كما وصفها اللغويون^(٣٣٦) العرب "لا تسمو أكثر من ذراعين". أو "قدر قعدة إنسان وعنق الفرس أطول من ذلك" وقد حذا ابن بطوطة^(٣٣٧) حذوهم فقال (وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الإنسان إلى مادون ذلك" في حين وصفوا أوراقها وثمارها "ولها ورقة مثل ورقة الآس وثمره مثل ثمرته وله حرارة في الفم" وأغصانها كأغصان الخرشف وأوراق صغار رقاق وربما سقطت فبقية الشجرة منها دون ورق واللبان صمغية تكون في أغصانها "وبما أن موطنه الأصلي في هذه المنطقة من الوطن العربي فلا أميل إلى الأخذ بالقول بأن هذه التسمية أي اللبان -يونانية الأصل- ولكن الاحتمال الأكثر واقعية أن يكون اليونانيون هم الذين نقلوا التسمية العربية إليهم عندما جلبوا اللبان إلى بلادهم، كذلك عرفه قدماء المصريين^(٣٣٨). وقد شبه فيليبس^(٣٣٩) شجرته بشجرة الزيتون الصغيرة وفي الموسوعة العربية الميسرة^(٣٤٠) وصفت شجرته بأنها صغيرة "ورقتها مركبة ريشية، أزهارها صغيرة أنبوية حمرة.. ثمرتها حسلية بيصنية عطرية سمراء" ولكن أحسن وصف لشجرة اللبان هو ما ذكره الغساني^(٣٤١) لكونه شاهد عيان، كما وأننا شخصياً شاهدنا شجرة اللبان فوجدنا أن وصفه هو الوصف الحقيقي لها، يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار

^(٣٣٦) ابن منظور: لسان العرب ي، ج١٧، ص ٢٦٠-٢٦١.

^(٣٣٧) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة ص ٤١١.

^(٣٣٨) انظر الرازي: مختار الصحاح والمنجد في اللغة والأعلام والموسوعة العربية الميسرة مادة اللبان.

^(٣٣٩) فيليبس، وندل: تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبدالله ص ٢٦.

^(٣٤٠) مج ٢ ص ١٥٤٨.

^(٣٤١) الغساني عبد القادر: حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ١ ص ١٨٣ "أرض اللبان في سلطنة عمان".

في المتوسط وشكلها أشبه بأجمة^(٣٤٢)، فهي أقرب إليها من كونها شجرة واحدة، لأن أغصانها تتفرع رأساً فوق سطح الأرض، فلا يكاد يميز جذعها الرئيس، وهي قادرة على التكيف مع البيئة التي تنمو فيها، كما أنها خضراء دائماً تحتفظ بطراوتها لكونها من الأشجار القادرة على تحمل الجفاف وأوراقها داكنة تشبه إلى حد كبير أوراق شجرة الزيتون وتنبعث من أوراقها المسماة "بالثال" رائحة محببة كتلك التي تنبعث من اللبان نفسه. وتسمى أزهارها التي تكون على الأغصان "البغوة" يميل لونها إلى البياض، بينما تسمى عناقيد الزهر بما فيها الحبوب التي بداخلها "الثرميت" وتكون هذه الحبوب خضراء اللون في أولها تتحول إلى اللون الأسود عند جفافها، ثم تتساقط على الأرض. وبهذه الطريقة تتكاثر شجرة اللبان، واللبان من الأشجار المعمرة نوعاً ما^(٣٤٣)

جبال ظفار موطن للبان:

وكدليل لهذا العنوان نكتفي بنقل ما قاله الجغرافيون والرحالة المسلمون^(٣٤٤) عند حديثهم عن المنطقة فقد تطرق كل من الأصبخري ونقل عنه ابن حوقل "واللبان الذي يحمل إلى الآفاق -أو يستعمل في الآفاق- من هناك وديارهم مفترشة وبلادهم بواد نائية. ويقال أنها من أعمال عمان" وفي حديثهما عن ظفار ذكر الحموي ونقل عنه القزويني "أن اللبان لا يوجد في الدنيا إلا في جبال ظفار وهو غلة لسلطانها، وينبت في تلك المواضع مسيرة ثلاثة أيام في مثلها".

لكن بماذا تميزت جبال ظفار عن سواها في المنطقة لتكون موطناً بل ومصدراً لإنتاج اللبان وهو الصمغ العربي الشهير؟

^(٣٤٢) الأجمة: هو الشجر الكثير الملتف حول نفسه أنظر: الرازي: مختار الصحاح ص ٧ والمنجد في اللغة والأعلام ص ٤.

^(٣٤٣) يستفيد البدو من أوراق اللبان وعناقيد الزهر المتساقطة كعلف لحيواناتهم، بينما يستخدمون أغصانها وقوداً لطبخهم. انظر الغساني ن. م. م.

اللبان العماني تقرير لوكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان اليومية العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧ م.

^(٣٤٤) الأصبخري: كتاب مسالك الممالك ص ٢٥ وابن حوقل: كتاب صورة الأرض ص ٤٤ والحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٦٠ والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٥-٥٦.

هناك عاملان أساسيان في ذلك: هما المناخ والتربة فقد حبا الله ظفار مناخاً فريداً من نوعه في شبه الجزيرة العربية قاطبة. حيث ينتشر بها الضباب الرذاذ المائي بفعل الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، التي تهب عليها فتكون مشبعة بالبخر المائي فيحدث أمطاراً صيفية تهطل على منحدرات الجبال والسهول الساحلية، وهو الموسم المعروف محلياً بالخريف، فتكون بدايته عند طلوع النجم المسمى السهيل (من شهر يونيو وينتهي في شهر سبتمبر)^(٣٤٥).

وتتراوح كميات الأمطار المتساقطة بين خمس بوصات على السهول الساحلية وخمس عشرة بوصة على السفوح الجنوبية للجبال، وتعتبر هذه الجبال خط تقسيم المياه، وعندما تخترق السحب جبال ظفار تكون قد تخلصت من قدر كبير من بخار الماء فتتساقط قطراته على شكل رذاذ على السفوح الجنوبية، أما السحب التي تتمكن من اختراق هذه الجبال فإنها تتبخر على السفوح الشمالية للجبال على حدود النجد الجنوبية مسببة ارتفاعاً هائلاً في درجة الرطوبة النسبية في منطقة صحراوية يكون معدل الحرارة فيها عالياً. إن مثل هذا المناخ قل ما يوجد في منطقة غير هذه يكون صالحاً لنمو شجر اللبان دون سواها.

فكما حبا الله ظفار مناخاً فريداً من نوعه وهبها أيضاً تربة رسوبية جيرية خصبة، فقد لعبت عوامل التعرية في هذه المنطقة دوراً هاماً في ترسيب التربة الجيرية الكلسية التي تعتبر أصلح أنواع التربة لنمو شجر اللبان، هذه العوامل مجتمعة ساعدت على خلق ظروف ملائمة لنموه خاصة في الفترة ما بين (شهر إبريل إلى شهر أكتوبر)^(٣٤٦).

^(٣٤٥) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٤ الغساني، عبد القادر: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٧٢ بحث بعنوان "أرض اللبان في سلطنة عمان".
اللبان العماني تقرير لوكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان اليومية العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧ م.
^(٣٤٦) الغساني: عبد القادر: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ (بحث أرض اللبان في سلطنة عمان ص ١٧٢-١٧٣).
اللبان العماني تقرير لوكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان اليومية العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧ م.

أهم المناطق التي يجود فيها اللبان:

أجود أنواع اللبان ما تنتجه المنطقة الجنوبية الشرقية من ظفار وخاصة جبال "سمحان" ومن المناطق التي بها أشجار اللبان منطقة "جوجر" وسمحان بجبال سدح في أقصى الشرق. وتتميز هذه المنطقة باقتراب الأشجار بعضها من بعض مخالفة بذلك أشجار اللبان في منطقة "عيون نجد"^(٣٤٧).

أنواع اللبان:

قسم اللبان من حيث الجودة إلى أربعة أنواع أجودها اللبان "الحوجري" الذي تنمو أشجاره في الأجزاء الشرقية من المنطقة وأهمها جبال سدح. ويليه في الجودة النوع المعروف "بالنجدى" وتنمو أشجاره بمنطقة نجد الواقعة إلى الشمال من مرتفعات ظفار الوسطى. ثم النوع الثالث وهو الشزرى، الذي تنمو أشجاره في الجزء الغربي بين منطقة نجد المذكورة أعلاه ومنطقة سقوط الأمطار. أما أقل الأنواع جودة فذلك المسمى بالشعبي وهو النوع الرابع والأخير من أنواع اللبان وتنمو أشجاره في السهول الساحلية والشعاب التي تصيبها الأمطار.

لأنه كلما كانت أشجار اللبان بعيدة عن منطقة سقوط الأمطار، حسن إنتاجها من حيث الكم والنوعية "كما في جبال سدح لأن الأمطار بها قليلة في وقت تجمد اللبان لأن المطر يفسد اللبان إذا أصابه قبل أن يتجمد".

أما مقياس الجودة في المحصول نفسه فهو اللون والنقاء، فاللبان ذو اللون الأبيض المشوب بزرقة تشبه زرقة السماء، والخالي من الشوائب، فهو أجود أنواع محصول اللبان وأغلاها ثمنًا، في حين تقل الجودة كلما مال لونه إلى الاحمرار أو اختلط بشوائب أخرى^(٣٤٨) ويتم فرزهِ وتصنيفه على

^(٣٤٧) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٤، الغساني: ن. م مج ١ ص ١٧٧.
اللبان العماني تقرير لوكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان اليومية العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧ م.
^(٣٤٨) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٤ الغساني: بحث أرض اللبان، حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٧٧

هذا النحو بعد جني المحصول، حيث يفرز ويصنف حسب الأوصاف السابقة الذكر ولكن بأسماء أخرى، فأعلاها مرتبة في الجودة يسمى اللقط وهو عبارة عن الفصوص النقية البيضاء التي تلتقط وتنتقى من محصول اللبان. أما إذا التقط مع المحصول الحجارة ولحاء الشجر فالناتج يسمى بالمطيب لكنه أقل درجة في النقاوة من اللقط، أما الصنف الثالث فهو لبان عادي يجمع دون أن يتعرض إلى الفرز بإحدى الطريقتين المذكورتين.

أما الصنف الرابع فهو الملون ذو اللون الأصفر والمائل إلى الاحمرار فهذا يترك كحالته دون الاهتمام به^(٣٤٩).

ملكية أشجار اللبان:

تمتلك أشجار اللبان القبائل القاطنة بالقرب من موقع وجودها، أو تبعد عنها لكنها تنتمي إلى نفس القبيلة المالكة لهذا الموقع، وتنتقل ملكية أشجار اللبان أو أحقية استثمارها من شخص لآخر من أفراد القبيلة أو إلى فخذ من أفخاذها وذلك عن طريق البيع أو الإرث، حسب ما تمليه ظروف القبيلة، وما يسود بين أفرادها من أعراف وتقاليد مرعية. هذا وتقسم متعارف عليها منعاً للنزاعات فيما بين قبائل المنطقة.

وقد تختلف تلك المواقع إلى منازل والمنزلة هي عبارة عن مساحة الأرض لها حدود معينة منزلة عن أخرى من حيث المساحة وعدد أشجار اللبان التي تنتشر بها. وخوفاً من انتقال ملكية هذه المنازل إلى قبائل أخرى أصبح من المتعارف عليه بين هذه القبائل أن المرأة لا تترث أشجار اللبان، فتتنازل عن حقها للوارثين من الرجال وتعوض عن نصيبها في الإرث بأشياء مادية أخرى كالماشية أو النقود. ونأمل بانتشار التعليم في وقتنا الحاضر أن تنتهي هذه العادة.

ولشجرة اللبان أسماء متعارف عليها حسب كميات إنتاجها:

اللبان العماني تقرير لوكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان اليومية العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧ م.
(٣٤٩) الغساني: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٧٧-١٧٨ الموسوعة العربية الميسرة مج ٢ ص ١٥٤٨ - فيليبس، ونذل: تاريخ عمان ص ٢٦

فتسمى الشجرة التي تنتج كميات كبيرة وجيدة من اللبان "مُغرة" وهي الشجرة الأنثى، بينما الشجرة الذكر تسمى "التيس" فهو لا ينتج اللبان أو يكون إنتاجه ضئيلاً وأقل جودة مما تنتجه المغرة، لكنه ينتج حبوب اللقاح الذكرى، وتتم عملية اللقاح بواسطة الرياح وتسمى شجيرة اللبان الصغيرة الآخذة في النمو "التلية" وأشجار اللبان برية، أي أنها تنمو دون حاجة إلى جهد الإنسان وقد تنمو في مجموعات صغيرة، وبمعزل عن الأشجار الأخرى في المنزل متباعدة أو متقاربة.

هذا وتبدأ شجرة اللبان في إنتاج اللبان بعد ثمان سنوات من نموها أو عندما تتحمل جذعها وأغصانها الضربات التي تتعرض لها لإخراج سائل اللبان، وهذا يتوقف على سرعة نمو الشجرة أو بطنه وذلك طبقاً لغني التربة وخصوبتها وكميات الأمطار المتساقطة عليها^(٣٥٠).

حصاد اللبان:

يبدأ موسم حصاد اللبان في أول شهر إبريل عندما تبدأ درجة حرارة الطقس في الارتفاع لأن ذلك يساعد على ازدياد منسوب انسكاب السائل الحليبي لللبان، وتستمر عملية جمع اللبان -الحصاد- لمدة ثلاثة أشهر، وقد تزيد فتصل إلى شهر أكتوبر أحياناً^(٣٥١).

لكن كيف يتم حصاد اللبان؟

ذكرى الحموي^(٣٥٢) ذلك "أنهم يجيئون إلى شجرته ويجرحونها بالسكين فيسيل اللبان منه على الأرض ويجمعونه ويحملونه إلى ظفار" كذلك نقل عنه القزويني^(٣٥٣) قوله "فيأتيها أهل ظفار ويجرحون أشجاره بالسكين فيسيل اللبان، فيجمعونه ويحملونه إلى ظفار" هذا وصف جامع وإن كان بصورة مقتضبة لعملية استخراج السائل اللبني من أشجار اللبان في

(٣٥٠) الغساني، عبد القادر (أرض اللبان في سلطنة عمان) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٧٩-١٨٠ و ص ١٨٤.

(٣٥١) الغساني: ن. م مج ١ ص ١٨٧.

(٣٥٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٦٠.

(٣٥٣) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٥-٥٦ وتقرير وكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان.

جبال ظفار. بينما يعطينا السالمي^(٣٥٤) نقلاً عن الأنطاكي وصفاً أكثر تفصيلاً عن سابقه "وبه بادية كبيرة تعرف خطة جنائه يضربونه بحديدة حتى يسيل لبنه فيتحجر فينزلون عنه ويبقون شهراً ثم يخرجون إليه فيضربون البشرة الخارجية ويقىمون عشرة أيام. هذا عملهم ثم ينزلون إلى بيوتهم فيقىمون عشرة أيام أخرى ثم يرجعون إلى الجبل فيبقىون خمسة أشهر في جنائه ولكل منهم محل محدود يتسلفون من التجار على هذا الجناء" هذا الوصف مطابق تماماً لما جاء عند الغساني فالمحل المحدود هنا هي المنزلة عند الغساني، كما سيأتي بتفصيل أكثر. وجاء وصف فيليبس وندل^(٣٥٥) معبراً، تجرح شجرة اللبان بسكين في أماكن عديدة، فتحدث شقوقاً يخرج منها اللبان، وأحياناً يسيل اللبان من الشجرة من تلقاء نفسه بفعل حرارة الشمس الشديد في المنطقة، ولكن ما ذكره الغساني^(٣٥٦) في بحثه وتقرير وكالة الأنباء العمانية^(٣٥٧) على الأسلوب المتبع في استخراج اللبان وجمعه هو أكثر وضوحاً وتفصيلاً عما سبقه: تجرح شجرة اللبان بضربها عدة ضربات في مواضع مختلفة تكثر أو تقل حسب حجم الشجرة بقطعة حديدية مستديرة الشكل مثبتة في يد خشبية تسمى "المنقف" ويسمى الجرح الأول للشجرة "التوقيع" وهو عبارة عن كشط لأغصان وجذع الشجرة، ومنه يخرج سائل لزج حليبي اللون يجمد في الحال، وتترك الشجرة لمدة أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، ثم تبدأ عملية الجرح الثانية، حيث يكشط ذلك السائل الذي نضج في المرة الأولى، ثم يبدأ خروج اللبان في هذه المرة لكن نوعيته في هذه المرة أيضاً غير جيدة إضافة إلى أن كميتها غير تجارية، أما الجمع الحقيقي فإنه يبدأ بعد أسبوعين من الجرح الثاني، حيث تنفر الشجرة مرة ثالثة فيسيل منها سائل لباني لونه يميل إلى الاصفرار فيتجمد على الشجرة،

^(٣٥٤) السالمي، محمد الشبيبة: نهضة الأعيان ٥٤.

^(٣٥٥) تاريخ عمان (مترجم) ص ٢٦.

^(٣٥٦) الغساني: أرض اللبان في سلطنة عمان حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٨٧-١٩١.

اللبان العماني تقرير لوكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان اليومية العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧م.

^(٣٥٧) اللبان العماني تقرير لوكالة الأنباء العمانية بجريدة عمان اليومية العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧م.

أو يسيل على الأرض إذا كانت الشجرة غزيرة الإنتاج فتسمى الغفل^(٣٥٨) وفي هذه المرة يعتبر المحصول تجارياً من حيث الجودة أو الكمية ويبلغ معدل محصول الشجرة الواحدة خلال الموسم الواحد عشرة كيلوجرامات، بينما يتراوح ما تنتجه المنطقة كلها في العام الواحد ما بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف طن، وقد مر بنا أن الجرح أو الضرب الأول للشجرة يسمى "التوقيع" وما يتلوه من ضربات تسمى "السعف" فالضربة الثانية تسمى "السعف الأول" والضربة الثالثة تسمى "السعف الثاني" وهكذا.. هذا وتتم عمليات ضرب الشجرة أو جرحها لثلاث أو أربع سنوات متتالية، على أن تكون دورية بين أشجار المنزل الواحدة، وتتم تحت إشراف مالكوها. إن عملية جرح الشجرة أو ضربها عملية فنية دقيقة تحتاج إلى خبرة ومران لأن الخطأ فيها قد يؤدي إلى إلحاق العقم بالشجرة، لذا لا يتقدم إلى ممارسة هذه العملية إلا من له تلك الخبرة والمران، ويحذر العمال الذين يتولون ضرب الشجرة من أن يصيبوا لب الشجرة، وعندما توقف جميع عمليات ضرب أو جرح الشجرة وتترك الشجرة يسمى ذلك الإجراء "الكشم" يجمع اللبان في سلة مستديرة متنوعة من الخوص -أوراق سعف جوز الهند- تسمى القفير^(٣٥٩).

إدارة المنزل:

سبق وأن تطرقنا عند حديثنا عن ملكية أشجار اللبان إلى أن الأرض التي تنمو بها أشجار اللبان تقسم إلى مواقع والمواقع إلى منازل وإدارة المنزل عبارة عن مجموعة من الأشخاص يقومون بجميع عمليات حصاد اللبان السابق ذكرها، وهم، الملاك: هم الأشخاص المالكون لأشجار اللبان في هذه المنزل، وبما أنهم عديدون فيقومون بتأجيرها إلى شخص آخر مقابل مبلغ من المال، ويتولى الإشراف على عملية استخراج اللبان من أشجاره^(٣٦٠).

^(٣٥٨) الغفل من الفعل غفل: أي الشجرة التي تركت فترة لم تستغل، فتشبع باللبان وانظر الرازي: مختار الصحاح والغساني: حصاد، مج ١ ص ١٨٨.
^(٣٥٩) القفير: أما في بقية عمان فيصنع من أوراق سعف النخيل، ويسمى باللغة الأمهرية "زمبيل".
^(٣٦٠) انظر الغساني: حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ١ ص ١٨٨-١٩٣.

المستأجر:

هو ذلك الشخص المعروف محلياً "بالطبين الكبير" وغالباً ما يكون تاجراً وهو الذي، يقوم باستئجار أشجار اللبان من المالك، ويتحدد سعر الإيجار على عدد العمال الذين يقومون باستخراج اللبان فعن كل عامل واحد يدفع المستأجر للمالك فراسلة واحدة "أي ما يعادل عشرة كيلو جرام" من اللبان، هذا "وللمالك الحق في منع التاجر المستغل لأشجاره إذا لم يدفع الإيجار كله، أو بعضه، أو إذا أضر عماله بأشجاره، كأن يكون النقف أو الضرب بصورة لا تحتملها الشجرة فيؤثر عليها".

الطبين الصغير:

هو ذلك الشخص الذي يعمل عند التاجر كمسئول أو مشرف على العمال وتوزيعهم في المنزل، وعن حفظ النظام بها وتوزيع الطعام^(٣٦١) والكساء على العمال، وعن جمع محصول اللبان وتخزينه وذلك باستئجار المغارات أو الكهوف التي يحفظ فيها المحصول، وتأجير الحرس الذين يقومون بالحراسة^(٣٦٢).

ويحصل مقابل ذلك على مبلغ من المال يتراوح قيمته بما يعادل حالياً ما بين (١٥ و ٣٠) ريالاً عمانياً. وذلك مقارنة مع زملائه من العمال في المنازل الأخرى، خلال موسم الإنتاج، هذا بالإضافة إلى حصوله على

^(٣٦١) كما يوفر الطبين كميات من الطعام تكون كافية للضيوف الذين يفدون على المنزل وإلى مكان جمع اللبان الذي يشبه إلى حد كبير سوق تجاري صغير.
المالك

المستأجر "الطبين الكبير"

الطبين الصغير

العمال التخزين الحراس

نقلاً عن الغساني ص ١٩٢

^(٣٦٢) الحراس: يختار الحراس من قبيلة مهابة الجانب، كي لا يقدم أحد على مهاجمتهم لسرقة محصول اللبان.

الطعام مجاناً وكسوة كاملة له ولزوجته، فضلاً عن منحه عدد من أشجار اللبان يقوم باستثمارها بنفسه.

العامل:

يسمي "العوين"، وهو الذي يقوم بعمليات استخراج اللبان من شجره بطريقة التوقيع والسعف السابق ذكرهما، ويحصل مقابل ذلك على نصف ما يستخرجه من اللبان بالإضافة إلى طعامه وشرابه يومياً مجاناً، هذا ويقدر عدد العمال الذين يقومون بتلك العمليات خلال الموسم بحوالي ثلاثة آلاف عامل يفد بعضهم من بلاد المهرة المجاورة.

المرأة^(٣٦٣):

للمرأة دورها فهي تشارك الرجل في عملية حصاد اللبان، فتصنع القفر والأكياس "الظروف" التي يجمع فيها اللبان ثم يعبأ لإعداده للتصدير إلى الخارج^(٣٦٤).

تربية الحيوانات:

قال عنها Y في كتابة الكريم: (والأنعم خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون^(٥)) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بليغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم * والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون*)^(٣٦٥).

^(٣٦٣) وقد يتولى مالك المنزل بنفسه عملية استخراج اللبان، مستعيناً بأفراد أسرته ومجموعة من العمال الذين يحتاج إليهم، على أن يتم الاتفاق بينه وبين تاجر من التجار على إمداده بما يحتاج إليه هو وأفراد أسرته والعمال الذين يعملون معه من طعام وكساء مقابل ما يستخرجه من لبان.

^(٣٦٤) انظر: الغساني "أرض اللبان في سلطنة عمان" حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٩٢ - ١٩٤.

- واللبان العماني - تقرير وكالة الأنباء العمانية جريدة عمان العدد ٢٠٧٧ بتاريخ ١٩٧٨/١/٢٤ م.

^(٣٦٥) سورة النحل الآيات من (٥-٨).

وقال رسول الله ﷺ "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر" (٣٦٦).

ارتبطت تربية الحيوانات الأليفة، الماعز والبقر والحمير والخيول (٣٦٧) على نطاق ضيق في عمان بالزراعة فهناك علاقة وثيقة بينهما فالمزارع لا غنى له عن هذه الحيوانات، فبينهما أخذ وعطاء، فما دام يستفيد منها الكثير فلا بد من أن يوفر لها غذاءها انطلاقاً من المثل القائل فاقد الشيء لا يعطيه. والمزارع العماني لا يكتفي لحيواناته بما ترعاه من الفلاة من حشائش لذا احتلت أعلافها (كالبرسيم -القت- والشعير والذرة الرفيعة وغيرها) جانباً من زراعته إضافة إلى ما يقدمه لها من التمور.

فتمد الماعز والأغنام والأبقار الإنسان بأهم مصدرين غذائيين هما الألبان ومشتقاتها (السمن والجبن) واللحوم، كما يستفيد من أشعارها وجلودها في صناعاته الصوفية والجلدية ومن أسمدتها كمخصبات لزراعته.. وهكذا تتواصل حلقات السلسلة الزراعية تكمل كل منها الأخرى لتستمر عجلة الحياة في الدوران (٣٦٨).

يستخدم المزارع العماني بعض الحيوانات في أغراضه الزراعية كالأبقار خاصة الثور لحراثة الأرض وجر المياه من الآبار، بينما يستخدم الحمير في نقل حوائجه، ويعتبر الحمار خير وسيلة للنقل والتنقل في المناطق الزراعية.

البيئة الرعوية:

(٣٦٦) موطأ الأمام مالك ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٣٦٧) تربية الخيول في عمان لم تكن شائعة الانتشار كما هو الحال بالنسبة لحيوانات الخدمة الأخرى كالأبقار والحمير والجمال. ففي المناطق الداخلية من عمان تربي لهدفين إما للحروب وإما للوجاهة فقط ويضاف إليها هدف ثالث بالنسبة للمناطق الساحلية كظفار وقلهات وهو الاتجار بها.

(٣٦٨) عن تربية الحيوانات انظر:

- الكندي: المصنف، ج ٦ ص ٤٠٥ و ٤٠٤.

- احمد شلبي: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٣٠.

- متولي: حوض الخليج العربي ج ١ ص ١٨٨.

- داتون (دراسة ميدانية لمصادر الثروة مشروع الخابورة) بحث بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٦ ص ٦٤.

فيما سبق تحدثنا عن أراضي وقلنا أنها تنقسم إلى ثلاث مناطق بيئية هي، الأراضي الزراعية، والأراضي الرعوية، والأراضي الصحراوية.

فالبينة الرعوية هي تلك الأراضي الواقعة بين الأراضي الزراعية والأراضي الصحراوية "البادية" وأهم الحيوانات التي تربي فيها الماعز والغنم (الضأن) على مستوى تجاري، ثم الحمير وأهم أنواع الماعز ماعز الجبل الأخضر المعروفة بالجبالية وذلك لكبر حجمها. وماعز ظفار المعروفة "بالظفارية أو الحديرية" مشهورة بغزارة ألبانها وبشكلها القريب الشبه بالغزلان، هذا وتعتبر كل من الماعز والضأن الركيزة التي يعتمد عليها الرعاة في دخلهم من التجارة والصناعة وفي غذائهم، وتعيش هذه الحيوانات على المراعي الطبيعية خاصة تلك الحشائش التي تكتسي بها جبال ظفار في فصل الخريف وتلك المراعي المنتشرة في جبال وسهول وصحاري المناطق الأخرى خاصة في فصلي الشتاء والربيع. أما في فصل الصيف فيترك البدو مناطق سكنهم المعتادة فينتقلوا قرب المناطق الزراعية فيقيموا مساكنهم بقربها التي تعرف بالحواضر^(٣٦٩) يعرف سكان هذه المنطقة في عمان باسم الشواوية، وهم أنصاف الرعاة يربون أساساً الأغنام والماعز، وبجانبيها يربون الإبل. وتعتبر مراعي جبال ظفار من أهم المناطق الرعوية ليس في عمان فحسب بل في شبه الجزيرة العربية بأسرها. فانفردت عن غيرها من مناطق الرعي الأخرى بتربية الأبقار، ويقاس غنى المرء وثراؤه بعدد ما يمتلكه من رؤوس الأبقار فقد تصل ثروة الغني إلى عدة آلاف رأس من البقر.

الحيوانات التي تربي في البيئة الصحراوية "البادية":

بعد أن ينتهي فصل الصيف وتبدأ حرارة الصحراء في الانخفاض، يعود الرعاة البدو إلى باديتهم في الصحراء، فغالباً ما تكون لكل قبيلة بدوية

(٣٦٩) حواضر (جمع) مفردة حاضرة: الحاضرة ضد البادية وهي المدن والقرى والريف وحضر حضارة أقام بالريف. انظر مختار الصحاح والمنجد في اللغة والإعلام مادة حضر عن تربية الحيوانات أنظر: ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٢٣ و ٣٩ هارسون: رحلة طبيب في الجزيرة العربية ص ٦٥. متولي: حوض الخليج العربي ج ٢ ص ٤١١ و ٤١٣. لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج ١ ص ٧٩ و ج ٢ ص ٥٧٧ و ج ٥ ص ١٨٤٧.

منطقتها المعلومة التي تعرف "الحوزة"^(٣٧٠) فيضربون خيامهم فيها. وحولها يرعون حيواناتهم التي تكون في الأساس الإبل "الجمال" التي يعدونها عماد ثروتهم، كما هو الحال بالنسبة للأبقار في جبال ظفار، أما الحوزة فهي شبيهة بالمنزلة بالنسبة لمالكي أشجار اللبان في جبال ظفار، بينما تأتي الماعز والأغنام في المرتبة الثانية في هذه المنطقة حيث تربى إلى جانب الإبل وذلك بالعكس عما عليه الحال في المنطقة الرعوية.

ويربى البدوي الكلب لمرافقة قطعانه عند خروجها للرعي، وكحارس أمين لها ولسكنه كما يستخدمه للصيد. وقد كره رسول الله ﷺ تربية الكلاب "إلا كلب غنم أو حرث أو صيد"^(٣٧١)

ويعتبر الجمل رفيق البدوي إذا ذكر أحدهما ذكر الآخر في هذه الصحراء الجافة، فهو شبيه له في تحمله لحياة الخشوبة والصبر على الجوع والعطش ومن مقدرتها على تحمل المتاعب، والجمل أكثر الحيوانات تكيفاً مع البيئة الصحراوية^(٣٧٢) فلا غرو، إذا ما اعتبر سفينة الصحراء بلا منازع، لأنه يجتازها في صبر وجلد، ذلك لما وهبه الله سبحانه وتعالى من أخفاف كالفلين أو الإسفنج لا تغوص في بحار رمال الصحراء الناعمة. والجمل حيوان مثالي لدى البدوي لكونه الوسيلة الأولى لنقل حوائجه وتنقلاته، وعليه يتوقف حجم اعتماده في شرابه وطعامه وكسائه، ومن جانبنا نرى أن وطن البدوي يتمثل في خيمته التي تأويه وجمله الذي ينقله لكسب معيشته.

^(٣٧٠) الحوزة: تعني الناحية أو رقعة من الأرض يحوزها مجموعة من الناس من أجل السكنى أو غيره. انظر مختار الصحاح مادة حوز.

^(٣٧١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٥-١٣٦.

^(٣٧٢) السالمي، محمد الشيبه: نهضة الأعيان ص ٥٥.

- ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٣٩-٤٠.
- متولي: حوض الخليج العربي ج ١ ص ١٨٨-١٧٩، وج ٢، ص ٤١٥.
- لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج ٥ ص ١٨٤٧.
- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣١٥.

وتعتبر الإبل العمانية من أجود الإبل العربية من حيث السرعة والرشاقة وقد وصفها كل من الأصطخري^(٣٧٣) "وبها نجب من الإبل تفضل في السير على سائر النجب" وابن حوقل^(٣٧٤) "ولهم نجب من الإبل تفضل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب".

فكما حازت الإبل العمانية في الماضي شهرة عالية فلا زالت حتى أيامنا هذه متسمة أصالة الإبل العربية في شبه الجزيرة العربية كلها حيث تعرف بالذلول^(٣٧٥). وذلك لرشاقتها وخفتها ولين مشيتها وسرعتها، وتفضل الناقة عن الخيل لقطع المسافات الطويلة، أما الجمل فيستخدم لنقل الأحمال، وذلك لكبر حجمه وقوته، ولأنه غير مريح للركوب كالناقة بسبب خطوته الثقيلة البطيئة الغير متزنة، والجمل العربي من الجمال ذات السنام الواحد، ويتكون السرج الذي يوضع على سنام الجمل من خشبتين مربوطتين من طرفيهما والجزء المقوس من السرج عبارة عن قطعة خشبية مستديرة الرأس^(٣٧٦). تسمى الشداد وتصنع في عدد من المدن العمانية أهمها مدينة نزوى، ويوضع فوق السرج جراب كبير يتدلى على ظهر الجمل يسمى (الخرج) مصنوع من الصوف ذو خطوط بيضاء وحمراء وسوداء وتوضع فوقه سجادة مصنوعة من صوف الماعز حمراء اللون تسمى "الساحة أو الشملة"، ثم يوضع فوقها جلد ماعز بصوفه الأسود "يسمى الجاعد"، وكما تختلف أنواع سروج الجمل من بلد عربي لآخر كذلك يختلف جلوس الراكب فالراكب في اليمن مثلاً يجلس أمام السرج "أي أمام سنام الجمل" بينما في عُمان يجلس الراكب خلف السرج^(٣٧٧).

عسل النحل:

-
- (٣٧٣) كتاب مسالك الممالك ص ٢٥.
(٣٧٤) كتاب صورة الأرض ص ٤٤.
(٣٧٥) الذلول: الناقة الغير الرعنة ولا صعبة الركوب أي سهلة مريحة الركوب، انظر الرازي مختار الصحاح.
(٣٧٦) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٥٠.
- متولي: حوض الخليج العربي ج ١ ص ١٨٩ و ج ٢ ص ٤١٦.
- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣١٦-٣١٧.
(٣٧٧) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣١٦.

هناك أربعة أنواع من نحل العسل تنتج عسل النحل في العالم^(٣٧٨) أما في عمان فيوجد منها نوعان، يقوم جامعو العسل باستغلاله تجارياً.

أحدهما ذو حجم كبير^(٣٧٩) وغالباً ما يعيش هذا النوع في أوروبا وأفريقية وبعض أجزاء من آسيا، خاصة العالم العربي، ووجد أنه يعيش في شمال عمان وجنوبها، ويعتبر النوع الرئيسي في إنتاج عسل النحل محلياً، حيث يقوم بإنتاج العسل في خلايا يصنعها بنفسه وبذلك أطلق عليه اسم "نحل الخلايا".

أما النوع الأصغر حجماً^(٣٨٠) والذي يعيش غالباً في جنوب آسيا بدءاً من إندونيسيا مروراً بالهند حتى إيران، فهو نوع بري يعيش في شمال عمان، وقد استخدم العمانيون وسائل فنية بسيطة منذ القدم لاستغلاله للحصول على عسل النحل منه^(٣٨١).

تربية نحل العسل:

مع أن تربية نحل العسل تعتبر إحدى طرق الاستثمار الجيدة لما تدره من فوائد على مربّي النحل والمزارعين إلا أنها غير منتشرة على نطاق واسع في عمان.

ويتركز النوع الكبير الحجم من نحل العسل المستأنس من منطقة الجبل الأخضر بمساحة قدرها مائة وخمسين (كيلومتر مربع)، يحدها وادي بني غافر ووادي السحتن من الشمال ووادي مستل من الشرق، وتعتبر حافة الجبل الأخضر الممتدة من الشرق إلى الغرب هي الحدود الجنوبية لتلك المنطقة. كذلك يتركز في الأودية الشمالية التي تضم كل من وادي بني خروص ووادي بني عوف، هذا بالإضافة إلى المناطق الجبلية والزراعية الأخرى التي تتوفر فيها المياه وبساتين الفاكهة.

^(٣٧٨) تسمى علمياً "أبيس" أي فصيلة "نحل العسل".

^(٣٧٩) ويسمى علمياً "أبيس ميليفرا".

^(٣٨٠) اسمه العلمي "أبيس فلوريا".

^(٣٨١) أنظر تقرير عن نحل العسل في سلطنة عمان ص ٣.

وتتراوح عدد خلايا النحل التي يقوم مربو النحل بتربيتها من ثلاث إلى أربع خلايا، وقد يرتفع العدد إلى أكبر من ذلك بكثير فيصل إلى أربعمئة خلية تكون عادة في مكان واحد وتوضع في صفوف مرتبة تصل إلى أربعة صفوف رأسية.

أما أهم مناطق وجوده في الإقليم الجنوبي من عمان -ظفار- فيتركز وجوده في ثلاث مناطق هي: جبل القرى شمال سهل صلالة، وجبل القمر في الغرب وفي حدائق وبساتين سهل صلالة.

أما النوع الثاني الصغير الحجم البري، فيعيش في شمال عمان خاصة منطقة الجبل الأخضر والمناطق الزراعية الأخرى ويسمى "أبو طويق" نسبة للخطوط البيضاء والسوداء الموجودة في بطنه. يبني هذا النوع من النحل خليته على فروع الشجر أو في الكهوف الصغيرة بالجبال^(٣٨٢). وذلك بخلاف النوع السابق الذي يسكنه المربون له في تجويفات من جذع النخيل أو الأخشاب الأخرى^(٣٨٣).

هذا ومع أن كمية العسل التي ينتجها هذا النوع من النحل قليلة بالنسبة لما ينتجها النوع الأول إلا أنها أهم قيمة من الناحية الغذائية عما ينتجه النوع الأول حيث يعتبر إنتاج "كيلوجرام" واحد من خلية واحدة من هذا النوع من العسل محصولاً جيداً للغاية^(٣٨٤).

وعن قيمة عسل النحل الغذائية وكعلاج لكثير من الأمراض فقد وصفه الله ﷻ في كتابه الكريم: (وأوحى ربك إلى النحل أن أتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)*^(٣٨٥).

^(٣٨٢) تقرير عن نحل السعب في سلطنة عمان ص ٨ و ٦ و ٥.

خطوات على طريق التنمية في سلطنة عمان ص ٥٤.

^(٣٨٣) تقرير عن نحل العسل في سلطنة عمان ص ٥.

^(٣٨٤) ن.م ص ١٠.

^(٣٨٥) سورة النحل الآيتين (٦٩ و ٦٨).

وقد ورد في الحديث الشريف "أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتى الثانية، فقال اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال فعلت فقال صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبراً"^(٣٨٦).

^(٣٨٦) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٥٩.

الفصل الثالث

التجارة والثروة البحرية

الثروة البحرية:

تتمتع عمان بسواحل طويلة ممتدة على شواطئ ثلاثة بحار هي بحر الهند و بحر عُمان و بحر فارس^(٣٨٧) تزخر مياهها بثروات بحرية هائلة، يعيش عليها قطاع كبير من السكان.

أ- صيد الأسماك :

تعتبر مهنة صيد الأسماك من المهن الأساسية التي يعتمد عليها سكان السواحل العمانية وتأتي في المرتبة الثانية بعد مهنة الزراعة بالنسبة لسكان عمان عامة، وقد ساعدتهم على ذلك، موقع بلادهم على هذه السواحل، والظروف البيئية المحيطة بهم، ثم الوفرة الكبيرة للأسماك التي كانت العامل المشجع لهم لممارسة هذه المهنة. فقد اعتبرت السواحل العمانية بمثابة أحواض زاهرة بالأسماك والحياة البحرية الأخرى. ومن هنا مارس العمانيون هذه المهنة منذ القدم، واعتمدوا على الأسماك كمصدر أساسي في غذائهم، وما زاد عن حاجتهم قاموا بتسويقه أما مملحا وإما مجففاً.

والذي لا يصلح كطعام للبشر استخدم كطعام للحيوانات أو كمخصبات للزراعة كنوع من أنواع الأسمدة العضوية الطبيعية، كذلك قام الصيادون العمانيون باستخراج زيت السمك المعروف محليا "بالصل" أما من كبد السمك القرش أو من كبد سمك الحوت وهو الأكثر شيوعاً^(٣٨٨).

^(٣٨٧) تسمى هذه البحار حالياً على التوالي: البحر العربي وهو جزء من المحيط الهندي، وخليج عمان والخليج العربي. انظر:

- السالمي محمد الشبية: نهضة الأعيان ص ٦.
- فاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ص ١١.
- سعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٢٥٨.
^(٣٨٨) أحمد شلبي: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٣٠، متولي: حوض الخليج العربي ج ٢ ص ٤٠٥، مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٧ خطوات على طريق التنمية ص ١٨٢ و ١٩٦.

أسلوب صيد الأسماك:

إن أفضل مواسم الصيد في عمان فصلا الربيع والخريف، لكن ليس معنى هذا أن الصيادين يتوقفون عن عمليات الصيد في غيرها من الفصول، ففي فصل الصيف يذهب الكثير منهم إلى المصايف في داخلية البلاد، هرباً من شدة الحرارة على السواحل، ثم للاستفادة من التمرور خلال حصاد النخيل في شهر أغسطس وسبتمبر، لذا لا تخرج للصيد فيه المراكب الكبيرة غالباً. وتنقسم أساليب الصيد في عمان إلى أربعة أشكال حسب حجم أسماك المناطق، التي تتم فيها عمليات الصيد: لصيد أسماك مناطق البحر المفتوحة، لصيد أسماك المناطق القريبة من السواحل، لصيد أسماك المناطق السطحية، لصيد أسماك العمق، إن جميع هذه الأشكال تختلف عن بعضها باختلاف الفصول وتحركات الأسماك^(٣٨٩).

إن أهم وسائل صيد الأسماك التي كانت ومازالت مستعملة في عمان، القوارب والشباك وغيرها من أدوات الصيد البسيطة^(٣٩٠) وغالبية عمليات الصيد في عمان تعتمد على الشباك الجماعية الكبيرة، أكثر من اعتمادها على الحظائر التي يغلب استعمالها على السواحل البحرية والأحساء^(٣٩١).

وأفضل الأوقات للقيام بعمليات الصيد وقت المساء: فتخرج قوارب الصيد فيه وتقوم بعمليات الصيد طوال الليل وتعود في الصباح الباكر. في حين تخرج بعض القوارب في الصباح الباكر وتعود في المساء، وفي كلا الحالتين تتم أولاً -توزيع الأسماك بواسطة رئيس المجموعة أو شيخ القرية بين الصيادين بالتساوي بعد أن يخصم ما يخصه، ثم يبيع كل منهم سهمه بالمرفق، أو بالجملة، لزبائن يتعامل معهم الصيادون ولهؤلاء الزبائن حرية التصرف إما باعوه مباشرة للمستهلكين محلياً أو باعوه لمن ينقله إلى المناطق الداخلية لتسويقه هناك وتسمى شباك الصيد المستعملة "ليخ" وهي على أنواع مختلفة لكل منها اسمه واستعماله حسب حجم الأسماك المصادة

(٣٨٩) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٣٩٠) شليبي، أحمد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ١ ص ٣٠-٣١.

(٣٩١) متولي، محمد: حوض الخليج العربي ج ١ ص ٣٣٧.

به فالشباك المستخدمة في ساحل الباطنة وغيرها من الشواطئ الرملية تكون طويلة وضيقة الفتحات.

يقوم الصيادون بدمج وتشبيك الشباك لصيد أكبر مجموعة ممكنة من الأسماك، أو تجعل الشباك على شكل نصف دائرة فيقوم الصيادون بشد أطرافها. وهناك شباك على التيارات البحرية وتسمى قارون، تتألف من عدة قطع يقوم الصيادون بتجميعها ووصلها مع بعضها. وهناك نوع من الشباك شبيه بهذا النوع لكنه أطول منه يسمى الأشعري أو الغبوط، يتم إغراقه في أعماق البحر لصيد الأسماك الكبيرة التي تعيش في أعماق البحر، وهناك نوع ذو فتحات كبيرة يستعمل لصيد الأسماك الكبيرة^(٣٩٢). وللتمييز بين هذه الشباك المنتشرة في البحر، يفصل بينها بقطع من جذوع النخل تكون خفيفة الوزن لكي تطفو على سطح الماء. أما لتنشيط الشباك في قاع البحر فتثبت بكتل من الأحجار. وهناك شبكة مخروطية الشكل تعرف "بالترول" لها فتحات صغيرة وجيوب كبيرة، تستخدم لصيد الأسماك الصغيرة الحجم جداً مثل السردين المعروفة محليا "بالقاشع والصيمة أو العومة".

كما يستخدم نوع من الشباك تسمى الجرجور، وهي شبكة كبيرة مستديرة كالسلة يبلغ قطرها ما بين عشرة إلى عشرين قدماً، يتم إغراقها في قاع البحر لمدة يوم أو يومين وعندما تمتلئ بالأسماك تسحب إلى الشاطئ، ومن الشباك المستعملة في عمان "الحدرة" تصنع من سعف النخيل وتربط بعضها مع بعض في المياه الغير عميقة وتكون قريبة من الساحل، وتشكل سياجاً على هيئة حافر الخيل، وذلك لحجز الأسماك، ولها فتحة لدخول الأسماك، ثم لا تسمح لها بالخروج من داخلها.

كما تستخدم للصيد حربة طولها حوالي تسعة أقدام، بها شوكة، تسمى القوار، ربما أنها تستخدم لصيد الأسماك الكبيرة جداً كالحوت "الذي يعرف بالجرام" كذلك تستخدم السنارة المصنوعة من الحديد وتكون مدورة وبدون أشوك تسمى المجدار، ونهاية السنارة المواجهة لطرفها مثنية إلى الداخل على هيئة حلقة صغيرة يربط بها الخيط^(٣٩٣).

^(٣٩٢) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٨-٣٢٩.

^(٣٩٣) مايلز: ن. م، ص ٣٢٩-٣٣٠.

هذا والمناطق التي تتم عمليات الصيد لا يزيد عمق الماء فيها ما بين ثلاثين إلى أربعين ذراعاً فقط.

وهناك حرف عديدة تقوم على مهنة صيد الأسماك:

فكما يعتبر السمك مصدراً غذائياً هاماً، فهو أيضاً مصدر عمل لعدد كبير من الناس فبالإضافة إلى عمليات الصيد السابق ذكرها، هناك أيضاً صناعة الشباك وصناعة القوارب والسفن. ولوفرة الأسماك مع وجود الملح المصنع محلياً أو المستورد من جزيرتي هرمز والقسم فقد قامت على ذلك عمليات تمليح الأسماك أو تجفيفها أو شويها.

أهم أنواع الأسماك:

القرش "الرجور الصغير منه يسمى العلص" يؤكل طازجاً ومملحاً ومجففاً، وهو من أكثر الأسماك قيمة وأهمية من الناحية الاقتصادية في عمان، وقد صفه ابن بطوطة^(٣٩٤). بقوله "وسمكهم يعرف (باللحم) وهو شبيه كلب البحر يُشَرَّح ويُفَدَّد ويُقَات به" وبعد أم تتم عملية تشريحه وتقديده، يجفف فيصبح اسمه العوال "ثم ينقل على ظهور الحمير والجمال ليتم تسويقه في المناطق الداخلية في البلاد، أو يُصدَّر إلى الهند وشرق أفريقيا، أما زعائفه فتقطع وتترك بالليمون، ثم تجفف وتعبأ في أكياس أو جوال وتصدر إلى كل من الهند والصين ويستخرج من كبد القرش زيتاً يسمى "الصل"^(٣٩٥). يستعمل لدهن قيعان القوارب والسفن الشراعية الكبيرة، حيث يخلط مع الكلس، كما تدهن به ألواح السفينة لحمايتها من العتة والحيوانات القشرية البحرية^(٣٩٦). ويستعمل جلده، لتلميع العاج وفي أمور أخرى منها لصق الأدوات الخشبية لشدة التصاقه.

^(٣٩٤) رحلة ابن بطوطة، ص ١٧٨، قد السمك أو اللحم: جعله قطعاً وجففه. انظر المنجد في اللغة والأعلام.

^(٣٩٥) ويتم استخراج الزيت بوضع كبد القرش في حوض وتسحق بالأقدام وتعرض لأشعة الشمس المحرقة حتى تذوب وينصهر زيتها والكميات المستخرجة منها أكثر بكثير من المستخرج من الأسماك الأخرى، ماعدا الحوت.

^(٣٩٦) السالمي، محمد: نهضة الأعيان ص ٦٠، مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٣٠-٣٣٢ الثروة السمكية في سلطنة عمان ص ٩.

الكنعد (الخباط) والقَد والبياح:

تعتبر أسماك الكنعد من الأسماك الكبيرة الحجم ولذيذة الطعم وهي من الأسماك العجيبة ليس في عمان وحدها لكن في منطقة الخليج بأسرها. كذلك تعتبر الأنواع الثلاثة المذكورة من أهم الأسماك المملحة والتي تصدرها المناطق الساحلية إلى الداخلية وإلى الخارج.

السهوة والصدّة والجيزر والعندق (الحمام):

من أهم الأسماك التي تباع مشوية للمناطق الداخلية، وتعتبر السهوة والجيزر والصدّة من أشهر أنواع الأسماك خاصة بعد شوائها، والصدّة تشبه إلى حد كبير سمك التونة.

أسماك الطباقي، واللحم والسلسول:

ويعرف بخيل البحر أو (سياف البحر أو أبو سيف) وذلك لطول منقارها، وهذه قليلاً ما يأكلها أهل السواحل، ويتم تصديرها إلى المناطق الداخلية وذلك لقلّة الأسماك التي تصلهم، وإلى شرق أفريقية وهي قليلاً ما تملح وأن ملحت فبكميات قليلة جداً من الملح.

البرية (القاشع)، الصية (العومة) هي أسماك السردين:

هذه الأنواع من الأسماك صغيرة الحجم، تصاد كمجموعات كبيرة وضخمة جداً، يتم تجفيفها وتعبئتها في أكياس فالقاشع يستعمل كطعام، أما العومة فغالباً ما تطعم بها الحيوانات، أو تستخدم كسماد للزراعة^(٣٩٧).

— متولي، محمد: حوض الخليج العربي، ج ١ ص ١٨٩ وشلبي: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٣٠.

^(٣٩٧) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٤-٥٥ و ٦٠-٦١.
عن أنواع الأسماك و الصورة التي يتم تسويقها بها انظر: مايلز الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٣٠-٣٣٢.
- الثروة السمكية في سلطنة عمان، ص ١١-٦٢، متولي، محمد: حوض الخليج العربي ج ١ ص ١٨٩.

الأسماك القشرية:

أهمها الروبيان (الجمبري) يُعرف محلياً (بالشباص)، يكثر وجوده ببحر عمان وبحر الهند خاصة مقابل جزيرة مصيرة. وهناك نوع صغير الحجم جداً يسمى الدوك، ترمي به أمواج البحر على طول ساحل الباطنة بكميات ضخمة جداً.

تجفف هذه الأسماك وتعبأ في جوانات مصنوعة من سعف النخيل وتنقل إلى المناطق الداخلية لتسويقها أو تصدر إلى الخارج.

الأسماك الرخوية:

أهم أنواعها "أذن البحر" أو الصفيح أو الصويلح حسبما يُعرف محلياً، يكثر وجوده على امتداد ساحل ظفار ابتداء من "رأس مرباط وانتهاء برأس نوس" ويتركز قبالة قرية سدح أما سمك الغترو الذي في مناطق الخليج الأخرى باسم المحبرة فهو أكبر حجماً منه وبعد صيده مباشرة يشرح ما بأحشائه، ثم يجفف ويتم تسويقه في الأسواق الداخلية.

السلحف:

تعتبر السلحف البحرية من السلحف الكبيرة الحجم، لها مقدرة فائقة على السباحة في البحر لمسافات كبيرة، ثم الزحف على الأرض، وتقصد هذه السلحف بعض الشواطئ العمانية مثل جزيرة مصيرة، ورأس الحد بأعداد هائلة في فصل الصيف وتعتبر جزيرة مصيرة بالذات من الشواطئ الهامة التي تفضلها عن غيرها للتكاثر فيها حيث تضع بيضها في رمالها بمعدل مائة بيضة في المدة الواحدة وفي ست مرات العام الواحد، بواقع

- شلا : حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٣٠ خطوات على طريق التنمية ص ٢٠٦-٢٠٧.

أربعة عشر يوم بين فترة وأخرى، وتساعد الرمال على سرعة فقس البيض لارتفاع درجة حرارتها^(٣٩٨).

ب- العنبر:

من الثروات البحرية أيضاً العنبر ذكره المسعودي^(٣٩٩) على أنه موجود بقاع بحر الهند مقابل بلاد اليمن وساحل أفريقية الشرقي، فإذا عصف البحر قذفه فابتلعه الحوت فأما أن يموت الحوت أو يلفظه. إذاً هو عبارة عن كتلة صلبة يلفظها سمك الحوت عندما يصاب بعلّة مرضية ثم تجرفها التيارات المائية وأمواج البحر إلى الشواطئ، وعند خروج العنبر من البحر مباشرة تكون رائحته كريهة، لكن مع مرور الوقت تتحسن رائحته تدريجياً، فتصبح زكية فيستعمل كعطر.

وعلى الشواطئ العمانية توجد أنواع العنبر "الأبيض والأصفر والبنفسجي" وهو من الكبر بأن بلغ وزن القطعة الواحدة منه "مائتين وسبعين رطلاً" تقريباً^(٤٠٠).

ج - اللؤلؤ:

استخراج اللؤلؤ:

يعتبر اللؤلؤ خلال فترة دراستنا وما قبلها وما بعدها حتى ظهور النفط. من أهم الثروات البحرية وأغناها ليس في عمان فحسب بل وفي منطقة الخليج بأسرها، ففي نظرنا أنه يعادل الثروة النفطية في المنطقة في عصرنا الحاضر. هذا وقبل أن نتحدث عن الطريقة التي تتم من خلالها استخراج اللؤلؤ وعن أسلوب الغواصين وحياتهم لابد من معرفة أصل ومصدر هذا اللؤلؤ الثمين وعن البيئة التي يعيش فيها.

^(٣٩٨) السالمي، محمد الشيبه: نهضة الأعيان ص ٥٥، الثروة السمكية في سلطنة عمان ص ٦٤ و ٦٧. خطوات على طريق التنمية ص ٢١١-٢١٢ و ص ٢١٩-٢٢٢.

السلحف المائية في سلطنة عمان ص ٨.

^(٣٩٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٥٠-١٥١.

^(٤٠٠) السالمي، محمد الشيبه: نهضة الأعيان ص ٦٠ ومايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٣٣.

مصدر اللؤلؤ:

إن مصدر هذا اللؤلؤ النفيس حيوان رخوي يعيش داخل صدفة، وقد وصفه ابن ماسويه بقوله "الصفار الذي قد صار فيه اللؤلؤ يسمى البلبل، هو يسبح ويرعى بالليل مجتمعاً لا يتفرق، وبعضه إلى جانب بعض وفوق بعض كجمع الجراد. والكبار يسمى الصدف ويكون في البحر متفرقاً، ويلتصق بالحشرات في قرار البحر" (٤٠١).

بينما وصفه ابن جبير (٤٠٢) "ويستخرجونه في أصداف لها أزواج نوع من الحيتان أشبه شيء بالسحفاة، فإذا شقت ظهرت الشفتان من داخلها كأنهما محارتا فضة، ثم يشقون عليها الحبة من الجواهر قد غطي عليها لحم الصدف".

فإذا صادف ودخل جسم غريب كحبة رمل مثلاً أو طفيلي إلى داخل صدفة هذا الحيوان الرخوي، فإنه بطبيعة الحال سيؤدي جسمه الطري، مما يضطره وبما أودع الله فيه من حكمة في خلقه أن يفرز ذلك الحيوان البسيط مادة يلف بها ذلك الجسم الغريب فيحتويه بها، هذه المادة المفرزة هي بعينها تلك اللؤلؤ الثمينة الغالية (٤٠٣).

البيئة التي يعيش فيها الرخوي (الصدف):

هذا وتعتبر بيئة بحر فارس من أنسب البيئات البحرية ملائمة لتكاثر هذا الحيوان الرخوي ونموه، وذلك بما تمتاز به مياه بحره من دفء وصفاء، لذا عدت شطوطه البحرية من أغنى شطوط العالم قاطبة بهذا اللؤلؤ الطبيعي والمورد الاقتصادي الهام، الذي اعتمد عليه ازدهار المنطقة ورفاهية سكانها فترة طويلة من الزمن (٤٠٤).

(٤٠١) كتاب الجواهر وصفاتها الخ ص ٣١. الموسوعة العربية الميسرة ٢ ص ١٥٨٠.

(٤٠٢) رحلة ابن جبير ص ٦٤.

(٤٠٣) متولي محمد: حوض الخليج العربي ج ٢ ص ١٣١ والناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٥٤ والموسوعة العربية الميسرة مج ٢ ص ١٥٨٠.

(٤٠٤) متولي ن. م ج ١ ص ٤٠ وص ١٩٠.

موسم استخراج اللؤلؤ "الغوص":

تباينت الآراء حول موسم الغوص فابن ماسويه^(٤٠٥) حدده بستة أشهر بينما ذكر المسعودي بأنه من أول شهر أبريل نيسان وتشرين وإلى آخر شهر أيلول سبتمبر^(٤٠٦). بقوله "والغوص ستة أشهر بين نيسان وتشرين". وعند حديثه عن الغوص في بحر عيذاب، الذي يعرف ببحر القلزم^(٤٠٧) أيضاً قال ابن جبير^(٤٠٨) "وأوان الغوص عليه في هذا التاريخ وهو شهر العجمي والشهر الذي يتلوه، كذلك ذكره ابن بطوطة أنه خلال شهر إبريل ومايو، بينما تراوحت المراجع الحديثة في تحديدها لموسم الغوص، فهو عند مايلز^(٤٠٩) ثلاثة أشهر ابتداء من يونيو وانتهاء بسبتمبر، في حين يذكر متولي^(٤١٠) بأن للغوص موسمين الأول وسماء موسم البرد، ويبدأ في أواسط إبريل ويستمر أربعين يوماً، وينحصر الغوص في المياه الضحلة فقط ولمدد قصيرة لا تزيد الواحدة منها عن نصف ساعة، تجنباً لبرودة الطقس، وأما الموسم الثاني فهو الموسم الرئيسي ويعرف بالغوص الكبير، ويبدأ في يونيو وينتهي في شهر سبتمبر لكن يتوقف في شهر رمضان المبارك بسبب أداء فريضة الصوم. بينما حدده الناصر^(٤١١) بأنه خلال الفترة الممتدة من شهر مايو وحتى شهر أكتوبر، كما أشار على الموسم الاختياري الذي يعقب الموسم الكبير ويعرف (بالردادة) أو الردة ومدته ثلاثة أسابيع.

ومن جانبنا نميل على الأخذ بقول متولي وأبي العلا^(٤١٢) على أن موسم الغوص يكون طيلة فصل الصيف، الذي يبدأ في برج الجوزاء ٢٣ من شهر مايو، وينتهي في برج السنبلة ٢٣ من شهر سبتمبر، حيث يتساوى الليل

(٤٠٥) يحيى: كتاب الجواهر وصفاتها الخ. ص ٣٩.

(٤٠٦) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٤٨.

(٤٠٧) بحر عيذاب هو أيضاً بحر القلزم ويعرف حالياً بالبحر الأحمر ينحصر بين قارة أفريقيا وشبه الجزيرة العربية ويوصل بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط.

(٤٠٨) رحلة ابن جبير ص ٦٤.

(٤٠٩) الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٤٤ انظر الحموي ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٤، ج ٤ ص ٣٨٧-٣٨٨ والمنجد في اللغة والأعلام.

(٤١٠) حوض الخليج العربي ج ٢، ص ١٤٠.

(٤١١) على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٥٥ و ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٤١٢) جغرافية الخليج ص ٣١٣.

والنهار تماماً، هذا وتعرف بداية موسم الغوص "بالركبة" أما نهايته فتعرف "بالقفل".

وعليه يتضح أن موسم الغوص المعتاد يكون في فصل الصيف، وأن مدته حوالي أربعة أشهر تقريباً.

أماكن الغوص المعتادة:

إن للغوص على اللؤلؤ أماكن معتادة مختصة به، يرتادها الغواصون لاستخراجه أهمها تلك المنطقة التي حددها ابن بطوطة^(٤١٣) ومغاص الجواهر فيما بعد سيراف والبحرين في راكد مثل الوادي العظيم. وبتفصيل أكثر ذكرها ابن حوقل^(٤١٤) "وتجاه جنباه مكان يُعرف بخارك وبه موضع اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير، إلا أن النادر إذا وقع من هذا المكان فاق في القيمة غيره وبعمان وبسرنديب في هذا البحر معدنان للؤلؤ ولا أعلم معدناً للؤلؤ ببحر فارس"، ويبدو أن ابن حوقل قد وقع في خطأ جغرافي فالمواقع التي ذكرها كجناية وخارك مواقع تقع ببحر فارس كذلك الأكبر إنتاجاً من اللؤلؤ في عمان يقع بهذا البحر الذي أشار إليه من عمان يقصد به الجزء المطل على البحر العربي الذي يعتبر جزء من المحيط الهندي "بحر الهند" الواقعة عليه كل من عمان وبسرنديب^(٤١٥) كذلك ذكر الآخرون^(٤١٦)

^(٤١٣) رحلة ابن بطوطة ص ١٨٥.

^(٤١٤) كتاب صورة الأرض ص ٥٢.

^(٤١٥) وللتعريف بالمواقع التالية انظر الحموي معجم البلدان:

سيراف: كان ميناء جيداً للغاية يقع على خليج ببحر فارس تأمن فيه المراكب الراسية من جميع أنواع الرياح جـ ٣ ص ٢٩٤-٩٥.

البحرين: بلاد على ساحل بحر فارس تقع بين البصرة وعمان تحدها من عمان جلفار جـ ١ ص ٣٤٧ و جـ ٢ ص ١٦٦.

جناية: فرضة صغيرة تقع على ساحل بلاد فارس يربطها خليج صغير ببحر فارس جـ ٢ ص ٣٣٧.

سرنديب: جزيرة كبيرة ببحر الهند تقع في أقصى بلاد الهند جـ ٣ ص ٢١٦ وهي الآن سيرلنكا وعرفت أيضاً بسيلان.

^(٤١٦) ابن ماسويه: كتاب الجواهر وصفاتها ص ٣٤ ابن خردادبه: المسالك والممالك ص ١٤٨.

المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر جـ ١ ص ١١١ و ١٤٨ رحلة ابن جبیر ص ٦٤.

متولي وأبو العلا: جغرافية الخليج ص ٣١٢-٣١٣.

مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٤٣.

بأن ببحر الهند والقلزم وغيرهما مغاصات للؤلؤ أيضاً من بحر عمان أو من بحر فارس المجاور لهم بل جهزوا سفنهم لاستخراجه من مواضع أخرى في بحر الهند حسبما ذكر ابن ماسويه^(٤١٧) "ومغاص سامخا^(٤١٨).. وهو جهاز عمان مما يلي الحبشة واليمن، فأوله حوز^(٤١٩) عمان، ثم المسقط^(٤٢٠)، ثم الشحر ثم أسقوطر^(٤٢١)، حوز عدن، ثم بربر^(٤٢٢)" ولم يكتفوا بهذه المنطقة فحسب بل تعدوها إلى ساحل أفريقيا حيث يضيف "وهي تجهز خور الزنج أيضاً من عمان. وإنما يتجهز إليه في النزر"^(٤٢٣).

أسلوب الغوص:

كل غواص قبل أن يبدأ حياة الغوص لابد أن يكون قد "خرق ما بين أذنيه وحلقه فينبعث دماً ثم يتمزق ويستمر فيكون فيه تنفساً ضعيفاً" هذا ما قاله ابن ماسويه^(٤٢٤) عند حديثه عن حياة الغواصين. فيتتنفس منها بدلاً من المنخرين، الذين يضع بداخلهما قبل نزوله للغوص ملازم تشبه المشاقص مصنوعة من الذبل^(٤٢٥) أو العاج أو القرون. وقبل هبوطه إلى قعر البحر يقوم الغواص أيضاً بالإجراءات التالية:

-
- (٤١٧) كتاب الجواهر وصفاتها ص ٣٣-٣٦.
- (٤١٨) سامخا: يقول محقق الكتاب أنه لم يعثر على هذا الموضع ولكني أظن أن المقصود به مغاص ساحل مخا وربما سقط حرفا الحاء واللام من ساحل على يد النساخ.
- مخا: ميناء باليمن على ساحل البحر العربي بين زبيد وعدن انظر الحموي معجم البلدان ج ٥ ص ٦٧.
- (٤١٩) حوز: من فعل حاز والحوزة: الناحية وهنا ناحية عمان انظر الرازي: مختار الصحاح ص ٦٧.
- (٤٢٠) المسقط: مدينة مسقط عاصمة سلطنة عمان حالياً.
- (٤٢١) الشحر: مدينة على ساحل البحر العربي، أما أسقوطر: فهي سقطرى جزيرة كبيرة بها عدة قرى ومدن مقابلة لعدن من الجنوب تقع في البحر العربي على طريق الخط الملاحي إلى أفريقيا الشرقية، وهما تابعتان لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حالياً. انظر الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٢٧.
- (٤٢٢) بربر أو بريره: بلاد بين الحبشة وشرق أفريقيا واليمن على ساحل بحر اليمن يعني البحر العربي وبحر الزنج يقصد به ساحل شرق أفريقيا والمقصود بها الصومال حالياً انظر الحموي ن. م ج ١ ص ٣٦٩.
- (٤٢٣) النزر: هو القليل وربما يقصد به البحر في حالة الجزر أي عكس المد.
- انظر الرازي: مختار الصحاح والمنجد في اللغة والأعلام.
- (٤٢٤) كتاب الجواهر وصفاتها ص ٣٨-٣٩.
- (٤٢٥) الذبل: عظام تؤخذ من ظهور السلاحف البحرية انظر المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٤٨-١٤٩. الرازي: مختار الصحاح مادة ذبل.

- يطلي قدميه وساقيه باللون الأسود تجنباً من أن تبتلعها الأسماك لأن الأسماك تنفر من اللون الأسود، هذا إذا كان الشخص أبيض اللون لكن غالبية من يعملون في البحر ذوي بشرة سوداء خاصة العبيد الذين تم جلبهم من شرق أفريقية، لذا نرى من جانبنا أن الهدف من ذلك الطلي هو الرائحة القوية التي تنفر الأسماك المفترسة عنه.

- أن يضع على أذنيه قطعتين من القطن مبللتان بالدهن يعصرهما عندما يصير في قاع البحر ليضيء له المكان عند البحث عن الأصداف وذلك لبعده المكان عن أشعة الشمس.

- أن يعلق في رقبتة أو يربط في وسطه مخللة زمبيلاً مصنوعاً من سعف النخيل ليضع فيه ما تم جمعه من صدف. وعند هبوطه يمسك بحبل معلق بطرفه حجرة وزنها نحو ثلاثين مثلاً فتتحدر به إلى قعر البحر، ويستعين الغواص في اقتلاع الصدف بألة حادة حملها معه في مخللاته ويبقي تحت الماء مدة نصف ساعة، وأقصى حد ساعتين، ويحدث الغواصون أثناء وجودهم في قاع البحر أصواتاً عالية، لطرد الأسماك، ولتنبيه بعضهم البعض^(٤٢٦).

وبعد أن تمتلئ مخللاته أو إذا داهمه خطر كأن يضيق تنفسه أو هاجمته سمكة مفترسة حرك الحبل فيجذبه السيب ومعاونه الرضيع الموكلين برفعه إلى السفينة. فيستريح بعض الوقت، ثم يعود مرة ثانية وثالثة اليوم الواحد.

يبدأ العمل في الغوص عادة بعد شروق الشمس بساعة، وينتهي عند منتصف النهار، وقد يستمر العمل قبيل غروب الشمس بساعة، هذا بالنسبة لعمل الغواص، لكن الغواص لا يعمل منفرداً فهو واحد من مجموعة أفراد يتراوح عددهم ما بين ستة إلى ستة عشر فرداً كمجموعة متعاونة منتظمة كل مسئول عن علمه ودوره في تلك المجموعة وفي تلك السفينة التي تقلهم وهم:

(٤٢٦) انظر أيضاً البكري: جزيرة العرب ص ٣٦ ورحلة ابن بطوطة ص ١٨٥. الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ٢٥٦.

الربان (النوخذة): هو رئيس السفينة والمسئول عن كل من بها وما فيها، قد يكون هو نفسه مالك السفينة، وقد يكون مستأجراً لها.

الغواصون: وعددهم ثلاثة، وقد سبق الحديث عنهم.

السيوب: مفرها سيب وهم الذين يقومون بجر الحبال ورفع الغواصين من قعر البحر إلى ظهر السفينة وعددهم أيضاً ثلاثة.

الرضيف: هو الذي يساعد السيب في جر الحبال ورفع الغواص، وعددهم مساو لعدد الفئة السابقة. وقد يزيد إذا لزم الأمر.

النهام: هو المغني على ظهر السفينة، والهدف من ذلك تجديد نشاط وحيوية من على ظهر السفينة. وقد تحدث حول النهام المبدع صراعات بين أصحاب سفن الغوص، بسبب أغانيه التي يغنيها ويردها من ورائه من ظهر السفينة. فكان ذلك المعني بمثابة شاعر القبيلة عند العرب في هجائه لخصوم قبيلته أو دفاعه عنها وتعيد مفاخرها.

الأولاد: عددهم أربعة، يقومون بصيد السمك وإعداد الطعام أي خدمة من بالسفينة مقابل تدريبهم على أعمال الغوص وغيرها على ظهر السفينة^(٤٢٧).

تمويل رحلة الغوص:

ينقسم المتعاملون في مهنة الغوص إلى فئتين، فئة العاملون في الغوص وهؤلاء سبق الحديث عنهم، وفئة الممولين لهم، وهم الذين يقدمون الأموال اللازمة لتمويل رحلة الغوص والمتمثلة في إعداد مستلزمات الرحلة

-
- (٤٢٧) ابن ماسويه: كتاب الجواهر وصفاتها ص ٣٩.
والبكري: جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ص ٣٦.
- رحلة ابن بطوطة ص ١٨٥.
- متولي: حوض الخليج العربي ج ٢ ص ١٤٢.
- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٤٥.
- متو وأبو العلا: جغرافية الخليج ص ٣٤٥.

من حبال أدوات يحتاجها الغواص عند نزوله إلى قاع البحر وغيرها من الاحتياجات كالطعام والشراب، هذا بالإضافة إلى ما يقدمه من أجره للعاملين على ظهر السفينة.

وغالباً ما يكون النوخة هو صاحب السفينة وهو الممول للرحلة، وأما أن يكون الممول تاجر في هذا الميدان، فيدفع للعاملين قروضاً يستوفيها منهم عند شراء محصولهم من الغوص، أو يستأجر السفينة، ويدفع للعاملين فيها أجره شهرية فيكون النوخة أمانة على ظهر السفينة كما ذكر ابن ماسويه^(٤٢٨) " وإنما يستأجرهم التجار مشاهرة وفي كل سفينة أمين من قبل التاجر".

وعند ذكر ابن بطوطة^(٤٢٩) لأسلوب أولئك التجار قال: "وأكثر التجار يكون له الدين على الغواصين فيأخذ الجواهر في دنيه أو ما وجب له فيه" والنوخة بصفته صاحب خبرة فهو أيضاً المرشد لأماكن الغوص المشهور". هذا وتتم عمليات الغوص على أعماق تختلف من مكان لآخر لكنها تتراوح ما بين أربع عشرة إلى ثماني عشر قامة وقد تزيد عن ذلك فكلما كانت أماكن الغوص أكثر عمقا كانت اللآلئ أكثر جودة، وكلما كانت أقل عمقا كانت أقل جودة، وذلك لتعرضها لأشعة الشمس التي تفسد لون اللآلئ.

كذلك المناطق المحصورة بين حركتي المد والجزر تأتي لآلئها مشوهة، وبعد انتهاء عمليات الغوص يقوم الغواصون بشق الصدف الذي يكون قد مات ما بداخله من طفيل وانفتح فوهه فسهل بذلك سقه فيجمع الأمين المحصول ويسلمه للتاجر الممول بعد ذلك^(٤٣٠).

أنواع السفن التي تستخدم لعمليات الغوص:

كل السفن تقريباً صالحة للاستخدام في مهنة الغوص، لكن هناك أنواعاً شاع استعمالها أكثر من غيرها مثل السمبوك والبتيل والبقارة

^(٤٢٨) كتاب الجواهر وصفاتها الخ ص ٣٨-٣٩.

^(٤٢٩) رحلة ابن بطوطة ص ١٨٦.

^(٤٣٠) متولي: حوض الخليج العربي ج ٢ ص ١٣٨ متولي وأبو العلا: جغرافية الخليج ٣١٣.

والشوعي والدونج وهو نوع من السفن ليس بكبير الحجم فهو أكبر قليلا من الزورق وأصغر من السفن الكبيرة الحجم.

أنواع اللؤلؤ:

للؤلؤ أنواع متعددة، وعلى ذلك تختلف أثمانها التي تقدر على أساس حجمها ووزنها ولونها وشكلها. فتقدير الحجم يتم بوضع اللآلئ في إناء نحاسي "طاسة" به غراييل وضعت فوق بعضها بحيث تفرز الأحجام، فالكبيرة تحجز في الوعاء الأعلى، والمتوسطة في الإناء الذي يليه. أما اللآلئ الصغيرة الحجم فإنها ترسب في قاع الإناء. وبعد شراء التاجر اللآلئ على أساس وزنها لكون الوزن له أهمية أكبر من الحجم فقد تكون اللؤلؤة كبيرة الحجم لكنها مجوفة غير مصمتة لذا تكون خفيفة الوزن لذلك ينخفض ثمنها. فإذا وزن اللؤلؤ على درهمين اعتبرت درة^(٤٣١)، والدر كما هو معلوم أغلى أنواع اللؤلؤ.

أما على أساس لونها فأجودها عادة تلك البيضاء الناصعة البياض. ومع هذا ينظر على اللآلئ السوداء بأنها أغلى أنواع اللآلئ، وذلك لندرتها. وهناك ألوان أخرى متعددة وكالوردي والأصفر والأخضر والأزرق. أما على أساس شكلها فيعتبر الشكل المد حرج في مقدمتها وهو ذلك النوع المسمى بالقارة^(٤٣٢) وتدعى اللؤلؤ المدحرجة بالجوهرة القارة وهي أثمن وأغلى أنواع اللآلئ، وتكون مستديرة لا تضرس فيها ولا طول ولا تفلطح ولا اعوجاج. نقية اللون مائبة^(٤٣٣).

^(٤٣١) كما يساوى وزنها مثقال ودانق واحد.

^(٤٣٢) القارة: من الفعل قرَّ وهو الشيء الذي تقر به العين وتسرع انظر المنجد في اللغة والأعلام.

^(٤٣٣) أنظر: ابن ماسويه: كتاب الجواهر وصفاتها ص ٢٦ متولي: حوض الخليج العربي ج ٢ ص ١٣٩-١٤٠ وص ١٦٢.

- الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٥٥-٢٥٦.

- مايلز: أليج بلدانه وقبائله ص ١٤٦ | وسوعة العربية | يسرة مج ٢

وأكبر أنواع اللؤلؤ المدحرج القطري^(٤٣٤) ووزنه أكبر من مثقال واحد. المخروطي:

نوع من اللآلئ، يكون أحد رأسها أدق من الآخر كشكل المخروط.
وأكثر هذا النوع عماني ويبلغ وزنه مثقالين، وقيمته نصف قيمة
المدحرج.

المقعدة:

سميت بذلك لأنها تقعد في وسط الخيط. وأغلبها ذات أحجام صغيرة
خاصة النوع القطري. والكبير منها عماني النوع، ويبلغ ثمنه أيضاً
نصف ثمن المدحرج.

العدسة:

هي تلك اللؤلؤ الممتلئة، وتكون في القطري والعماني أكبرها. ويقدر
ثمنها بثلاثي ثمن المدحرج.

الدق:

نوع من اللؤلؤ صغير الحجم، أو غير تام النضج، يوجد في جميع
أنواع اللؤلؤ وبه جلدة غليظة أو بقعة سوداء تحك بالمبرد حتى تزول، وبعد
ذلك تعد من النوع الجيد الغالي.

أما إذا لم ينفع معه الحك بالمبرد، فإنه يعالج بالطبخ فيزول بعض
سواده فيصير ملبحاً مقبولاً ليس له عاقبة فيسمى "خماناج"^(٤٣٥)، وهو
شبيه بالمدحرج^(٤٣٦).

(٤٣٤) نسبة إلى قطر الدولة الحالية الواقعة في الخليج أو كما قال الحموي في أعراض البحرين على
سيف الخط بين عمان والعقير معجم البلدان ج٤ ص ٣٧٣.
(٤٣٥) خماناج: كلمة غير موجودة في المعاجم العربية لكن توجد كلمة الخمان فقط وتعني: الضعيف
من الشيء أو دونه. وربما زيادة الألف والحيم مصطلح غير عربي. فارسي أو تركي انظر الرازي:
مختار الصحاح.
(٤٣٦) ابن ماسويه: كتاب الجواهر وصفاتها ص ٢٦-٢٧.

بينما نجد تصنيفاً آخر يشير على أن خير اللؤلؤ ذلك العماني الصافي الجسد الشديد المدحرج والاستواء. كما يعرف اللؤلؤ بمذاقه فهو أما عذب المذاق عماني. أما ملح المذاق قلزمي وكلاهما يرسب في الماء، والمفضل منه يوجد في مذاقه ودهونه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء^(٤٣٧).

التجارة:

هناك عوامل أساسية لقيام التجارة أهمها: الموقع الجغرافي، طبيعة البلاد التضاريسية الطرق التجارية، الثروات الاقتصادية الموجودة في البلاد، احتياجات البلاد من السلع الخارجية، وعند حديثنا عن التجارة يجدر بنا أن نستشهد بما ورد عن ابن خلدون^(٤٣٨) في مقدمته الذي وضع أسساً لمن يرغب العمل في التجارة:

- أن يتعامل بالسلع التي تكون الحاجة إليها عامة وماسة من قبل جميع فئات المجتمع كأن يتعامل بالضروريات كالمأكل والملبس، فهما لا يكسدان فيتعرض للخسارة فسوقها رائجة مستمرة.
- أن تكون السلع التي يجلبها ذات أصناف وأسعار متوسطة لأن الأصناف المرتفعة الأسعار ستكون خاصة للأثرياء وهؤلاء نسبة ضئيلة في المجتمع والمثل يقول خير الأمور الوسط.
- أما في حالة عمله بالتجارة الخارجية أي الاستيراد، فعليه أن يجلب السلع التي لا تتوفر في بلاده وذلك لصعوبة الحصول عليها كأن تكون المسافة بين منشأ هذه البضاعة ومكان تسويقها بعيدة. أو لخطورة الطريق التي تسلكها هذه البضاعة حتى تصل إلى سوقها، فهنا يكون المعروض منها في سوق بلاده قليل أو منعدم وهنا تنطبق النظرية الاقتصادية إذا قل المعروض زاد الطلب وبالتالي ارتفعت أسعار هذه البضاعة.

^(٤٣٧) الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٥٦.

^(٤٣٨) ص ٧٠٦-٧٠٧.

هذا ونتقسم التجارة في عمان مثلها مثل غيرها من الدول إلى تجارة خارجية وأخرى داخلية.

التجارة الخارجية:

إن التضاريس الصعبة المحيطة بعمان جعلتها في شبه عزلة، فهي محاطة بالبحر من ثلاث جهات بينما يكمل بحر الرمال المحرقة الخالية الجهة الرابعة وقد عبر عن ذلك ابن حوقل^(٤٣٩) "وطريق عمان يصعب سلوكه في البرية لكثرة القفار وقلة السكان" وإنما طريقهم في البحر إلى جدة فإن سلكوا على السواحل من مهرة وحضرموت إلى عدن أو إلى طريق عدن بعد عليهم وقلما يسلكوا. وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم".

هذا الوضع حتم على العمانيين أن يسلكوا طريق البحر وأن يتحملوا مخاطره التي ألفوها على مر الأيام وذلك للوصول إلى مأربهم إن كانت للتجارة أو للنقل والتنقل. لكن الذي سهل ذلك وأعطى لعمان وضعاً مميزاً وفريداً من سواها في المنطقة هو ذلك الموقع الجغرافي الهام. فوقع عمان عن مدخل الخليج ذلك "الممر المائي الخطير الذي ظل عبر عصور التاريخ يتمتع بأهمية عالمية بوصفه شرياناً رئيسياً يربط المحيط الهندي وعالم جنوب آسيا وشرقها من ناحية وعالم البحر المتوسط وبلاد شمال أفريقية وجنوب وغرب آسيا من ناحية أخرى"^(٤٤٠).

إن هاتين المنطقتين تختلفان عن بعضهما فيما تنتجانه من ثروات اقتصادية تفرض عليهما قيام تبادل تجاري بينهما، خاصة بعد انتقال مركز الخلافة الإسلامية من بلاد الشام إلى العراق. وبذلك انتقلت الأهمية التجارية من البحر المتوسط إلى "الخليج" بحر فارس ولكون عمان تتحكم في منافذ البحر ولاعتبارها أقرب نقطة إلى أسواق الشرق ولوجود موانئ، جيدة

^(٤٣٩) كتاب صورة الأرض ص ٤٧.

^(٤٤٠) سعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٤-٥.

صالحة لرسو السفن الذهبية والعائدة إلى هذه الأسواق، لذا "أصبحت عمان مركزاً مهماً للتجارة العالمية فازدهرت اقتصادياً وحضارياً"^(٤٤١).

علاقات عمان التجارية:

علاقتها مع منطقة الخليج وشرق أفريقية وجنوب وشرق آسيا:

قبل معرفة علاقة عمان التجارية بهذه المناطق لابد من معرفة البحر الذي تقع على سواحله وهو بحر الهند فقد وصفه المسعودي^(٤٤٢) "قدروا بحر الهند، وهو الحبشي، وأنه يمتد طوله من المغرب إلى المشرق من أقصى إلى أقصى الهند والصين، ثمانية آلاف ميل، وعرضه ألفان وسبعمائة ميل، وعرضه في موضع آخر ألف وتسعمائة ميل، وليس في المعمور أعظم من هذا البحر وأهل المراكب من العمانيين يعبرونه إلى جزيرة قبلو.. وله خليج.. يسمى الخليج البربري.. وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني..".

لقد كان هذا الطريق البحري الممتد من الصين إلى بحر فارس مروراً بالهند أقدم الطرق التجارية البحرية، بل وأهمها على الإطلاق منذ انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى العراق وحتى وصول البرتغاليين إلى البحار الشرقية^(٤٤٣) وعن دور عمان وأهلها في استغلال هذه الأهمية التجارية لهذا الطريق الحيوي عبر الأستاذ أحمد شلبي: "لكن بحر العرب وخليج عمان والواقع الإستراتيجي قدمت لشعب عمان مهمة أخرى هي السفارة التجارية،

(٤٤١) فاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ص ١٢ و ١٤١.

- انظر أيضاً: لاندن، جيران: عمان مسيراً ومصيراً ص ٣٢.

- رأفت غنيمي: دور عمان في بناء حضارة شرق أفريقية، حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٤١-١٤٢.

- متولي: حوض الخليج العربي ج ١ ص ٢٣-٢٤ وج ٢ ص ٤٦٣-٤٦٤.

- عمان في أمجادها البحرية ص ٢٣.

(٤٤٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٠٧.

(٤٤٣) نعيم فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ١١٨.

- الناصر على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ١٣٣-١٣٤.

فعمان تسيطر على أقدم وأهم الطرق التجارية في العالم، وهو الطريق البحري بين الخليج والمحيط الهندي^(٤٤٤).

وقد امتدت تلك الحركة التجارية على امتداد هذا البحر طيلة فترات التاريخ منذ عصر الحضارات القديمة^(٤٤٥) إلى حد تاريخ وصول البرتغاليين إلى مياهه، الذين قيدوا حرية الملاحة فيه ونقل التجارة من يد أبناء المنطقة، ووضع يدهم عليها، صحيح أن اضطراب الأوضاع وعدم توفر الأمان في أي وقت من الأوقات قد يحدان من النشاط التجاري، لكن لم يصل الحال بالقائمين بتلك الاضطرابات على أن يحولوا التجارة من يد أبناء المنطقة قط.

علاقة عمان التجارية بمنطقة الخليج:

كانت علاقة عمان التجارية مع منطقة الخليج -أي البلدان الواقعة على ضفتي بحر فارس- قوية، فقد احتفظت عمان بصلات تجارية كبيرة مع كل من العراق وبلاد فارس والبحرين منذ القدم، فجاء الإسلام ليقوي تلك الصلات خاصة بعد انتقال مركز الخلافة من بلاد الشام إلى العراق، فعظم شأن العراق الاقتصادي والمالي مما كان له مردوده الفعلي على نشاط الحركة التجارية ليس بالنسبة للعراق وحده بل على المنطقة المجاورة له خاصة تلك الواقعة على ضفتي بحر فارس المنفذ البحري التجاري الهام للمنطقة بأسرها، وأعني بها مملكة هرمز ولوقوع عمان على بوابة هذا البحر جعلها تضطلع بأمور أساسية هامة، فلم تكف موانئها بتزويد السفن الذاهبة منه والعائدة إليه بالمياه والمؤن^(٤٤٦). ومستلزمات الملاحة البحرية الأخرى. وكان غالبية الملاحين العاملين على السفن التي تعمل بالتجارة مع الصين والهند وغيرها من البلدان على سواحل هذه البحار ابتداء من القبطان (النوخدة) وانتهاء بأصغر ملاح فيها من أهل عمان.

^(٤٤٤) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج٧ ص ٢٢٢.

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٢٧ - ٢٨.

^(٤٤٥) الحنحاني، حبيب (دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول).

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٥٩.

متولي: حوض الخليج العربي ج٢ ص ٤٧٥.

^(٤٤٦) الناصر، علي حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢١٨-٢٢٢.

إضافة إلى قيام التجار العمانيين أنفسهم بالعمل ليس فقط كناقلين للتجار بل كتجار ووسطاء تجاريين في هذه المنطقة. فكانوا يجلبون من الصين والهند وشرق أفريقيا واليمن وغيرها من الموانئ الواقعة على سواحل بحر الهند وبحر الصين السلع والمنتجات الصينية والهندية والأفريقية واليمنية وعند رسو السفن بالموانئ العمانية يتم تفريغ ما تحتاجه الأسواق العمانية منها ثم تبحر بتلك السلع مضافاً إليها السلع العمانية^(٤٤٧).

علاقة عمان التجارية بشرق أفريقية:

إن علاقة عمان التجارية بساحل أفريقية الشرقي قديمة قدم الملاحة في بحر الهند، وقد توطدت تلك العلاقة بمجيء الإسلام، فقد جرت تلك العلاقة معها هجرة سكانية عمانية، فحل العمانيون على هذه الأرض البكر المعطاء فاستغلوها ونشروا الإسلام والحضارة الإنسانية، فكانت بمثابة الملجأ الذي يلجأ إليه العماني عندما يدق ناقوس الخطر في بلاده سواء كان ذلك الخطر اقتصادياً أم اجتماعياً أم سياسياً وتفيدنا المعلومات التاريخية على أن ذلك الاستيطان قد جر وراءه لجوءاً سياسياً عمانياً لهذه الأرض، فكان لجوء سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجندى وذراريهما ومن معهما أول لجوء سياسي عماني سجله التاريخ وذلك فراراً من تسلط وبطش جيوش الحجاج بن يوسف الثقفي عليهم وعلى عمان برمتها^(٤٤٨).

وخلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين أقام أحد ملوك بني نبهان حكماً ملكياً وراثياً في مملكة بات الأفريقية^(٤٤٩) كما مر بنا.

هذا وهناك عدة عوامل مؤثرة ساعدت على قيام علاقة تجارية دائمة ونشطة بين عمان وشرقي أفريقية منها موقع عمان الجغرافي والبعد

^(٤٤٧) الناصر، على حسين: ن. م ص ٣٥-٣٦ وص ٢٢١-٢٢٢.

^(٤٤٨) السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ص ٦١-٦٢.

حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٢٨.

^(٤٤٩) فيليبس، وندل: تاريخ عمان ص ٢٩ عمان وتاريخها البحري ص ٤٩-٥٠ عمان في أمجادها البحرية ص ٣٦. تقع بات حالياً في كينيا.

الاستراتيجي والاقتصادي، وجود نظام سياسي ميز عمان عن من الأقطار والمجاورة ألا وهو نظام الإمامة الإباضية التي وحدت العمانيين في ظلها، إضافة إلى ذلك خبرة العمانيين في الملاحة حيث جعلت منهم رواد بحر الهند وسادته لقرون عديدة، لقد استفاد العمانيون من هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التي تهب في فصل الشتاء ابتداءً من شهر نوفمبر وحتى شهر مارس للإبحار بسفنهم الشراعية ابتداءً من الموانئ المطلة على بحر فارس وتلك المطلة على بحر الهند متجهة إلى شرق أفريقيا، وفي فصل الصيف يستفيد العمانيون من هبوب الرياح الموسمية الجنوبية التي تهب في الفترة من شهر مايو وحتى شهر سبتمبر حيث تقوم تلك السفن برحلة العودة من شرق أفريقيا إلى الموانئ العمانية وغيرها من الموانئ المطلة^(٤٥٠) على هذين البحرين.

إن بيئة أفريقية الشرقية الطبيعية المتعددة الثروات من زراعية وحيوانية ومعدنية ساعدت على تنشيط تلك العلاقة التجارية بينها وبين عمان، فوصل العمانيون بسفنهم الشراعية إلى مناطق عديدة من شرقي أفريقيا ابتداءً من ميناء زيلع وسواكن ثم بربرة، وزنجار أو جزر القمر ومدغشقر^(٤٥١) وبراوو ومالندي وممباسا وكلوة وموزمبيق وسفالة. ولم يكتفوا بذلك كما ذكر حوراني^(٤٥٢) بل تعدوها إلى بلاد الواقواق "وكان منتهى مطافهم سفالة في موزمبيق، وقنبلة (مدغشقر) وكذلك أرض الواقواق"^(٤٥٣).

^(٤٥٠) غنيمي (دور عمان في بناء الحضارة شرقي أفريقية) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٤٥.

الحناني، (دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول) حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ٣ ص ٦٠.

^(٤٥١) ذكر أنور عبد العليم أن جزيرة القمر هي مدغشقر ونحن نميل إلى ما قاله حوراني على أن قنبلة هي مدغشقر الحالية، وأن جزر القمر هي جمهورية جزر القمر الحالية.

^(٤٥٢) العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٣١-٢٣٣.

^(٤٥٣) أرض الواقواق: هناك جزيرتان عرفتا بهذا الاسم إحداهما بشرق أفريقيا والثانية في الشرق الأقصى وهي سمومطره إحدى جزر إندونيسيا، وبينهما صلة قديمة فقد هاجر بعض السومطريين إلى مدغشقر الأفريقية في القرون الأولى للميلاد والبعض الآخر في القرن العاشر الميلادي. ومن جانبنا نميل إلى قول محقق كتاب العرب والملاحة في المحيط الهندي لحوراني، على أن العرب كانوا يطلقون اسم الواقواق على الجزر التي لم يكونوا على صلة مباشرة بها ويمكن أن تكون تلك الجزر

أما عن السلع التي كانوا يجلبونها من هذه البلاد فهي:

العاج والذهب والخشب والعسل وجلود الحيوانات والعنبر وجوز الهند وكانت تجارة الرقيق رائجة، فقد كثر عددهم خاصة بمركز الخلافة العباسية في العراق، وفي بلاد فارس وعمان والبحرين واليمن، واستمرت تلك التجارة حتى إلى ما بعد انتهاء فترة دراستنا هذه^(٤٥٤).

علاقة عمان التجارية مع جنوب آسيا وشرقها:

وأهم هاتين المنطقتين الهند والصين.

علاقة عمان مع الهند:

علاقة عمان التجارية مع الهند علاقة قديمة ترجع جذورها إلى عشرات القرون قبل الميلاد، وترجح الدراسات الأثرية على أن العمانيين كانوا أول المشتغلين بالملاحة في بحر الهند لذا فهم أول من جلب منتجات المناطق الشرقية من الكرة الأرضية إلى الأجزاء الأخرى وذلك خلال مغامراتهم البحرية المبكرة وجاء الإسلام وأكد هذا الدور حيث ظل العرب سكان جنوب شبه الجزيرة العربية والعمانيون منهم بصفة خاصة سادة بحر الهند ابتداء من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وحتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. بلا منافس لهم ولا منازع، فقد كانت لهم صلات تجارية رائجة مع موانئ الهند مثل قاليقوت وملبار وملقا. وتعد الملتان والد بيل^(٤٥٥) من أهم مراكز التجارة العربية في الهند.

هي اليابان الحالية. لأن الحموي ذكرها بأنها "بلاد فوق الصين" انظر الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨١.

^(٤٥٤) انظر أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب ص ٧٣ قدرى قلعي الخليج العربي ص ٣٤٨-٣٤٩.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٤٠١-٤٠٢.

رأفت غنيمي (دور عمان في بناء حضارة شرقي أفريقية).

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٤١-١٥٢.

وعمان وتاريخها البحري ص ٩٤.

^(٤٥٥) ملقا أو ملقه: ميناء ماليزي يقع في جنوب غرب شبه جزيرة ملقة.

الملتان: مدينة تاريخية شهيرة في جنوب باكستان كانت أول المدن التي فتحها المسلمون وأسسوا حكمهم فيها. كما أنها مركز مشهور لحجاج الهند في جنوب البنجاب.

إن أهم الطرق البحرية التي اعتاد البحارة والتجار العمانيون ارتيادها خلال فترة دراستنا أو ما قبلها هي تلك الطرق المؤدية إلى الموانئ الغربية في الهند سواء كانت من عمان مباشرة أو من العراق والبحرين وبلاد فارس مروراً بعمان. ولقرب عمان من الهند أهمية خاصة بالنسبة لهذا الدور، لأن السفن الشراعية يمكنها القيام برحلتين أو أكثر ذهاباً وإياباً من عمان خلال موسم واحد، وإذا لم تتوقف في الموانئ يمكنها تكرار الرحلة ثلاث أو أربع وقد تتعداها إلى خمس مرات كما ذكر ابن ماجد^(٤٥٦).

وكانت الرحلة في الموانئ العمانية إلى الموانئ الهندية بالسفن الكبيرة المعروفة بالمراكب تستغرق أسبوعين على الأقل. بينما تستغرق الرحلة برمتها ذهاباً وإياباً مع التوقف للتبادل التجاري من ثلاثة إلى أربعة أشهر حيث تبخر من الموانئ العمانية في شهر نوفمبر تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، وتغادر الموانئ الهندية في شهر آذار (مارس) تدفعها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، التي سماها ابن ماجد^(٤٥٧) النيروز وهي بقدر ما تخدم السفن العمانية وغيرها والتي تكون قد أنجزت مهمتها، فهي تعينها عند مغادرتها هذه الموانئ دافعت لها للخروج. فإنها تضرر بالسفن الهندية القادمة إلى هذه الموانئ الراغبة في الرسو فتعيق دخولها إليها لأن هذه الرياح تشتد ابتداء من شهر (مايو وأيار)، وتستمر حتى شهر سبتمبر (أيلول).

فتكون عاتية عاصفة تعيق الرسو على هذه الموانئ الواقعة في المنطقة الجنوبية من الهند، خاصة ساحل الملبار. وهنا تكمن الميزة الثانية التي تستفيد منها السفن العمانية وهي انفرادها في الإبحار في هذا البحر لمدة

الدليل: ميناء قديم يقع على ساحل المحيط الهندي على مصب نهر الهند.
(٤٥٦) كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٧٢- ب.

انظر أيضاً الناصر: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ١٨٥-٨٦.

- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ج ٤ ص ٤٠١.

- وسرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٤٨.

- أنجد اللغة والأعلام.

(٤٥٧) كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٧٢- أ وص ٧٢- ب.

- أراجيز ملاحية ص ٢٠ - ٢١

عشرة أشهر، وتقتصر مدة إبحار السفن الهندية فيه ما بين سبعة إلى ثمانية أشهر فقط. أما السفن العادية الأصغر حجماً فإنها خلال رحلتها إلى الموانئ الهندية لا تبتعد عن السواحل فتسير محاذاً لها خوفاً من أن تقذف بها العواصف الشديدة إلى أعماق البحر فلا تستطيع مقاومة أمواجه العاتية. ثم لتكون قريبة من الموانئ ليسهل عليها التزود بالماء والمؤن بين الفينة والأخرى^(٤٥٨).

بينما تشير غالبية المصادر المعاصرة والمراجع الحديثة على أن الرحلة من الموانئ الهندية تستغرق ما بين ثمانية وعشرين يوماً إلى السفن الشراعية المعتادة. أما عن أهم السلع التي كانت تجلب من الهند فعند حديثه عن التجارة في ظفار ذكر ابن بطوطة^(٤٥٩) "والأرز يجلب إليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم" وفعلاً كان الأرز كذلك خاصة للمناطق الساحلية التي لا يمارس سكانها مهنة الزراعة على نطاق واسع. وتأتي الأخشاب خاصة خشب الساج وخشب جوز الهند المستخدمة في صناعة السفن وبالذات سوارى السفن وفي بناء المساكن والأثاث، وتستورد الأسلحة خاصة السيوف الهندية المشهورة، كما يستورد الحديد لصناعة الخناجر والمدى وغيرها من الصناعات الحديدية المتعددة الأغراض.

وتستورد التوابل وأهمها القرفة والقرنفل والفلفل الأسود والهيل والزنجبيل (الزنبيل) والعود كالعود والمسك والصندل الأبيض والأبنوس، كما كان يستورد منها الخبز لران لاستعمالها في صناعة أقواس الرماح وكعصي، والذهب والفضة^(٤٦٠).

^(٤٥٨) أنظر أيضاً -عمان في أمجادها البحرية ٦٦-٦٧.

^(٤٥٩) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ١٧٣ و ٤٢٦ الذي زار عمان في المحرم سنة ثمان وأربعين وسبع مائة ص ٤١ بقوله: "مقدار شهر زاد أو أكثر.. صار سفرهم شعباً وداراً بينما جاء في كتاب أراجيز ملاحية ص ٣٦ "مقدار شهر زاد أو أكثر.. صار سفرهم شعباً وقرى".

ابن ماجد: ثلاث أزهار في معرفة البحار ص ٤١، حوراني جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢١٩، أنور عبد العليم الملاحة وعلوم البحار، الناصر على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ١٤١.

^(٤٦٠) الناصر على حسين: ن. م ص ٧-١٨٩.

حبيب الحناني: حجاج ندوة الدراسات العمانية ج ١ ص ٦٦-٦٧.
(دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول).

علاقة عمان التجارية مع الصين:

علاقة عمان التجارية مع الصين علاقة قديمة بدأت منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي. ويذكر أن تاجراً عمانياً يدعى أبا عبيدة^(٤٦١) قد سافر إلى الصين مع مجموعة من أصحابه التجار في رحلة تجارية في منتصف القرن الثاني الهجري.

واستقر بعض التجار العرب ومن بينهم العمانيون في الصين وبعض جزر شرق آسيا، حتى صارت لغتهم العربية هي لغة التجارة السائدة في غالبية الموانئ في تلك المناطق.

كانت الرحلة بين عمان والصين تتم عبر ميناء (ملقا) وتستغرق مائة وعشرين يوم من ميناء "مسقط" وحتى ميناء "كانتون" الصيني. أي أربعة، أشهر من غير فترات التوقف في الموانئ الأخرى مستفيدين بدفع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، التي تؤثر على حركة الملاحة التجارية شتاء ابتداء من شهر نوفمبر وحتى شهر مارس، فيدفع السفن الشراعية من شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا والحد الجنوبي للهند.

فكانت السفن تبحر من الموانئ العمانية مثل صحار ومسقط وقلهات وريسوت وغيرها من الموانئ في الفترة من النصف الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) إلى النصف الأول من شهر كانون الأول (ديسمبر)، كذلك السفن المبحرة من البصرة وموانئ بلاد فارس والموانئ الأخرى المطلة على الساحل الغربي لبحر فارس لا بد لها من التوقف بالموانئ العمانية للتزود بالماء والمؤن، ومن ثم تتجه إلى ساحل ملبار بالهند. تدفعها الرياح السابقة الذكر، فتصل إلى ميناء كولم ملي خلال شهر واحد من إقلاعها^(٤٦٢).

^(٤٦١) عبدالله بن القاسم. انظر عمان وتاريخها البحري ص ٣٣.

^(٤٦٢) رحلة ابن بطوطة ص ٣٧٦ أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب ص ٧٢.

- الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ١٩٦-١٩٨.
- رأفت غنيمي "دور عمان في بناء حضارة شرق أفريقيا" حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ١٤٥.
- عمان في أمجادها البحرية ص ٦٤ - عمان وتاريخها البحري ص ٩١.

وتنتظر لمدة أسبوعين حتى تهدأ عواصف الرياح الشمالية الشرقية في خليج البنغال في نهاية شهر ديسمبر (كانون الأول)، حيث تقضي شهر يناير (كانون الثاني) لتعبر المسافة من كولم ملي حول جنوب سيلان (سرنديب سابقاً سريلانكا حالياً) متجهة إلى كلبار في شبه جزيرة الملايو، وقد تتوقف في طريقها في جزر نيكوبار للتزود بالماء والمؤن وتصريف بعض السلع، ثم تعبر السفن مضيق ملقا مستفيدة من الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فتصل إلى المنطقة الجنوبية من بحر الصين في وقت تكون فيه الرياح الموسمية الشمالية ملائمة للإبحار وذلك في الفترة من إبريل (نيسان) إلى مايو (آذار). وفي نهاية فصل الصيف بعد قضاء مهمتها التجارية في ميناء (كانتو) الصيني تعود مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية إلى مضيق ملقا فيما بين شهري أكتوبر وديسمبر، فتعبر خليج البنغال في شهر يناير (كانون الثاني)، وتبحر من كولم إلى عمان في شهر فبراير ومارس (آذار)، لذا فإن الرحلة البحرية من الموانئ العمانية الصينية ذهاباً وإياباً مع فترات التوقف المشار إليها تستغرق ثمانية عشر شهراً، بينها ستة أشهر فاصلة تقريباً بين الذهاب والإياب^(٤٦٣).

وكدليل للاتصال التجاري بين عمان والصين ذكر (زون) نقلاً عن السجلات التاريخية الصينية، أن رجلاً عمانياً من صحار هو الشيخ عبدالله —ربما المقصود به في المصادر الإسلامية العمانية بأبي عبيدة— كان مقيماً في الصين. وكانت لديه ممتلكات وافرة بلغت قيمتها عدة ملايين "مين"

خط سير الرحلة التجارية البحرية بين مسقط و كانتون: من مسقط إلى كولم ملي بالهند شهر قمري واحد.

- من كولم ملي إلى "كله بار" كلبار شهر قمري واحد.

"صنف فولاً وإلى كانتون بالصين شهر قمري واحد.

انظر - حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢١٩.

^(٤٦٣) حوراني، جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٢٠-٢٢٢.

أنور، عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب ص ٧٢ - ٧٣.

يان تشانغ زون: الاتصالات الودية بين الصين وعمان عبر التاريخ ص ١٣-١٤.

زانج هو "المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط" حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٦ ص ٣١-٢٣.

عمان في أمجادها البحرية ٦٤-٦٦

عمان وتاريخها البحري ص ٩١.

وكان رئيساً للجالية العربية والإسلامية في مدينة "كانتون" وبصفته هذه قدم لإمبراطور الصين "سون شين زون" هدية قيمة، فأنعم عليه "الإمبراطور" الصيني بلقب "جنرال الأخلاق الطيبة"، وهو أول تاجر أجنبي يحصل على لقب الرتب العسكرية، وعند عودته إلى بلاده قدم له "الإمبراطور" الصيني المذكور هدية عبارة عن حصان أبيض وطاقم سرج وزمام للخيول" (٤٦٤).

وبعد أحدث ثورة "كانتون" الصينية نزح التجار العرب ومن بينهم العمانيون وغيرها من المسلمين إلى شبه جزيرة ملقا واتخذوا من ميناء كله بار (٤٦٥) الواقع في الطريق بين الهند والصين مركزاً تجارياً يلتقون فيه بدلاً من كانتون فصار بمثابة ميناء تحويلي يتم فيه تبادل السلع التجارية القادمة من الصين والواردة إليها، وفي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وصلت العلاقات التجارية بين عمان والصين إلى درجة كبيرة مثلما كانت عليه في السابق (٤٦٦).

أما أهم السلع الصينية التي كان التجار يجلبونها من الصين فهي الخزف الصيني والكاغد "الورق" والمداد والطواويس والغراء والقرفة (الدار صيني) وأواني الفضة والذهب والديباج والأقفال المحكمة، والمنسوجات الحريرية والعود والسروج والمسك والكافور، وغيرها من أنواع التوابل، ومسحوق البارود.

أما السلع التي كانوا يحملونها إليها فكانت السجاد والملابس الصوفية من بلاد فارس والأحجار الكريمة والمرجان ومن عمان بالذات اللؤلؤ والتمر والخيول واللبان وأنواع البخور الأخرى حتى أن الطريق البحري الواصل بين عمان والصين قد عرف بطريق البخور أو "طريق التوابل" لكثرة ما حمل به من بخور ولبان وتوابل" (٤٦٧).

(٤٦٤) يان، تشانغ: الاتصالات الودية بين الصين وعمان عبر التاريخ ص ١٥-١٧.
(٤٦٥) كله بار أو كلبار: ربما أنها في الملايو الحالية أنظر حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ٢١٢-٢١٣.
(٤٦٦) أنظر حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٢٥-٢٢٦.
- أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب ص ٧٣.
الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ٢٠٠-٢٠١.
(٤٦٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٤١٤.

ج - أنواع المتاجر (السلع التجارية) وأساليب التجارة:

أولاً: السلع المصدرة:

أهم السلع التجارية التي تصدرها عمان إلى الخارج هي، اللؤلؤ، اللبان، المنتجات الزراعية، الأسماك، الجمال "الإبل"، المنتجات الحيوانية، ثم المنسوجات.

تجارة اللؤلؤ:

يأتي اللؤلؤ الطبيعي في مقدمة السلع التجارية، التي تصدرها عمان إلى الخارج بل وأهمها، فلا غرو في ذلك فاللؤلؤ العماني أفضل أنواع اللؤلؤ يليه الفارسي وأقله قيمة الهندي والقلزمي^(٤٦٨)، وكان معظمه يصدر إلى الخارج.

الدول التي يصدر إليها هي العراق، وبلاد فارس والهند والصين، وكانت العراق أهمها خلال عهد الخلافة العباسية، لكن أهميتها تضائلت بعد سقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)^(٤٦٩).

وأما أسعاره فكانت تختلف من عام إلى آخر، حسب متطلبات السوق ونوعيات اللؤلؤ لكنه بلا شك ثروة اقتصادية كبيرة تعادل الثورة النفطية في

-
- حوراني: ن. م ص ٢١٨.
 - أنور عبد العليم: ن. م ص ٧٢.
 - مكالناصر، علي حسين: ن. م ص ١٩٩-٢٠٠.
 - يان، تشانغ زون: الاتصالات بين الصين وعمان عبر التاريخ ص ١٣-١٥.
 - زانج هو (المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط) حصاد وندوة الدراسات العمانية، مج ٦ ص ٣٢-٣٣.
 - فيليبس، وندل: تاريخ عمان ترجمة محمد أمين عبدالله ص ٢٨.
 - ^(٤٦٨) ابن ماسويه: كتاب الجواهر وصفاتها الخ ص ٢٦-٣٢.
 - سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٣٩.
 - ^(٤٦٩) السالمي، محمد: نهضة الأعيان ص ٦٠.
 - نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ٢٥٢.
 - متولي: حوض الخليج العربي ج ٢ ص ١٦١.
 - متر آدم: الحضارة الإسلامية في ق ٤ هـ ج ٢ ص ٣٢٥.

القرن العشرين، وعن قيمته قديماً يورد أبو عبيد البكري نقلاً عن أبي الحسن البخاري "أن رجلاً عمانياً ورد مكة بلؤلؤتين لم ير مثلهما، فباعهما في سوق ابن يزيد بألفي دينار ذهباً من رجل سمرقندي" فأهدى السمرقندي إحداهما إلى والي دمشق فأعطاه عنها عشرة آلاف دينار ذهباً، ثم رحل ذلك السمرقندي إلى بلاده سمرقند فأهدى الثانية إلى وإليها فكافأه عليها خمسة ألف دينار ذهباً "فهاتان اللؤلؤتان من مغاوص عمان وما والاها من هذه المواضع" (٤٧٠).

بينما كان سعره فيما بعد وبالذات في العصر الذهبي للدولة العباسية - عصر هارون الرشيد- حيث ابتيعت الدرة اليتيمة والتي استخرجت من مغاوص عمان بسبعين ألف درهم وأخرى أصغر منها بثلاثين ألف درهم (٤٧١).

أسلوب تجارة اللؤلؤ:

تمر تجارة اللؤلؤ بمرحلتين، الأولى فتنم بعد عودة الغواصين من موسم الغوص فيجتمعون مع التجار في يوم محدد ومكان معلوم يحضره والي المنطقة، حيث تحضر كل مجموعة من الغواصين ما حصلت عليه من اللآلئ، وذكر ابن بطوطة (٤٧٢) "فيجمع جميعها صغيرة وكبيرة فيأخذ السلطان خمسة، والباقي يشتريه التجار الحاضرون"، لكني أرى أن المعمول به في عمان أن يأخذ الحاكم العشر بعد إتمام عملية البيع وذلك كزكاة على تجارة اللؤلؤ كما يقول ابن النضر (٤٧٣) "وليس في العنبر عشر ولا.. اللؤلؤ إذ ينظم أو يرصع" ويفهم من هذا أنه ليس في اللؤلؤ زكاة إذا لم يكن سلعة للتجارة، واستخدم كزينة الاستعمال الشخصي فقط، أما إذا تعدت كمية ذلك وعرضت كسلعة تجارية فقد وجبت منها الزكاة ومقدارها عُشر ثمن بيعها. وبعد إخراج الزكاة يتم خصم قيمة المواد التموينية بين الجميع

(٤٧٠) جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك ص ٣٦.

(٤٧١) الحنحاني، حبيب (دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول) حصاد

ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٦٥-٦٦.

(٤٧٢) رحلة ابن بطوطة، ص ١٨٦.

(٤٧٣) الدعائم شرح ابن وصاف ج ١ ص ٣٠٦.

وتدفع عشرين في المائة من الدخل لصاحب السفينة، ثم يقسم المبلغ المتبقي بين العاملين في تلك السفينة على النحو التالي:

— ثلاثة أنصبة للنوخذة. ثلاثة أنصبة للغواص، نصيبان للسيب، ونصيب واحد للرضيع^(٤٧٤) أما الأولاد الصبية، الذين يعملون في السفينة فليس لهم أنصبة لأنهم في مراحل تمرين^(٤٧٥) لكن ومايلز^(٤٧٦) ينفرد فيذكر أن للربان (النوخذة) خمس المداخل وللغواصين ثلاثة الأعشار، وللسيب العشر والباقي عشرين فيخصصان لتموين السفينة خلال موسم الغوص وبقي هناك عشرين لم يذكرهما ومايلز، ربما لصاحب السفينة، ومن جانبي أميل للتقسيم السابق الذي أورده كل من متولي وأبو العلا.

المرحلة الثانية: يأتي فيها دور تجار اللؤلؤ وهم فئتان، فئة الطواويش، وهم صغار التجار، الذين يرحلون إلى الغواصين خلال موسم، الغوص لشراء اللآلئ منهم، أما نقداً أو بمقايضتهم بمواد تموينية بالملابس أو الطعام وما يحتاج إليه الغواصون من احتياجات أخرى، ثم يقوم هؤلاء ببيع ما اشتروه إلى التجار بواسطة الدلاليل الذين يقومون بدور الوسيط بين هؤلاء الطواويش وبين التجار، وإن كانوا يميلون إلى التجار، ويأخذون عمولة من الطرفين.

أما التجار فهم أولئك الذين يتعاملون في شراء وبيع اللآلئ، بالجملة وتأتيهم اللآلئ، إلى أماكنهم ويشترونها نقداً، ثم يقوموا بتصديرها إلى الخارج، وهم الذين يجنون النصيب الأكبر من أرباح هذه التجارة^(٤٧٧).

تجارة اللبان:

^(٤٧٤) متولي، محمد ومحمود أبو العلا: جغرافية الخليج ص ٣١٤.

^(٤٧٥) متولي، وأبو العلا: ن. م. م.

^(٤٧٦) الخليج بلدانه وقبائله، ص ٣٤٥.

^(٤٧٧) متولي، وأبو العلا: جغرافية الخليج ص ١٦١.

ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٢٠.

تجارة اللبان تجارة قديمة، فقد استخدم اللبان كبخور في الطقوس الدينية المسيحية، وكذلك في المناسبات الدينية عند المسلمين كالأعياد والأفراح من عرس وغيره.

هذا وعن كثرة إنتاج اللبان في ظفار التي انفردت بإنتاجه وعن أهميته التجارية والاقتصادية فيها قال القزويني "وبها اللبان الذي لا يوجد في الدنيا إلا في جبالها، وأنه غلة لسلطانها".

وكان كل من البليد الواقع على الساحل الشرقي من صلالة ومرباط الميناءان الهامان والوحيدان لتصديره فمنها "يحمل.. إلى سائر البلدان" كما ذكر القزويني^(٤٧٨).

وأهم تلك المناطق، الهند، وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية، خاصة بلاد الحجاز واليمن ومنها إلى مصر وبلاد الشام ثم إلى أوروبا^(٤٧٩).

ولما ازداد الطلب عليه في الصين، استدعى الأمر، بإمبراطور الصين "سنج زو" (٨٠٦-٨٢٨هـ / ١٤٠٣-١٤٢٤م) إلى إرسال وفد لتبادل المنتجات الصينية بالسمن الظفاري واللبان بصفة خاصة^(٤٨٠). وعن أهميته عندهم أي الصينيين أن عرف الطرق البحري بين عمان والصين "بطريق البخور"^(٤٨١) وقد راجت تجارته وذلك لاستعمالاته المتعددة فبالإضافة إلى استعمالاته كبخور، فهو يمضغ فيساعد عملية الهضم، ويغلي مع الماء فيشرب لتخفيف حدة السعال، كما أنه يستعمل كعقار طبي لعلاج ودمل القروح، كما أنه يدخل في صناعة بعض الأدوية والزيوت والمساحيق والشموع^(٤٨٢).

^(٤٧٨) آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٥-٥٦ و ٦١.

^(٤٧٩) السالمي، محمد: نهضة الأعيان ص ٥٤ الناصر: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٥١.

^(٤٨٠) زانج هو (المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٦ ص ٥١.

^(٤٨١) يان تشانغ زون: الاتصالات الودية بين الصين وعمان عبر التاريخ ص ١٣.

^(٤٨٢) الغساني: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٢٠٦-٢٠٧ وص ٢٤٨.

الموسوعة العربية الميسرة مج ٢ ص ١٥٤٨.

أسلوب تجارة اللبان:

المكان الذي يخزن فيه اللبان يعتبر بمثابة سوق تجاري يلتقي فيه التجار لشرائه وتتم عملية البيع والشراء على طريقتين:

الأولى: مقايضة اللبان بسلع أخرى وتتم هذه المقايضة محلياً بين تاجر اللبان في المدن الساحلية وبين أصحاب المنازل مستثمري أشجار اللبان على أن يقدم التاجر للمستثمر احتياجاته من الحبوب والتمر والثياب وزيت السمسم والأصبغ والأسورة الزجاجية كمعاصم تتزين بها النساء في أيديهن.

أما الطريقة الثانية: فهي استيفاء قيمة اللبان بالنقود وتتم بين تاجر الساحلية فيما بينهم وبين التاجر المصدر إليهم بالخارج.

وفي الحالة الأولى أي المقايضة أن يحدد التاجر لكل نوع من البضاعة التي يطلبها المستثمر كمية من المدالي حسب نوعية اللبان. فإن كانت جيدة، كانت كميته أقل، وإذا كانت غير جيدة كانت كميته أكبر، وتبرم اتفاقية بذلك بين الطرفين^(٤٨٣) وبعدها يستأجر المستثمر قافلة من الجمال لنقل ما استدانه من التاجر إلى منزلته، فيقوم بشراء اللبان أيضاً بالمقايضة من مالكي اللبان مثلاً من اللبان بوزنه تمرأ، أو بمكيالين من الحبوب، أو بكذا ذراع من الأقمشة^(٤٨٤)، وعلى تاجر المدن الساحلية دفع أجرة الجمال التي تحمل التمر والحبوب والأقمشة، ثم تعود باللبان وذلك مقدماً باعتباره جزءاً من الدين الذي يستوفي حقه كاملاً من سعر اللبان، فيدفع ثمن ما يزيد على حقه، وإن

^(٤٨٣) صيغة الاتفاقية "أن فلان استدان من فلان كذا كيساً من الحبوب، وكذا جراباً من التمر، وكذا ثوباً من القماش وغير ذلك من الأشياء الأخرى بكذا مدلاة من منازل كذا بشرط أن يكون اللبان خالياً من التراب والثرارة. شهد بذلك فلان.. وفلان".

الثرارة: حجارة صغيرة تشبه لون فصوص اللبان تخلط مع اللبان لزيادة وزنه.
^(٤٨٤) وحدات الوزن المتعامل بها: البهار: بفتح الباء = ١٠ مدالي. المدلاة بكسر الميم مع تسكين الدال = ٣ فراسل الفراسلة: بفتح الفاء = ١٠ أمان. المن بفتح الميم مع تشديد النون = ٣/١ إنجليزي. المدلاة الواحدة = ٧٠ رطلاً إنجليزياً.

انظر -الغساني بحث عن اللبان، بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ١٩٥-٢٠٠ و ص ٢٦٠.

لم يوف سعر اللبن حقه بقي الدين على المستثمر إلى الموسم القادم. وقد يستوفي حقه من الحيوانات التي يمتلكها المستثمر.

وفي موسم حصاد اللبن وجمعه تنتعش الحياة الاقتصادية في إقليم ظفار حيث تتوفر الأعمال للراغبين في العمل في استخراجهِ أولاً ثم لجمعه، ولحراسته ولأصحاب الجمال الذين يقومون بنقله من أماكن تخزينه بالمنازل إلى الحواضر الساحلية ثم للعمال الذين يقومون بتحميله على ظهر السفن، ثم لأصحاب السفن والعاملين عليها حيث ينقلونه إلى الخارج^(٤٨٥).

تجارة المنتجات الزراعية:

أهمها جميعاً التمور^(٤٨٦) حيث تصدر إلى الهند واليمن وشرق أفريقية وغيرها من المناطق في جنوب وشرق آسيا، والبسور التي تصدر إلى الهند^(٤٨٧) ويليهما الليمون الجاف الذي يصدر إلى العراق وبلاد فارس والمنطقة المجاورة وشرق أفريقية، ثم جوز الهند الذي يصدر من ظفار إلى المناطق المجاورة كاليمن وغيرها من المناطق المجاورة في منطقة الخليج^(٤٨٨).

تجارة الأسماك والغنبر:

الأسماك التي تصدر إلى الخارج إما أن تكون مجففة أو مملحة. أهم أنواع الأسماك المجففة سمك القرش بعد تشريحها وتعرف محلياً "بالعوال".

(٤٨٥) الغساني: بحث عن اللبن، بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٢٠١-٢٠٣.

(٤٨٦) أن ما تنتجه شجرة النخيل في عمان وبالدات في وادي سمائل وغيرها من المناطق الداخلية الخصيبة يعادل ضعف ما تغله مثيلتها في منطقة شط العرب انظر ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٢٤.

(٤٨٧) ابن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٦٧-أ.

يستخدم الهنود مسحوق البسور في مناسباتهم الدينية وحفلات الأفراح كالأعراس وغيرها.

انظر لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج ٤ ص ١٤٩٦-١٤٩٧.

(٤٨٨) أنظر - السالمي، محمد الشيبية: نهضة الأعيان ص ٦٠، فيليبس، ونذل: تاريخ عمان ص ٢٨.

- هاريسون: رحلة طبيب في الجزيرة العربية (مترجم) ص ٦٣-٦٤.

- حبيب الحنحاني (بحث دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول) بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٦٢-٦٣.

والربيان ثم السرددين "القاشع والعمومة" تعباً في أكياس، ثم الصويلح وأهم مناطق صيده المنطقة الواقعة من رأس مرباط إلى رأس نوس في إقليم ظفار والصدف وحرّاشف السلاحف والزعانف.

أما الأسماك المملحة فأهم أنواعها سمك الكنعد الكبير الحجم. بينما يصدر العنبر إلى شرق أفريقية والهند.

تجارة الخيول والجمال:

كانت تجارة الخيول العربية الأصيلة التي سماها ابن بطوطة "الخيّل العتاق" والجمال العمانية الشهيرة، تجارة رائجة خلال فترة دراستنا.

فتصدر إلى مناطق عدة كالهند وشرق أفريقية، والعراق. وأهم موانئ تصديرها قلّهات ومرباط وصحار، ومسقط، وذكر ابن بطوطة أن ثمن الخيل الواحدة كان يصل إلى مائتي أشرفية.

تجارة المنتجات الحيوانية:

يعتبر السمن (الحيواني) المستخلص من لبن الأبقار والماعز والغنم، من أهم المنتجات الحيوانية تجارة، وذلك لكثرة الأبقار والماعز التي تربي في إقليم ظفار ومن جلفار "الصير" ويتم تصديره إلى المناطق المجاورة كاليمن والحجاز ومنطقة الخليج. كذلك يتم دبغ الجلود وتصديرها إلى الهند لحاجتها إليها في الصناعات الجلدية.

تجارة المنسوجات:

قامت في عمان منذ القدم صناعة الأزرّة واللحف والعمائم المصنوعة من القطن أو من الحرير، وتصدر إلى شرق أفريقية وإلى أقطار شبه الجزيرة العربية^(٤٨٩).

(٤٨٩) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج١ ص ١٥٠-١٥٢ و ج٢ ص ٢٩١.

- الحموي: معجم البلدان ج٢ ص ١٥٤ و ج٥ ص ٢٨١.

- رحلة ابن بطوطة ص ١٧٣ و ص ٤٢٦.

- ابن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٦٧-أ.

أهم السلع التجارية المستوردة:

إن لموقع عمان المتوسط بين مناطق التصدير في شرق الكرة الأرضية، كالهند والصين وجزر الهند الصينية وشرق أفريقية، وبين مناطق الاستيراد شبه الجزيرة العربية، والعراق وبلاد فارس، التي تنتقل منها السلع الشرقية إلى كل من مصر وبلاد الشام، ومنها تعبر البحر المتوسط إلى موانئ أوربا الغربية، جعل من الموانئ العمانية مراكز مهمة لتجارة العبور توريداً وتصديراً، ولهذا لم يكتف العمانيون بجلب ما تحتاجه أسواق بلادهم من منتجات الشرق، بل قاموا بتغطية ما تحتاجه الأسواق الأخرى الأنفة الذكر قدر استطاعتهم، مستفيدين من موقع بلادهم الحساس.

لقد كان لهذا النوع من التجارة وسيلة رزق وعمل ليس للتجار وحدهم بل تعدادهم إلى فئات أخرى عديدة في المجتمع العماني، كالملاحين في هذه السفن، والعاملين في شحن وتفريغ البضائع وحراستها في الموانئ والمخازن، ولا ننسى أولئك الذين وضعوا اللبنة الأولى في هذا النشاط الاقتصادي الهام ألا وهم بناء هذه السفن الكبيرة الناقلة للتجارة والمتعاونين معهم كقاطعي الأخشاب وصانعي الحبال والأدوات المستخدمة في صناعة السفن، وبهذا كانت هذه التجارة مصدراً أساسياً لازدهار الاقتصاد في عمان خلال فترة دراستنا وما قبلها.

وأهم السلع المستوردة هي:

المواد الغذائية:

-
- أنظر أيضاً - السالمي، محمد: نهضة الأعيان ص ٥٤-٥٥ و ص ٦٠-٦١.
 - ومايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٢٣٠ - ٢٣٩
 - فيليبس ونذل: تاريخ عمان ص ٢٨.
 - الناصر: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٥١-٢٥٣.
 - كوستا: دراسة لمدينة ظفار "البليد" ص ٧٠.
 - زانج هو: بحث في حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٦ ص ٥١.

يأتي الأرز في مقدمتها لكونه غير منتج في عمان وشبه الجزيرة العربية بأسرها، ولأنه الوجبة الأساسية في هذه المنطقة، كذلك السكر والبن "القهوة العربية" والزيت النباتية التي تعرف محلياً بالسليط^(٤٩٠).

التوابل والعقاقير الطبية:

خلال فترة دراستنا وبعد انتهاء الحروب الصليبية وعودة الأوروبيين إلى بلدانهم وبعد أن كانوا قد تعودوا على تناول الأطعمة الشرقية، فأصبحوا تواقين إليها خاصة التوابل، لذا فقد ازداد الطلب على التوابل من قبل الأوروبيين حتى صارت لا غنى لهم عنها، حيث أنها دخلت في كثير من أصناف الطعام، لإعطائها طعماً خاصاً أو نكهة مميزة أو رائحة زكية، ولأهميتها في التجارة العالمية فقد عرف الطريق البحري الموصل بين مناطق إنتاجها السابق ذكرها وبين بلاد العرب (شبه الجزيرة العربية) بطريق التوابل مقارنة له بالطريق البري المار ببلاد فارس والذي عرف "بطريق الحرير". ومن هذه التوابل، الفلفل بنوعيه الأحمر والأسود، والقرنفل، والقرفة، والزنجبيل والهيل "الحبهان" والزعفران والكرم، أما التي تستخدم كعقاقير طبية مثل الخلنجان، الأهلج، الرواند، الصبر ويُعرف بالصبر الكبدي أو العود الهندي، جوزة الطيب، الكافور والتوتيا التي تستخدم بعد تنقيتها كعلاج لأمراض العيون وللقروح السرطانية.

المواد العطرية والبخور:

وأهمها صمغ اللك الذي يستخدم في تثبيت بعض الصناعات. ومنها ما يدخل في الصباغة كالنيلة الزرقاء، والشب أو الشبة تستخدم لتثبيت الأصباغ على الثياب المصنوعة محلياً.

العاج:

(٤٩٠) انظر - رحلة ابن بطوطة ص ١٧٣ و ١٨٠.

- ابن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٦٧-أ.
- لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج٤ ص ١٤٩٧.
- الحناني (بحث..): حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٥٣ و ٦٥.
- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٧ ص ٢٢٢-٢٢٣.

الزراف يعرف في عمان باسم الزراف لكن الأنواع الممتازة والتي شاع استعمالها في عمان كمقابض للخناجر والسيوف فتؤخذ من وحيد القرن المعروف بالكرکردن^(٤٩١).

الأحجار الكريمة:

يأتي الياقوت في مقدمتها يجلب من جزيرة سرنديب ثم الزمرد والعقيق والزبرجد واللازورد وغيرها. وتستعمل هذه الأحجار كعقود تعلق في الرقبة. أو كفصوص للخواتم. وجلب من الصين ذلك الفخار الصيني المشهور برونقه وملاسته.

المعادن:

تأتي المعادن النفيسة في مقدمة المعادن التي تدخل في التجارة العالمية وأهمها الذهب والفضة والألماس الطبيعي، ثم النحاس والحديد، وقد استخدمت المعادن الثلاثة الأولى كحلي للزينة على مر العصور، بينما دخل كل من الذهب والفضة وأخيراً النحاس كعملة نقدية، في حين استخدم الحديد والنحاس في صناعة الأدوات المنزلية وأواني طبخ وغيرها والسكاكين والخناجر والسيوف الهندية المشهورة، كذلك لعب الزجاج دوراً لا يستهان به في التجارة العالمية.

الملابس:

ذكر المسعودي أن التجار العمانيين وغيرهم من التجار العرب كانوا يحملون منتجات بلدانهم إلى مناطق الشرق خاصة الهند والصين فيقاضون

(٤٩١) أنظر - اليعقوبي: كتاب البلدان ضمن كتاب الأعلام النفسية لابن رسته ج٧ ص ٣٣٦٧.

- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر ج١ ص ١٥١ - ١٥٩.
- رحلة ابن بطوطة ص ٤٠٩ - ٤١٢.
- نعيم زكي: طرق التجارة ومحطاتها ص ١٩١-٢٤١.
- الحموي معجم البلدان ج٣ ص ٤٤٠ و ٤٤٦-٤٤٧.
- الناصر: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٢٨-٢٤٩.
- وانج هو: بحث حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٦ ص ٣٢ و ٤٠.

أهلها بالأتواب الحريرية والقطنية والمخملية "ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير".

تجارة الأخشاب:

من الأخشاب الجيدة المجلوبة من الشرق، أخشاب الساج وأخشاب جوز الهند وتستخدم في صناعة السفن وبناء المنازل والأثاث، وأخشاب الخيزران المستخدمة كأعمدة وسرايا للأشعة وأخيراً أخشاب الأبنوس المستخدمة لأسقف المنازل^(٤٩٢).

تجارة الرقيق:

كانت تجارة الرقيق إلى عهد قريب تجارة رائجة في المنطقة لا يكن تجاهلها، فقد جني منها أولئك التجار والمتعاملون بها أرباحاً طائلة وقد وصفها أحد المؤرخين المعاصرين على أنها "كانت السلعة الأولى في التجارة"^(٤٩٣) وكان غالبية هؤلاء الأرقاء يجلبون من شرق أفريقيا. وكما لعبت تجارتهم دوراً مهماً في اقتصاد عمان بصفة خاصة والمنطقة بصفة عامة، فقد لعبوا هم أنفسهم دوراً مهماً في اقتصاد عمان حيث أوكل إليهم أسيادهم القيام بالأعمال الخاصة بهم إن كانت تلك الأعمال في مجال الزراعة أو البحر من غوص لاستخراج اللؤلؤ أو صيد الأسماك أو صناعة السفن وغيرها من الأعمال الشاقة، التي لا يقوى أبناؤهم القيام بها، فقد كانوا يختارون الشباب الأشداء قوي البنية، ومن النساء من تتوفر فيهن الوسامة والحيوية ليقمن بخدمة أسيادهن في المنازل^(٤٩٤).

^(٤٩٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج١ ص ١٥٢-١٥٣.

- الحموي: معجم البلدان ج٣ ص ٤٤٥-٤٤٦.

- رحلة ابن بطوطة ص ٣٩٦ و ٤١٤.

- نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ٢٤٩-٢٥٤.

- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ج٤ ص ٤٠١-٤٠٢.

^(٤٩٣) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ج٤ ص ٤٠٢.

^(٤٩٤) أبين النظر، أبو بكر أحمد بن سليمان: كتاب الدعائم ص ١١٢-١١٧.

- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ١٧٣.

- ابن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٦٧-أ.

- السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٥.

أهم مراكز التجارة الخارجية (الموانئ العمانية):

مسقط

بفتح الميم وسكون السين وفتح القاف، ميناء عماني^(٤٩٥) طبيعي جيد الإرساء، وتعتبر الجبال المحيطة به من الشرق والغرب والجنوب بمثابة تحصين طبيعي^(٤٩٦) له تصد عنه أنواء الرياح العاتية، ومن هذه الناحية جعلته مملكة هرمز^(٤٩٧) -المسيطرة على الشريط الساحلي- ميناء رئيسياً في المنطقة الخاضعة لها، بل هو في الحقيقة الميناء الرئيسي للأجزاء الداخلية من البلاد برمتها خلال فترة دراستنا إذ يربطه بها وادي سمائل المعروف بحلقوم عمان. وقد وصفه ابن ماجد "مسكت البندر المشهور في الدنيا.. بندر لم يكن في الدنيا مثله" فكانت تلك الجبال إضافة إلى جبل الفحل^(٤٩٨) من المعالم البارزة الشهيرة التي تميزه عن غيره من الموانئ الواقعة، فهي المرشد للسفن القاصدة إليه، إن كانت قادمة من بحر الهند أو تلك القادمة من بحر فارس. وأضاف "وهو بندر عمان من العام إلى العام تشحن المراكب فيه البسر والتمر والخيل، وتبيع فيها البن والسليط والرقيق والغلات وتقصده المراكب"^(٤٩٩).

بينما ينقل عما جاء في وصف البوكيرك قوله "مسقط مدينة عامرة جداً بالسكان.. والميناء لا تؤثر فيه الرياح وهي الميناء لمملكة هرمز ولا بد

- نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ٢٢٤.

هاريسون: رحلة في الجزيرة العربية مترجم ص ٢٦-٢٧.

^(٤٩٥) الحموي: معجم البلدان، ج ٥ ص ١٢٧، ورحلة ابن بطوطة ص ٤٢٦.

^(٤٩٦) بعد استيلاء البرتغاليين على المنطقة بنوا فوق الجبلين المطلين على الميناء ومباشرة قلعتي

الجلالي والميراني لزيادة تحصينها والدفاع عنها ولتشديد قبضتهم على تجارة المنطقة.

^(٤٩٧) كانت مملكة هرمز الجزيرة الواقعة على مدخل الخليج مسيطرة على الشريط الساحلي العماني

ابتداء من ق ٧هـ (ق ١٣م) في حين كان ملوك بني نبهان باسطي نفوذهم على الأجزاء الداخلية من

عمان فقط.

أنظر ويليامسون: صحار عبر التاريخ ص ٥١.

^(٤٩٨) جبل الفحل: يقع مقابلاً له ميناء الفحل وهو الميناء الرئيسي لتصدير النفط حالياً.

^(٤٩٩) ابن ماجد: كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٦٧-أ.

للمراكب التي تترتد هذه المناطق أن تمر بها كذلك كانت منذ وقت طويل سوقاً للخيل والتمور ثم هي مدينة أنيقة دورها جميلة جداً^(٥٠٠).

ميناء صحار:

ميناء عماني هام يقع على ساحل بحر عمان، كانت قصبة لعمان منذ ما قبل الإسلام وزادت أهميتها التجارية، عندما أصبح بحر فارس شريان التجارة العالمية بعد انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى العراق، وأدى ازدهار التجارة مع مناطق الشرق الأقصى وشرق أفريقيا أن أصبحت صحار مركزاً تجارياً حساساً في التجارة العالمية^(٥٠١)، وقد وصفها الكدومي^(٥٠٢) بأنها "كانت هي الفرضة لفنون التجارة بعمان، من سائر التجارات" بينما وصفها الحموي^(٥٠٣) بقوله "وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها" ونقل عن البشاري قوله "صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين بلد أجلّ منه، عامر أهل.. أجلّ من زبيد وصنعاء وأسواق عجيبة.. دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن" .. هذه وعلى الرغم من احتلال عدن لمكانتها بعد سقوط بغداد في يد المغول وتحول التجارة من بحر فارس إلى بحر القلزم، واحتلال مسقط لمكانتها على المستوى المحلي كما سبق القول، إلا أنها ظلت ميناء هاماً بمنطقة الباطنة متصلة بمنطقة الظاهرة الزراعية عن طريق وادي الجزي^(٥٠٤) فهي محطة للرزق، لازالت الخيرات بها وافرة وربوعها عامرة زاهرة^(٥٠٥).

(٥٠٠) عمان وتاريخها البحري ص ٥٨. أنظر أيضاً - متولي وأبو العلا: جغرافية الخليج ص ٣٠٢، لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي: ج ٤ ص ١٤٨٨-١٤٩٧ كوستا دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري بحصاد ندوة الدراسات العمانية ج ٥ ص ١٥٥.

(٥٠١) الهمداني: الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب ص ٢٣٧.

وأبو الفداء، إسماعيل بن محمد: تقويم البلدان ص ٩٩.

الحنحاني، حبيب (دور عمان في نشاط التجارة العلمية في العصر الإسلامي الأول بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٦٨.

(٥٠٢) أبو سعيد محمد بن سعيد: الاستقامة ج ٢ ص ٥٤.

(٥٠٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٥٠٤) أنظر أيضاً - ويليامسون، أندرو: صحار عبر التاريخ ص ٥١-٥٢.

- متولي وأبو العلا: جغرافية الخليج ٣٠١.

قلهات:

بالفتح ثم السكون وآخرها تاء مفتوحة، ميناء عماني يقع على ساحل بحر عمان كانت أول عاصمة لعمان العربية بعد استيطان قبيلة الأزدي العربية بزعامه مالك بن فهم الأزدي فيها وقد ازدادت أهميتها التجارية خلال فترة دراستنا عندما اتخذها ملوك هرمز عاصمة ثانية لمملكتهم يلجئون إليها للنزهة والاستجمام أو فراراً من عدو تغلب عليهم في عاصمتهم الأولى بجزيرة هرمز وذلك لموقعها الحصين بين الجبال الشديدة الوعورة. لكن ميناءها واسع جداً وجيد لرسو السفن. منها توزع التوابل والسلع الأخرى على المناطق الداخلية، ومنها تصدر الخيول العربية الأصيلة. وقد وصفها ابن بطوطة الذي زار المنطقة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بأنها "حسنة الأسواق" والمباني. وأضاف قوله "وأكلت بهذه المدينة سمكاً لم أكل مثله في إقليم من الأقاليم، وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا أكل سواه، والأرز يجلب إليهم من أرض الهند.. وهم أهل تجارة ومعيشتهم مما يأتي إليهم في البحر الهندي^(٥٠٦)".

ويتم نقل كثير من تلك السلع التجارية الواردة إلى المدن الداخلية الخاضعة لحكم بني نبهان.

وعلى الرغم من وجود نظامين سياسيين منفصلين عن بعضهما خلال هذه الفترة إلا أن هناك صلة وروابط مشتركة تربط بين الساحل والداخل والذي يهمنها هنا العلاقة التجارية بينهما لأن السمة الاقتصادية المميزة لمدن الداخل هي القيام بالإنتاج الزراعي والحيواني^(٥٠٧) بينما تقوم الموانئ الساحلية باستغلال ثروات البحر من أسماك ولآلي، ثم بالمعاملات التجارية من نقل ووساطة، وتصدير ما يفيض عن حاجة البلاد من الإنتاج الزراعي

- كوستا (دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عمان) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٥ ص ١٥٧.

(٥٠٥) الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ج ٢ ص ١٣٩.

(٥٠٦) الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٣، العوتبي: سلمة بن مسلم: الأنساب ج ٢ ص ٢٦٧.

(٥٠٧) رحلة ابن بطوطة ص ١٨٠.

والحيواني والصناعي والثروة البحرية واستيراد ما تحتاجه من سلع خارجية.

ميناء صور:

ميناء عماني قديم يقع على مدخل خليج عمان في الحجر الشرقي من عمان، اشتهر أهله منذ القدم بصناعة السفن وبالملاحة البحرية والتجارة واستخراج اللؤلؤ. ويعتبر الميناء الرئيسي للمنطقة الشرقية من عمان. فعن طريقه يتم تصدير إنتاجها الزراعي والحيواني وجلب ما تحتاج إليه من سلع خارجية، وقد حل محل ميناء قلعات كمركز تجاري لهذه المنطقة، وذلك بعد أن دمر زلزال معظم مباني مدينة قلعات في أواخر فترة دراستنا^(٥٠٨).

ميناء مرباط:

بكسر الميم وسكون الراء المهملة، وباء موحدة ثم ألف وآخره طاء مهمة اسم ميناء يقع على ساحل جون ظفار في الجنوب الشرقي من إقليم ظفار العماني. وكان فرضة ظفار (سهل مدينة صلالة الحالية). ويبعد عنها خمسة فراسخ، وهو ميناء جيد لرسو السفن، منه يتم تصدير اللبان الظفاري المشهور إلى الخارج.

ميناء ريسوت^(٥٠٩):

ميناء عماني قديم يقع بإقليم ظفار في منتصف الطريق بين شمال عمان وعدن وهو مرسى جيد استخدم كميناء ومركز تجاري لمدينة البليد عاصمة دولة المنجويين التي قامت في سهل ظفار ما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين (الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين)^(٥١٠).

(٥٠٨) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٤٣٧-٤٣٨ و ص ٤٤٠-٤٤١.

عمان وتاريخها البحري ص ٤٦.

(٥٠٩) ميناء ريسوت حالياً هو الميناء الرئيسي في إقليم ظفار المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان.

(٥١٠) عن الموائى الثلاثة أنظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب ص ٩٢.

- الحموي: معجم البلدان ج ٣ ص ١١٢ و ج ٥ ص ٩٧.

- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٦١.

- أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٩٨.

ميناء جلفار أو الصير:

ميناء عماني قديم يقع في شمال عمان على ساحل بحر فارس. وكما ذكره الحموي^(٥١١) يقرأ اسمه القديم بالضم ثم الفتح والتشديد، وفاء وآخره راء، بلد بعمان عامر كثير الغنم والجبن والسمن، يجلب منها إلى ما يجاورها من البلدان "وكانت الصير مركزاً تجارياً هاماً في شمال عمان، وفيما يبدو أن اسم جلفار أعجمي عرفت به هذه البلدة قديماً. ثم سماها العمانيون (الصبر)^(٥١٢). وتقرأ بتشديد الصاد^(٥١٣).

ب- التجارة الداخلية:

وتتكون من النقاط التالية:

الأسواق، البضائع، أساليب التجارة، الطرق التجارية، أهم مراكز التجارة الداخلية.

الأسواق:

تنقسم الأسواق في عمان إلى نوعين، أسواق دائمة وأسواق موسمية، الأسواق الدائمة هي تلك الأسواق التي تفتح أبوابها يومياً، وهي أما على فترتين صباحية ومساءلية، وهذه أكثر ما تكون في المدن والمراكز التجارية الكبرى، كنزوى في المنطقة الداخلية، ومسقط وصحار في المنطقة الساحلية، وأما على فترة واحدة كأسواق المدن الداخلية فتكون أسواقها غالباً

-
- السالمي، محمد الشيبية: نهضة الأعيان ص ٥٤-٥٥.
 - السيابى، سالم حمود، عمان عبر التاريخ ج ١ ص ٥٤.
 - متولي وأبو العلا: جغرافية الخليج ص ٣٠١-٣٠٢.
 - عمان وتاريخها البحري ص ٤٩.
 - كوستا: بحث "دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عمان" بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٥ ص ١٥٤.
 - معجم البلدان ج ٢ ص ١٥٤.^(٥١١)
 - سبق التعريف بها.^(٥١٢)
 - أنظر السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ٢ ص ١١.^(٥١٣)
 - السالمي محمد الشيبية: ن: م ص ١٨.
 - ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان ص ٢٢.

في الفترة المسائية ما بين صلاتي الظهر والعصر وقد تمتد إلى قبيل غروب الشمس^(٥١٤)، لأن سكان المدن الريفية يعملون في الفترة الصباحية أما في أعمال الزراعة أو البناء.

الأسواق الموسمية:

أهم الأسواق الموسمية هي تلك الأسواق التي تأتي قبيل عيدي الفطر والأضحى المباركين من كل عام استعداداً للاحتفال بهما، وتسمى هذه الأسواق بالهبط أو الحلقات (مفردها هبطة أو حلقة).

فبالنسبة لعيد الفطر المبارك تبدأ هذه الأسواق من تاريخ ٢٤ شهر رمضان المبارك وتنتهي بتاريخ ٢٨ منه، أما بالنسبة لعيد الأضحى المبارك فتبدأ من تاريخ ٤ ذي الحجة وتنتهي بتاريخ ٨ منه، وتتوزع هذه الأيام إلى الأسواق الموجودة في كل منطقة من مناطق عمان وحسب كبر المدينة وأهميتها التجارية، مثل نزوى ومسقط وصحار وغيرها من المراكز التجارية الداخلية الكبرى ذات الأسواق النشطة.

فتحظى بنصيب أكبر من هذه الأسواق من يومين إلى ثلاثة، بينما المراكز التجارية الأقل حركة ونشاطاً يكون نصيبها يوماً واحداً فقط.

ويتم في هذه الأسواق بيع وشراء كل ما يحتاج إليه للاحتفال بهذه الأعياد المجيدة من أطعمة وحلويات وبهارات وبخور وعطور وانتهاء بالذبائح والأضاحي. كل حسب قدرته المالية ومكانته الاجتماعية. وتختتم هذه الأسواق بأيام الأعياد الثلاثة وتسمى العيود وتكون خاصة للأطفال لشراء ما يحتاجونه من لعب وحلويات.

وهناك أسواق موسمية أخرى تقام في عدة مدن في يوم من أيام الأسبوع كسوق الجمعة أو سوق الاثنين.. الخ.

البضائع:

^(٥١٤) لوريمر دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج١ ص ٣٣٣.

البضائع أو السلع التجارية التي يتم عرضها في الأسواق للبيع تأتي في مقدمتها ما تنتجه البلاد من غلات زراعية كالتمور والحبوب والبقوليات والفواكه والخضروات بمختلف أنواعها. وثروات البلاد البحرية كالأسماك والعنبر واللؤلؤ ، ثم الثروة الحيوانية ومنتجاتها من لحوم وسمن وجلود وأسمدة.

والمنسوجات التي تصنع في البلاد إن كانت قطنية أو حريرية أو صوفية (خاصة تلك التي تصنعها بادية عمان من أصواف الماعز والأغنام)^(٥١٥) والصناعات الجلدية. وأخيراً الصناعات الخشبية والأخشاب بصفة عامة إن كانت تستخدم للبناء أو للوقود. ثم الفحم الذي يزداد الطلب عليه في فصل الشتاء خاصة في المناطق الداخلية الحجرية ذات الطقس البارد ليلاً.

هذا بالإضافة إلى ما تم جلبه من الخارج من مواد غذائية كالأرز والبهارات والزيوت النباتية والسكر والبن (القهوة) والمنسوجات من أثواب رجالية ونسائية متعددة الأنواع والألوان (الحريرية والقطنية والمخملية)

أساليب التجارة الداخلية:

بعد أن تحدثنا عن الأسواق وعن أنواع البضائع التي يتم عرضها فيها بقي علينا أن نعرف كيفية أو الأسلوب الذي تتم فيه عمليات البيع والشراء فهناك بضائع يتم عرضها في المحلات التجارية والموجودة في السوق فتباع أما بالوزن أو بالكيل، أو بالقياس، أما التي تباع بالكيلو فهي الحبوب (كالقمح والأرز والملح وأصناف البقوليات الجافة) منها، كذلك الزيوت النباتية وتسمى محلياً (بالحل أو السليط) أما التي تباع بالوزن مثل بعض أنواع الأغذية (كالسكر والبن ومختلف أنواع البهارات) والسمن البلدي وعسل والنحل. وهناك سلع أيضاً تباع بالوزن ولها محلات خاصة غير تلك التي تباع فيها المواد الغذائية وهي محلات العطارين كالبخور وخشب الصندل والورس واللبان ومن أدوات الزينة والتجميل التي تباع

^(٥١٥) سنتحدث عن المنسوجات الصوفية والقطنية وغيرها عند حديثنا عن الصناعة في عمان إن شاء الله.

بالكيل الحناء والآس والعصفر المعروف محلياً بالشورانة. وهناك محلات لصناعة وبيع الحلوى العمانية الشهيرة التي تباع بالوزن^(٥١٦).

أما السلع التي تباع بالقياس^(٥١٧) فتتخصص في المنسوجات والأثاث خاصة المجلوبة من الخارج ولها محلات خاصة بها تسمى محلات البز^(٥١٨). وهناك سلع غالية الثمن لها وضع خاص حيث توزن بميزان حساس صغير وبأوزان صغيرة كالذهب والفضة والزعفران والعطور كخلاصة الورد وخشب العود والمسك والعنبر وأمثالها فتباع بالمتقال أو الأوقية وتعرف محلياً (بالتولة) وهناك سلع تباع في العرصة^(٥١٩) وهي ساحة واسعة أما أن تكون في وسط السوق التجارية أمام المحلات التجارية^(٥٢٠) أو بجانبها هذا ما يكون غالباً. وأكثر ما يباع فيها اللحوم التي تباع بالوزن والأسماك والتمور والفواكه والخضروات فتباع أما بالكوم أو بالحنة وتباع بالمناداة بواسطة الدلال، وبهذه الطريقة تباع أيضاً الحيوانات

^(٥١٦) الأوزان كالاتي: مثقال واحد = (٥٧،٦) قمحة إنجليزية، كياس واحد = (٥) أوقيات = (١٤،٨) دراما من واحد = (٢٤) كياساً = (٨) أرطال إنجليزية = (١٤) أوقية (٣) درامات وتعرف بالتولة. المن (مفرد) الجمع أمانان: كيل أو ميزان هو شرعاً (١٨٠) مثقالاً وعرفاً (٢٨٠) مثقالاً، المنجد في اللغة.

الرطل (مفرد) الجمع أرطال = اثنا عشرة أوقية أو (٢٥٦٤) غراماً "آرامية" ن. م. الكيلو غرام = ألف غرام والغرام جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الأوقية "يونانية". فراسله واحدة = عشرة أمانان = ٨٠ رطلاً، بهار واحد = ٢٠ فراسله = ٢٠٠ من. أنظر-لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٤ ص ١٤٩٨ أما المكيال = ستة أسداس والجزء منه يسمى السدس.

^(٥١٧) أدوات القياس هي: الذراع = المسافة ما بين مرفق ذراع الرجل إلى طرف إصبعه الوسطى = ٤٣ سم.

الشبر = من طرف إصبع إبهام اليد إلى طرف إصبع الخنصر أي بامتداد راحلة كف اليد. الفتر = من طرف الإبهام إلى طرف الخنصر بدون امتداد راحة الكف. ^(٥١٨) البز: هي الأثاث أو محلات بيعها أنظر الرازي: مختار الصحاح. ^(٥١٩) العرصة: بوزن الضربة كل بقعة بين الدور أو المحلات التجارية وهي واسعة ليس فيها بناء وتجمع العرصات. الرازي: ن. م.

وهناك رسوم تؤخذ على المناداة وهي نوعان: العقد: ومقداره العشر وتأخذه الحكومة يعود ريعه لترميم العرصة وتنظيفها، أما الدلالة: فمقدارها عشرين من قيمة البضاعة ويأخذها الدلال المناادي على البضاعة. ^(٥٢٠) الأسواق والمحلات التجارية في عمان كانت سابقاً من ممتلكات الدولة أي بيت المال وتأجر أما شهرياً أو سنوياً بالمناداة.

الحية والأسمدة وعلف الحيوانات كالبرسيم "القت" وغيره. والأخشاب إن كانت للبناء أو للوقود والفحم.

هذا وتتم عمليات البيع والشراء أما أن تكون بالمقايضة أي تبادل سلعة بأخرى كأن يتبادل البدو سكان البادية بما لديهم من سلع تجارية كحيوانات الذبح وغيرها، ومنتجات الألبان (من سمن وجبن والأسمدة) وخشب الوقود والفحم يستبدلونها بما يحتاجونه من سلع المناطق الساحلية والريفية كالتمور والقمح والمنسوجات وما يباع في أسواقها من سلع خارجية كالأرز والتوابل.

كذلك يتبادل سكان المناطق الساحلية بما لديهم من ثروات البحر من أسماك وملح وغيرها بما يحتاجونه من سلع الريف والبادية. وتتم المقايضة هنا كأن يباع مَنْ واحد من التمر بمِئتين من الملح. أو مَنْ واحد من التمر بما يعادل وزنه من الأسماك.

وعلى كل فتتحدد تلك المقادير حسب الطلب المرتفع على إحدى السلعتين. ويلجأ الناس إلى التعامل بأسلوب المقايضة عندما لا تتوفر لديهم النقود الكافية لعمليات البيع والشراء وكانت العملة المستعملة في عهد بني نبهان تسمى المحمدية وهي عملة مسكوكة من الفضة يعادل وزن القطعة منها ثلثي مثقال والمثقال الواحد يزن^(٥٢١) اثنتين وسبعين حبة شعير^(٥٢٢).

إذن المحمدية الواحدة تزن ثماني وأربعين حبة شعير ومع أن الذهب كان المعدن الشائع استخدامه لسك العملة النقدية خلال القرنين السابع الهجري (الخامس عشر الميلادي) شاع استخدام الفضة والنحاس وغيرهما من سبائك معادن أخرى ومجوهرات مختلفة كعملة متداولة خاصة في التجارة الخارجية لمواجهة ازدياد الطلب على السلع الخارجية^(٥٢٣).

^(٥٢١) عن الأوزان والمقاييس أنظر -لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج٤ ص ١٤٩٨ العوامر قبيلة متخصصة في حفر الآبار الأفلاج بشمال عمان بحث بمجلة الدراسات العمانية ص ١٦٥-١٦٦.

^(٥٢٢) أنظر عمر متولي وشحاتة: اقتصاديات النقود في إطار الفكر الإسلامي ص ٥٨ و ١٤٥.

^(٥٢٣) الشقصي، خميس بن سعيد: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ج٥ ص ٢٨٧-٢٨٨ مقدمة كتاب الدعائم لابن النظر ص ٧.

الخصيبي، محمد بن راشد: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ج٢ ص ٣٢٥.

بقي علينا أن نعرف ما مقدار ما تستوفيه الدولة كزكاة أو ضريبة مالية على التجارة شرعاً فقد ذكر الشقصي^(٥٢٤) "أن كل ما كان للتجارة من أصل^(٥٢٥) أو عبيد أو حيوان أو ثياب أو عروض^(٥٢٦) أو غير ذلك من الأمتعة إذا وجبت فيه ولم يبيعه صاحبه أخرج منه الزكاة بسعر يومه، وإن كان فيه ربح قوّم يوم حلت فيه الزكاة، إن كانت فيه وضيفة^(٥٢٧) أخرج الزكاة من رأس ماله" ويضيف قوله "ومن كانت له تجارة وقد وجبت عليه فيها الزكاة.. فإنه يحمل جميع ما في يده من ذهب وفضة ودرهم ودنانير ويخرج من جملتها الزكاة ويُقوّم^(٥٢٨) على التاجر كل شيء في يده للتجارة قيمة وسطة على سعر البلد التي هو فيها ويترك من الطعام ما يقول أنه يكفيه ويكفي من يعوله". وعن الكيفية التي يتم فيها إخراج الزكاة قال "إن التاجر مخير إن شاء أخرج الزكاة من البضاعة من كل جنس منها ربع عشر وإن شاء قوّم البضاعة وأخرج ربع قيمتها درهم أو دينار، كل ذلك جائز. ويُقوّمها بسعر يوم يريد إخراج زكاتها وما كان من العروض التي لا تتجزأ بوزن ولا كيل ولا عدد فإنه يُقوّم قيمة تتفق بنقد ذلك اليوم" وبهذا يتضح لنا أن زكاة التجارة تعامل كزكاة الذهب والفضة^(٥٢٩) التي وضحها الكندي في كتابه المصنف^(٥٣٠).

"والصدقة في الذهب والكسر في الحلي والدنانير، من كل عشرين مثقالاً نصف مثقال ولا زكاة فيما زاد حتى يتم أربعة مثاقيل، ثم في الأربعة

- نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والعرب ص ٣٥٦ وص ٣٦٠ وص ٣٦٣.

- وايز جريز. جي: تقارير ورسومات | ١ ت كامبفر من مسقط عام ١٦٨٨ ص ١٥-١٦.

^(٥٢٤) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ج ٥ ص ٩٨-١٠٥.

^(٥٢٥) أصل: ربما يقصد بها الأرض والعقار.

^(٥٢٦) العروض: الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ولا تكون حيواناً ولا عقاراً انظر مختار الصحاح مادة عرض.

^(٥٢٧) الوضيفة يفهم منها الخسارة.

^(٥٢٨) يُقوّم الشيء: أي يقدر بكذا.

^(٥٢٩) أنظر جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ ص ٢١٣-٢١٤.

^(٥٣٠) أبو بكر، أحمد بن عبدالله بن موسى ج ٦ ص ١١٨.

عشر مثقال، بهذا المثقال المعروف بعمان. والزكاة في الدراهم والفضة المكسورة والحلي من كل مائتي درهم خمسة دراهم، إذا تمت مائتي درهم وازنة فإن نقصت عن ذلك فلا زكاة فيها. والدراهم هو الدرهم المعروف بعمان. فإن كانت دراهم صحاح، وبلغ عددها مائتين، فلا زكاة فيها حتى يبلغ وزنها مائتي درهم، وإنما تجب الصدقة فيه إذا تمت هكذا ثم حال عليه حول مذ صار له "وعلى ذلك تكون زكاة التجارة تقدر بزكاة الذهب والفضة وهي بالتالي كزكاة النقود وتتخذ بنسبة ١ من ٤٠ أو ٢,٥ في المائة، شريطة أن يمر عليها عام كامل من تعامل التاجر بها ولا يفرق بذلك بين السلع التجارية الواردة عن طريق البر وتلك الواردة عن طريق البحر^(٥٣١) لكننا مع الأسف لم نحصل على معلومات تفيدنا عن المبالغ المالية التي تم تحصيلها في عهد بني نبهان.

طرق التجارة الداخلية:

تعتبر الأودية في عمان شرايين للحياة، فبالإضافة إلى أنها مجاري لمياه السيول عقب نزول الأمطار الغزيرة، حاملة الخير والنماء للمناطق الزراعية، فهي أيضاً همزة الوصل بين مدينة وأخرى في عمان، فعن طريقها يتم نقل التجارة حيث تشق القوافل طرقها حاملة السلع التجارية من غذاء وكساء وغيرها من مستلزمات الحياة الضرورية.

وفي عمان ثلاث طرق رئيسية تنتشعب منها عدة طرق ثانوية تربط الساحل بالداخل كما أنها توصل بين مدينة وأخرى في داخلية البلاد وسواحلها هذه الطرق هي:

- طريق وادي سمائل يعتبر أهم الطرق الرئيسية في عمان لذا عُرف بحلقوم عمان، يصل بين مطرح ذلك السوق التجاري الهام بمدينة مسقط وبين مدن الداخل المعروفة بمنطقة الجوف ابتداء من مدينة فنحاء مروراً بمدينة سمائل وإزكي وانتهاء بمدينة نزي وبهلى تلك المدن والقرى الواقعة على سفح الجبل الأخضر.

^(٥٣١) ولكنسون، جون: صحار تاريخ وحضارة ص ٢٦-٢٧.

- طريق وادي الفليج الذي يصل بين ميناء صور وبين منطقة جعلان بالحجر الشرقي من عمان.
- طريق وادي الجزى، الذي يصل بين ميناء صحار بساحل الباطنة وينتهي بتوأم (البريمي حالياً) بغرب عمان.
- وهناك طريق جانبي هام للمواصلات الداخلية هو ذلك الطريق الذي يصل المنطقة الشرقية بمنطقة الجوف مروراً بسماثل ملتقياً بالطريق المتفرعة من وادي الفليج ووادي سمانل كما أن هناك طريقين جانبيين ينفذان من منطقة الجو "واحة البريمي حالياً" ليعبرا منطقة الظاهرة لينتھيا بمنطقة الجوف.
- كل هذه الطرق الأنفة الذكر سالكة ليس بها صعوبات ولا عقبات تذكر، تحد من حركة النقل عليها فهي سهلة حتى للقوافل المحملة بالبضائع^(٥٣٢) (من جمال وحمير).

الطرق الفرعية الواقعة فى الحجر الغربى:

- طريق وادي الحواسنة يصل سهل الباطنة الساحلي بمنطقة الظاهرة.
- طريق وادي بني خروص، هو الطريق الواصل بين منطقة الباطنة والمدن الواقعة بهذا الوادي، وتسير عليه القوافل من جمال وحمير.
- طريق وادي المعيدن يربط بين المدن والقرى الواقعة بمدرجات الجبل الأخضر (مثل سيق والشريعة وغيرهما) بالمدن الواقعة بمنطقة الجوف مثل نزوى وبهلى وغيرهما.
- وهو من الصعوبة بحيث لا يمكن عبوره إلا مشياً بالأقدام أو باستخدام حمير الجبل التي تتميز بقوتها وتحملها لصعود الجبال.

^(٥٣٢) لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج٥ ص٧٨٩.

- متولى، محمد محمود أبو العلا: جغرافية الخليج ص١٠٨ - ١١٢
 - محمد مرسي عبدالله: إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨ ج١ ص٣١.

الطرق الفرعية الواقعة في الحجر الشرقي:

هناك طريق صغير يربط بين طريق وادي سمائل وبين المنطقة الشرقية مروراً بمنطقة مسقط وسيح وادي حطاط، ثم يعبر ممر عقبة قحزة، ثم وادي منصح لينتهي بوادي الطائيين بالمنطقة الشرقية، وغالباً ما تستخدم الحمير في عبوره وقلماً تستخدم الجمال وذلك لصعوبة هذا الممر، التي لولاها لكان الوصول من منطقة مسقط إلى المنطقة الشرقية أقصر مسافة وأقل زمناً من الطريق المألوف لدى الكثيرين وهو طريق "وادي العق".

وهناك طريق سهل السير عليه يربط بين منطقة (جعلان) وبين خور الجرامة بصور ماراً بجبل خميس ليلتقي بطريق وادي الفليج السابق ذكره^(٥٣٣).

أهم مراكز التجارة الداخلية:

نزوى:

تعتبر مدينة نزوى أكبر وأنشط مركز تجاري في منطقة الجوف "داخلية البلاد" وقد أهلها لذلك عدة أمور منها:

- موقعها المتوسط في عمان، ولكونها عاصمة البلاد خلال فترة دراستنا فهي مركز استقطاب لكثير من سكان المناطق الداخلية.
- لوقوعها عند قاعدة الجبل الأخضر، فهي المنفذ الرئيسي لمنتجاته الزراعية والصناعية ولثروته الحيوانية وخاصة الماعز. ومن سوقها يستمد سكانه ما يحتاجونه من سلع مختلفة.
- تعتبر نزوى أكبر مدن البلاد الداخلية، وأكثرها سكاناً وعمراناً^(٥٣٤).

^(٥٣٣) لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج ٥ ص ١٧٨٩.
^(٥٣٤) تنقسم مدينة نزوى إلى جزأين كبيرين، العلية وأهم أحيائها سمد مركز ملوك بني نبهان.

يوجد بها سوق نشط يعج بالحركة التجارية يومياً، فتنوفر به العديد من السلع وبصفة خاصة أيام الهبط أو الحلق. تلك الأسواق الموسمية التي تسبق الأعياد.

مدينة بُهلى:

إحدى المدن الكبيرة بمنطقة الجوف "الداخلية" ومراكزه التجارية الهامة وليس كما ذكرها الحموي بأنها من مدن الساحل. كانت تنافس مدينة نزوى كعاصمة للبلاد في عهد ملوك بني نبهان، ومن أهم قلاعهم الحصينة، وتأتي أهميتها كمركز تجاري لكونها آخر حواضر مدن منطقة الجوف من جهة الغرب، لذا يؤم سوقها التجاري الكثير من سكان القرى والبادية المحيطة بها، هذا وتتميز بُهلى عن سواها من المدن العمانية بسورها الحصين الذي يحيط مبانيها وأحيائها ومزارعها إحاطة المعصم باليد ويبلغ طوله اثني عشر "كيلومتر" ويصفها أحد الخبراء الأثريين العاملين^(٥٣٥) في عمان "وهي في شكلها إحدى المناظر البارزة في عمان وعلى رابية في وسطها يرتفع حصن أبيض ضخم ذو برجين أحدهما عالٍ ويشرف على مشهد عظيم" لوادي بُهلى كله.

توأم^(٥٣٦) "البريمي":

والسفاله: مركز الإمامة والإباضية. وبها حصن نزوى والجامع الكبير والسوق التجاري إضافة إلى الأحياء والقرى المحيطة بها وأهمها فرق موطن الإمام جابر بن زيد، وسعال وأهم أفلاجها الغنتق ودارس.

^(٥٣٥) كوستا (بحث عن الاستقرار الحضاري القديم في عمان) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٥ ص ١٥٢-١٥٣.

- عن المدينتين أنظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٩٣.
- الحموي: معجم البلدان ج ١ ص ٥١٦ وج ٥ ص ٢٨١.
- السالمي، محمد: نهضة الأعيان ص ٤٤-٤٥.
- جودة حسنين: شبه الجزيرة العربية ص ٢٢٧.
- لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج ٥ ص ١٧٣٣-١٧٣٤.
- فيليبس، وندل: تاريخ عمان ص ١٩٠.
- هذا وقد اعتبر كل من قلعة بُهلى وسورها الحصين مؤخراً من ضمن التراث العالمي أنظر جريدة عمان العدد ٢٩٣٧.

^(٥٣٦) توأم: أسم قديم حل محله الآن اسم البريمي الذي يُطلق على المدينة وعلى الواحة بأسرها والتي تتكون من مدينتي البريمي وصعرة التابعتان لسلطنة عمان. ثم العين، الصاورج، جيمي، مويقي،

قال عنها الحموي "بالضم ثم فتح الهمزة، بوزن غلام، اسم قصبة عمان مما يلي الساحل، وصحار قصبته مما يلي الجبل.

لكن فيما يبدو أن الحموي قد قلب الوصف فصحار في قصبة عمان على الساحل، وتوأم هي قصبته في فترة من فترات التاريخ فيما يلي الجبل. فهي واحة بالداخل وليست مدينة على الساحل، وأضاف قوله " توأم قرية بعمان بها منبر لبنى سامة"^(٥٣٧).

وتوأم أو "البريمي حالياً واحة كبيرة تعتبر مركزاً لمنطقة الجو بعمان ذات موقع استراتيجي" هام عند ملتقى كثير من طرق المواصلات، وتعد محوراً بين صحار على ساحل الباطنة والجنوب والظاهرة ومناطق الحجر الغربي "الداخلية". ووسط عمان والشرقية.

فكانت بذلك بوابة عمان الأولى من جهة الغرب التي كثيراً ما كان يقتحم منها الغزاة لانطلاقهم على عمان. ولموقعها الهام هذا جعل منها مركزاً تجارياً مرموقاً للمنطقة المحيطة بها..

مدينة الرستاق:

إحدى مدن منطقة الجوف "الداخلية الآن" القديمة، تقع في وادي الرستاق المعروف باسمها. في الحجر الغربي من عمان.

تعتبر ثالث أهم مدن الجوف بعد نزوى وبُهلَى وكعاصمة ثانية للإمامة منافسة لها. وصارت في عهد ملوك بني نبهان لفرع من فروعهم وهم اليعاربة، الذين أسسوا فيما بعد دولة اليعاربة وبها سوق تجاري نشط وذلك لارتباطها بساحل الباطنة، ولتحكمها بأحد الممرات المؤدية إلى

قطاره وهيلي وكلها تابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة. اتخذها بنو سامة بن لؤي مقراً لحكمهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين).
(^{٥٣٧}) الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٥٤.
أنظر أيضاً مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٤٤٧-٤٤٩.

الجبل الأخضر، يؤمها بالإضافة إلى سكان المدينة وقراها سكان مدن
وقرى وادي الرستاق بأسرها^(٥٣٨).

مدينة سمائل:

مدينة قديمة بمنطقة الجوف بداخلية عمان، وهي أهم مدن وادي
سمائل، الذي يحمل اسمها، وتسمى فنحاء عمان لخصوبتها، كانت إحدى
مناطق نفوذ ملوك بني نبهان وتعد "الشريان الرئيسي للتجارة بين مسقط
والمنطقة الداخلية"، حيث تتدفق الحركة التجارية على امتداد واديها، ويربط
بالشرقية طريق وادي العق ذي الموقع الاستراتيجي الهام^(٥٣٩).

سمد الشان:

إحدى مدن المنطقة الشرقية من عمان تقع على مستوطنة تعدينية
للنحاس يعود تاريخها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. وكان لسمد مركزها
وثقلها السياسي والتجاري الهام في هذه المنطقة، منذ القرون الأولى
للإسلام، كما كانت إحدى قلاع ملوك بني نبهان، وقد أهلها لذلك موقعها
الحصين بين الجبال، ولكونها بوابة المنطقة الشرقية من جهتي الغرب
والشمال^(٥٤٠).

^(٥٣٨) عن المدينتين أنظر: السالمي، عبدالله: تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٢٣ و ٢٣٤ و ج ٢ ص ٤.

- السالمي، محمد: نهضة الأعيان ص ٤٤ و ٤٦.

- السيابي: عمان عبر التاريخ ج ٣ ص ١٨١.

- لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج ١ ص ٣٢٧ و ج ٦ ص ٢٠١٠.

- فيليبس، وندل: تاريخ عمان ص ١٩٥-١٩٦.

^(٥٣٩) جاء أول ذكر لها في تاريخ الإسلام عند اعتناق أحد أبنائها وهو مازن من غصوبة الطائي على

يد رسول الله ﷺ أنظر السالمي، عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان ج ١ ص ٤١-٤٤ و ص ٣٠٥-٣٠٩
عند ذكر حكم خردلة بن سماعة النبهاني لها.

- السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٤٤.

- السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٣ ص ١٠٣.

- مايلز: الخليج بلدانه وقبائله، ص ٣٠٨.

- لوريمر: دليل الخليج القسم الجغرافي ج ٦ ص ١٢١٩ و ٢١٣٤.

^(٥٤٠) السالمي، عبدالله بن حميد: ن. م. ص ٢٢٠ و ص ٣١٨ و ص ٣٣٣٨.

- السيابي، سالم بن حمود: ن. م. ج ٣ ص ١٥٠.

- لوريمر، ن. م. ج ٦ ص ١١٥.

ج - صدى الأحداث الخارجية في تجارة المرور بعمان:

"الحروب الصليبية - المغول اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح"

هناك أحداث قد تقع في منطقة ما من العالم، فهي وإن لم يكن لها تأثير مباشر على أجزاء أخرى من العالم، لكنها بطبيعة الحال، وبحكم علاقتها واتصالها بمناطق أخرى من العالم لابد أن يكون لها تأثير ينعكس على تلك المناطق سلباً أو إيجاباً حسب نوع الحدث الواقع وأهدافه ومدى علاقة تلك المنطقة بالمناطق الأخرى ونوعيتها، كأن تكون علاقة جوار، أو روابط دينية، أو مصالح تجارية، وهذا ما سنوضحه من خلال مناقشتنا للنقاط المذكورة أعلاه.

أ - الحروب الصليبية:

ليس للحروب الصليبية بمعناها التقليدي المعروف^(٥٤١) علاقة بموضوع بحثنا. ولكننا في دراستنا نستهدف من هذا العنوان ما يعرف باسم ذبول الحروب الصليبية، وهي الذبول التي تربط بها حركة الكشف الجغرافية، وما فعله البرتغاليون من جرائم وحشية ضد المسلمين في منطقة الخليج، وفي عمان بالذات، وما ترتب على كل ذلك من آثار في تجارة المرور في الفترة التي تنصب عليها دراستنا. ذلك أن الحروب الصليبية فتحت عيون الغرب المسيحي على خيرات الشرق الأقصى، والبخور واللبان الواردة من جنوب عمان والشرق الأقصى. وعن أهمية هذه السلع لدى الأوربيين قال أستاذنا سعيد عبد الفتاح عاشور^(٥٤٢).

-
- كوستا "دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عمان" حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٥ ص ١٥٠-١٥١.
 - (٥٤١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٤٢-٢٨٦.
 - ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٣١٣-٣١٥.
 - سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٨-٧٠ وص ١١٧-١١٩.
 - الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ص ٩٩٢ - ٩٩٦
 - محمد كرد: الإسلام والحضارة الغربية ج ١ ص ٣١٥-٣١٦ وص ٣٤٠ الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٤٨-٤٩.
 - (٥٤٢) الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ص ٩٩٩.

" قد تبدو هذه الأشياء كمالية في نظرنا، ولكن الواقع أنها كانت أساسية بالنسبة للمجتمع الأوربي في العصور الوسطى. ثم أنها كانت لا تتوافر إلا في الشرق ولا تستورد إلا منه".

هذا ولما كانت معظم الموانئ الشامية في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) تحت سيطرة الصليبيين فإن هذه السلع تشحن منها إلى أوربا الغربية، على أن هذا الوضع قد تغير في السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) فقد شجع المغول التجار على سلوك الطريق البري عبر (إمبراطوريتهم) من الصين إلى تركستان، ثم موانئ البحر الأسود أو ميناء إياس على البحر المتوسط، ومن جانب آخر أدى غزو المغول للعراق إلى تهديد وغلق التجارة للموانئ الشامية، أما الطريق التجاري عبر البحر الأحمر فمصر فقد ظل بعيداً عن تهديدهم^(٥٤٣) فتركز فيه الجزء الأكبر من تجارة الشرق، فصارت الإسكندرية ودمياط مركزين لنشاط تجاري كبير، فقصدتهما سفن البنادقة والبيازنة والجنوية، فضلاً عن تجار مرسيليا وأسبانيا لشراء سلع الشرق، فرحب سلاطين المماليك بأولئك التجار، أيما ترحيب نظراً لما كانت تعود به تلك التجارة عليهم من أرباح طائلة.

ازدياد المعلومات الجغرافية لدى الأوربيين:

إذا كانت الحركة الصليبية قد باءت بالفشل في جانبها الحربي، إلا أن لها نتيجة هامة ألا وهي ازدياد المعلومات الجغرافية لدى الأوربيين، فكثرت الكتابات الجغرافية عن الشرق تمثلت في الآتي:

- فللوصول إلى بيت المقدس اهتم كتابهم بوصف الطريق المؤدية إليه.
- اهتمام سكان المدن الإيطالية المذكورون أعلاه (البندقية بيزا وجنوة) دفعهم للاهتمام بجغرافية حوض البحر المتوسط، ورسم خرائط للعالم، المعروف لديهم آنذاك.

(٥٤٣) ٩ سعيد عاشور: الحركة الصليبية ص ٩٩٩-١٠٠٠.
الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥-١١٥٢ و ص ١٢٠٠.

- لتوسيع نطاق حركة التنصير في العالم، فقد انتشر دعاة المسيحية إلى مناطق كانت فيما سبق مجهولة لدى الأوروبيين ففي سنة ٦٧٠هـ (١٢٧١م)، بدأ "ماركو بولو" رحلته الشهيرة إلى قارة آسيا فمر بالموصل فبغداد ثم خراسان حتى وصل إلى بلاط خان المغول، الذي أوفده مبعوثاً إلى بعض بلدان آسيا كبورما والصين والهند وغيرها.

وفي طريق عودته إلى بلاده البندقية عام ٦٩٥هـ (١٢٩٥م) مر على سومطرة بإندونيسيا والهند ثم ظفار فمسقط بعمان ثم بهرمز ومنها إلى بلاد فارس. وبعد تدوين تلك الرحلة التي تضمنت مشاهداته ومغامراته في تلك المناطق والتي اطلع عليها الأوروبيين في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

أثارت اهتمامهم بالقارة الآسيوية، إضافة إلى الروح الصليبية الانتقامية المتأججة في نفوسهم^(٥٤٤) التي كانت تنبيري بين حين وآخر، والذي بعثها من سباتها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الهجري) هو سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في يد العثمانيين سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م). وتحويلهم لكنيستها الكبيرة آيا صوفيا إلى جامع إسلامي كبير نقشت على جدرانه آيات قرآنية وأسماء الخلفاء الراشدين.

هذا الحدث الخطير والهام حسب رأينا هو الذي عجل في تأجج واشتعال الروح الانتقامية لدى الأوروبيين، إضافة إلى النواحي الاقتصادية ثم القيام بالكشوف الجغرافية للوصول إلى الشرق وتطويق المسلمين وضربهم، فالجرائم الوحشية التي ارتكبتها البرتغاليون عند وصولهم إلى بحار الشرق (شرق أفريقية والهند ثم منطقة الخليج) لدليل واضح على الحقد والكراهية التي حملوها في نفوسهم ضد المسلمين، وقد عبر عن ذلك ابن ماجد المعاصر لتلك الأحداث في أراجيزه^(٥٤٥).

^(٥٤٤) سعيد عاشور: الحركة الصليبية ص ١٠٠٠-١٠١٤ (صفحة مشرقة).
^(٥٤٥)

المغول:

لا نريد في هذه الدراسة أن نستطرد إلى موضوع أصل المغول وتطور حركتهم التوسعية وإنما الذي يعيننا هو مدى تأثير الحركة على تجارة المرور بعمان في الفترة التي خصصناها للبحث.

ولقد وضح لنا فيما سبق أهمية بحر فارس كممر مائي خطير ظل عبر عصور التاريخ يتمتع بأهمية عالمية بوصفه شرياناً رئيسياً للتجارة العالمية، ولم يستطع جاره بحر القلزم أن ينافسه هذه المكانة العالمية. لكنه في النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد اكتسح المغول بلاد فارس والعراق بالذات، ففي عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، دمر القائد المغولي هولاكو خان مدينة السلام بغداد مركز الحضارة والعلم في هذه الفترة منهياً بذلك الخلافة العباسية، فقتل آخر خلفائها المستعصم بن المنصور وجميع أفراد أسرته وغالبية أبناء البيت العباسي ولم ينج من المذبحة إلا من كان صغير السن ووصف ابن خلدون^(٥٤٦) الكارثة التي حلت ببغداد "ويقال أن الذي أحصي فيها من القتلى

وسار فيها مبغض الإسلام	والناس في خوف واهتمام
وانقطع المكي عن أرض السامري	وشد جردفون للمسافري
وخبرني ما حمله الفرنجي	من جانب السودان شط اللجي
وهو الذي قد قهر المغاربه	وأندلس في حكمه مناسبه

- ثلاث إظهار في معرفة البحار ص ٤٣.
- سعيد عاشور: الحركة الصليبية (صفحة مشرقة) ص ٩٩١.
- الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٥٢-١١٥٣.
- أوروبا العصور الوسطى ج ١ ص ٥٧١.
- حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٢٨١-٢٨٤.
- رمضان عبدالعظيم: الصراع بين العرب وأوروبا ص ٥٢٥-٥٢٩.
- أنور عبد العليم: ابن ماجد الملاح ص ٤٧.
- لوريمر: دليل الخليج القسم التاريخي ج ١ ص ١٠.
- هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٨.
- عمان وتاريخها البحري ص ٤٢-٤٣ و ص ٥٨.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ.. ج ١ ص ١١٤٩-١١٥٠.
- انظر أيضاً - أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٩٣-١٩٤.
- ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٠٠.
- سعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٤-٥ و ص ٣٢.

ألف ألف وثلاثمائة ألف. واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يحصره العدد والضبط وأقيت كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة".

أن تدمير المغول لبغداد واستيلائهم على العراق، وما ارتكبه من جرائم وحشية أدى إلى انتشار الفوضى واضطراب الأمن وخلق شعور بالاستياء والامتناع الديني والقومي وتسرب القلق والخوف في النفوس على المستقبل المجهول مما أثر تأثيراً كبيراً على التجارة القاصدة أو المارة عبر بحر فارس فالبصرة ثم بغداد وغيرها من مدن العراق حتى تصل الموانئ الشامية.

هذا الوضع المضطرب بتجار المنطقة من عرب وفارس، خاصة تجار المناطق الداخلية ببلاد فارس. إلى الهرب بأسرهم وممتلكاتهم إلى الساحل الشرقي لأفريقية (خاصة أهل شيراز) واستقروا هناك. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تحول خط الملاحة التجاري - لتجارة المناطق الشرقية "الهند والصين وجنوب وشرق آسيا وشرق أفريقيا" - من بحر فارس إلى بحر القلزم فحلت كل من عدن والموانئ العمانية الواقعة في الإقليم الجنوبي من عمان ظفار، كنقاط لتجميع السلع التجارية وللتزود بالماء والمؤن بدلاً من صحار ومسقط وغيرها من الموانئ المعتادة في عمان ومملكة هرمز ثم البصرة بالعراق. كما أصبحت الموانئ الواقعة على بحر القلزم كجدة في الحجاز، والموانئ المصرية، التي تحمل السلع التجارية منها إلى الموانئ الواقعة على البحر المتوسط كميناء الإسكندرية حيث تشحنها السفن إلى موانئ أوروبا الغربية^(٥٤٧).

-
- كرد، محمد علي: الإسلام والحضارة الغربية ج ١ ص ٣٢١-٣٢٣.
 - رمضان، عبد العظيم: الصراع بين العرب وأوروبا ص ٥٢٤-٥٢٥.
 - سعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٤-٥ وص ٣٢.
 - ميلز: الخليج بلدانه وقبائله ١٤٠.
 - الناصر، علي حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٦٤ و ص ٢٢٣ و ص ٢٨٣.
 - كوستا: دراسة لمدينة ظفار (البليد) ص ٦٧-٦٨.
 - عمان وأمجادها البحرية ص ٣٣.
 - عمان وتاريخها البحري ٤٢.

اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح:

هناك عدة عوامل دفعت الأوروبيين للقيام بكشفهم الجغرافية والبحث عن طريق يوصلهم مباشرة إلى بحار الشرق وبالتالي إلى التجارة الشرقية بدون وسيط، وقد سبق الحديث عن بعض تلك المؤثرات والدوافع. وما يهمننا هنا الحديث عن العوامل المباشرة التي حدثت بالأوروبيين لتحقيق رغبتهم الجامعة هذه. ففي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) اشتدت رغبتهم في اكتشاف طريق جديد يوصلهم بالشرق مباشرة من غير أن تمر سلعه التي غدت ضرورية بالنسبة لهم. كالتوابل والبخور بأراضي المسلمين ومن غير أن تكون هناك وسيط تجاري بينهم وبين مصدر تلك السلع التي تتحكم فيها ثلاث قوى إسلامية هي:

- القوة العثمانية التنامية التي تسيطر على طريق التجارة البري المار عبر أعالي الفرات والقسطنطينية.

- القوة الثانية سلطنة المماليك وتحكمها في طريق القلزم موانئ مصر والحجاز - ذلك الممر التجاري الوحيد الذي بقي سالكاً فمن خلال موانئه يتم نقل السلع التجارية الشرقية إلى موانئ البحر المتوسط ثم إلى موانئ أوروبا الغربية، فاستغل سلاطين المماليك هذا الوضع فرفعوا الرسوم الجمركية واحتكروا التجارة.

- القوة الثالثة قوة الملاحة الإسلامية من عرب وفرس، وبصفة خاصة العمانيين، الذين كان زمام الملاحة في بحري فارس والهند بأيديهم، منذ عصور بعيدة^(٥٤٨). والذي يهمننا في دراستنا الحديث عن القوتين الأخيرتين:

-
- (٥٤٨) سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى ج١ ص ٥٧٢.
- لوريمر: دليل الخليج القسم التاريخي ج١ ص ٩.
 - هولي: عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٨.
 - كرد: الإسلام والحضارة الغربية ج١ ص ٣٤٠.
 - قدرى قلججي: الخليج العربي ص ٣٥٦.
 - أحمد شلبي (مقدمة) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٤٢.
 - مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ١٤٦.
 - ويلسون أرنولد: تاريخ الخليج ص ٦٢.
 - عمان في أمجادها البحرية ص ٤٠.

الممالك:

إن السبب الرئيسي والمباشر في تحويل خط سير التجارة في هذه الفترة بالذات حسبما ذكر نعيم زكي^(٥٤٩) هو الحالة التي وصلت إليها سلطنة الممالك التي عبر عنها بقوله "لم تكن الحروب، ولا دخول البرتغاليين إلى الهند، وحدهما اللذان أضاعا الطريق التجارية التقليدية وخاصة طريق البحر الأحمر عبر مصر والشام، ولكن الضعف الذي سرى في دولة سلاطين الممالك كان المعول الذي هدم الدولة وأضاع الطريق".

إن فساد النظام الإقطاعي الذي قام على أساسه حكم الممالك قد عجز في أن يفي بالمتطلبات الأساسية لبقائه، فدولة الممالك إقطاعية تعتمد أساساً على اقتصاد زراعي متين وجيش قوي، فالأرض الزراعية الخصبة التي كانوا يعتمدون عليها إن كانت في مصر أو في بلاد الشام هي ملك للسلطان توزع إقطاعيات على جنده. وعندما عجزت الأرض بسبب إهمالهم لها عن الإيفاء بمطالبهم، كان لابد لهم من إيجاد موارد مالية جديدة تعوضهم عما فقدوه، فقاموا برفع الرسوم الجمركية على التجارة المارة بأراضيهم، وكلما زادت احتياجاتهم زاد تعلقهم بالتجارة واحتكارهم لمصادرها، كذلك أبعدوا التجار الآخرين عنها، وتولوها بأنفسهم بدون خبرة في أسلوب التجارة، ورفعوا أسعار التوابل الشرقية أضعاف عما كانت عليه في السابق، إن تصرفهم هذا أجبر الأوروبيين على البحث عن الطريق بديل^(٥٥٠).

فتولى البرتغاليون تلك المهمة ليكون لهم قصب السبق وذلك في عهد ملكهم حنا الأول وعلى يد ثالث أبنائه المشهور باسم الأمير هنري الملاح صاحب فكرة الطواف حول أفريقيا للوصول إلى الهند، ومهما كانت أهدافه دينية أم اقتصادية المهم أن الدافع الأساسي منها تحطيم سيطرة المسلمين على طرق التجارة مع الشرق حيث أمضى أربعين سنة في إعداد الحملات الاستكشافية وإرسالها إلى شواطئ أفريقيا الغربية، من بعده انفتح الباب على مصراعيه للقيام بتلك الرحلات لكن الذي يهمنها هنا هو اكتشاف

- عمان وتاريخها البحر ص ٥٨.

(٥٤٩) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ٣٦٩.

(٥٥٠) الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٧٩-٢٨٠.

طريق رأس الرجاء الصالح، فقد تم ذلك على يد Bartholameo Diaz برثلیمو دياز الذي دار حول الرأس الجنوبي لأفريقيا دون أن يدري ما يفعل وكان ذلك عام ١٤٨٦ / ٨٩٢ م، ولشدة الأهوال والمعانات التي عانى منها هو وأصحابه فسموها برأس العواصف، لكن ملك البرتغال جون الثاني غير اسمها إلى "رأس الرجاء الصالح" رجاء في الأمل والتفاؤل، وفعلاً فقد تحققت أمانيه بعد اثنتي عشرة سنة على يد فاسكودي جاما^(٥٥١).

رحلة فاسكودي جاما: Vasco DA Gama

تتبع "فاسكودي جاما" خطوات سلفة "برثلیمو دياز" بعد أن أسند إليه "مانويل" ملك البرتغال إتمام مهمة الوصول إلى الهند فأبحر بسفنه الأربع من لشبونة في شهر ذي الحجة عام ٩٠٢ هـ (في يوليو ١٤٩٧ م). وبرفقة ما بين مائة وأربعين إلى مائة وسبعين رجلاً. ومن بينهم أحد معاوني دياز وأوكل إلى أخيه قيادة إحدى السفن. ونقلًا عن كتاب "الرحلة الأولى لفاسكودي جاما" ذكر فيليبس^(٥٥٢) أن وصول فاسكودي جاما إلى ماليندي^(٥٥٣) كان في رمضان ٩٠٣ هـ (أبريل ١٤٩٨ م)، وبقي فيها تسعة أيام وهناك التقى بالملاح العماني الشهير أحمد بن ماجد. وقد تضاربت المعلومات والتحليلات حول شخصية الرجل الذي أرشده إلى الهند هل هو

(٥٥١) سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى ج١ ص ٥٧٠-٥٧٢.

- لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ج١ ص ١٠-١١.

- الجوهري، يسري عبد الرازق: الكشف الجغرافية ص ٩٣-٩٧.

- كرد، علي محمد: الإسلام والحضارة الغربية ج١ ص ٣٣٩.

- قدری: الخليج ص ٣٤٧.

- أحمد شلبي: حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ١ ص ٤٢.

- فيليبس، وندل: تاريخ عمان مترجم ص ٣٦-٣٧.

- الناصر، علي حسين: ن. م ص ٢٨٠-٢٨١.

- ويلسون، أرنولد: تاريخ الخليج ص ٦٢.

- أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب ص ١٢١-١٢٢.

(٥٥٢) الكتاب المذكور لمؤلف مجهول لعله كان مرافقاً لفاسكودي جاما، في رحلته هذه وربما هو كاتب تلك الرحلة انظر فيليبس، وندل: تاريخ عمان ص ٣٨-٤٠.

(٥٥٣) ماليندي: ميناء على الساحل الشرقي لأفريقية على خط عرض 53° جنوب خط الاستواء في

مملكة كامبيا (كينيا حالياً) وعلى بعد ٣٠ فرسخاً من ممباسا.

أحمد بن ماجد ذلك الملاح العماني الشهير أم غيره؟ وهل كانت مرافقته "لفاسكودي جاما" ومرافقيه عن رضى منه، ومن تلقاء نفسه، أم غير ذلك؟

وهناك من الكتاب من حمله مسؤولية القضاء على حركة التجارة والملاحة العربية في المنطقة وهنا لا يسع المجال لمناقشة تلك الآراء المتباينة، وتفاصيل ما حدث. لكننا نميل إلى الأخذ بالرأي القائل بأن ذلك الملاح هو أحمد بن ماجد^(٥٥٤)، لأن تلك الخبرة والمعرفة والدراية التامة التي ذكرت في ذلك الشخص الذي يسمى "ماليموكانا" أو "كاناكا" فالكلمة الأولى كلمة سواحلية أصلها عربي بمعنى معلم، وكانت منتشرة بين الربابنة في بحر الهند خلال فترة دراستها هذه ويقصد بها المرشد أو الربان ويعرف ببحر فارس بـ"النوخذة" المأخوذة من الكلمة الفارسية "ناوخذة" أما الكلمة الثانية Cana "كانا" أو "كاناكا" فهي كلمة سنسكريتية تعني "المحاسب" أو "المنجم". ويقصد بها هنا الخبير بالملاحة الفلكية.

هذه الأوصاف تنطبق تمام ما اتصف به ابن ماجد من خبرة ومعرفة ودراية بالملاحة وعلم البحار^(٥٥٥). فهو عالم في هذا الفن من العلوم. ونقول: يجب أن لا نحمله ما ارتكبه البرتغاليون فيما بعد. فالبرتغاليون قد طافوا حول أفريقية ووصلوا إلى بحار الشرق وحققوا أمنيته في اكتشاف طريق جديد هو طريق رأس الرجاء الصالح. وقطعوا تلك المسافة الكبيرة من لشبونة إلى ماليندي. دون أن يكون لابن ماجد دور في ذلك فليس مستحيلاً عليهم أن يقطعوا المسافة القصيرة نسبياً والمتبقية ما بين ماليندي

(٥٥٤) انظر: ابن ماجد: ثلاث أزهار في معرفة البحار تعليق محققه المستشرق الروسي ص ٨٤-٨٥.

- حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٣٧.
- أنور عبدالعليم: ابن ماجد الملاح ص ٤٩-٥٠.
- نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ١١٧.
- قلعجي: الخليج العربي ص ٣٤٧-٣٥٣.
- الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٨١.
- هولي: عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٨.

(٥٥٥) ابن ماجد: هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد السعدي النجدي المكنى بأبي الركائب، ويلقب نفسه بشاعر القبلتين من أبناء "جلفار" مدينة الصير العمانية "قرب مدينة رأس الخيمة حالياً" من علماء القرنين ٩-١٠ هـ له عدة مؤلفات أهمها كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد وثلاث أزهار في معرفة البحار وكثير من الأراجيز الملاحية البحرية.

والهند. فإذا لم يستعينوا بأحمد بن ماجد فسيستعينوا بغيره، متبعين في ذلك كل الوسائل للوصول إلى هدفهم وتحقيق رغبتهم في الحصول على السلع الشرقية ووضع يدهم على تجارة الشرق دون وسيط. ثم لا ننسى أن ابن ماجد كان ضيفاً عند ملك ماليندي، الذي طلب منه مرافقة فاسكودي جاما. فليس من المستحسن أن يرد طلب مضيفه^(٥٥٦) ثم ما علم ابن ماجد بما يدور في خلد هؤلاء من نوايا سيئة ضد المنطقة وأهلها.

البرتغاليون وأثرهم على مرور التجارة بعمان:

من المعلوم وكما سبق القول فإن حركة التجارة والملاحة في بحر الهند وساحل أفريقية الشرقي خلال فترة دراستنا هذه وما قبلها كانت في يد أبناء المنطقة من فرس وعرب وبصفة خاصة العمانيين، فقد كانت لهم حظوة واحترام عند رجال الجمارك والتجارة في الهند "بينما كان الهندوس من أهل البلاد تجاراً وملاحين مغرورين" ليس لهم ذلك النشاط الذي كان للعرب الذين اشتهروا في جميع المراكز والموانئ التجارية الواقعة على سواحل البحر المذكور، في أواخر القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، وعندما كان الأسبانيون والبرتغاليون يعدون عدتهم للوصول إلى الهند بأنفسهم مباشرة وذلك بالدوران حول أفريقية ليوجهوا للمسلمين ضربتين معاً عسكرية واقتصادية وبينما هم يجمعون معلوماتهم لتنفيذ مخططهم ذاك فلا بد من أن سمعة العرب الملاحية وأبناء شهرتهم التجارية تلك قد وصلت إلى أسماعهم عن طريق تجار التوابل^(٥٥٧).

وهنا تكمن النقطة الثانية التي أشرنا إليها وهي ضرب التجارة العربية في بحر الهند لقد حقق لهم فاسكودي جاما بوصوله إلى ساحل أفريقية الشرقي، وبفضل ابن ماجد وخبرته الملاحية وصل فاسكودي جاما ورفاقه

(٥٥٦) انظر - ابن ماجد: ثلاث أزهار في معرفة البحار تعليق المحقق المستشرق الروسي ص ٧٧-٧٨، ص ٨٥-٨٦.

- أنور عبد العليم: ابن ماجد الملاح ص ٤٧-٥٤.

- قلعجي: الخليج العربي ٣٤٩-٣٥٣.

- فيليبس، وندل: تاريخ عمان ص ٣٩-٤٠.

(٥٥٧) أنور عبد العليم: ابن ماجد الملاح ص ٤١-٤٢.

أحمد بن ماجد: ثلاث أزهار في معرفة البحار المحقق ص ٨٦.

إلى الهند وقدرها ستمائة فرسخ في أقل من شهر، فكان وصولهم إلى ميناء
كلكتا بإقليم مليبار بالهند في شهر شوال عام ٩٠٣ هـ (مايو
١٤٩٨ م) (٥٥٨).

وتتضح رغبتهم في القضاء على التجارة العربية حين طلبوا من
السامري ملك كلكتا أن يقطع صلته التجارية بالعرب "ينبغي منع المسلمين
من تجارتهم ومن السفر إلى بر العرب والفوائد منهم يحصل منا
أضعافها" (٥٥٩)، كانت تلك رحلته الأولى، أما رحلته الثانية فكانت بداية
للغزو البرتغالي العسكري المسلح إن نجاح البرتغاليين في الوصول إلى
الهند وما جاورها كان له أثر خطير بل نكسة على الملاحة العربية بصفة
عامة وعلى مرور التجارة بعمان بصفة خاصة. وخلال ثماني أعوام من
وصولهم كانوا قد فرضوا سيطرتهم على الأجزاء الاستراتيجية من الساحل
الشرقي لأفريقية جنوب خط الاستواء (٥٦٠) وهذا يطابق ما أشار إليه ابن
ماجد (٥٦١).

وساحل البر كل جزره
إلى حدود بحر الزقاق
وجاء لكاليكوت خذ ذي الفاسده
فحكمهم للبرتغال شهره
ومن هناك للقمر يا رفاق
لعام تسعمائة وست زايده

أضاف في مكان آخر:

وخشب الإفرنج قد جاؤوها
وملكوها بعد أن غازوها

(٥٥٨) انظر أيضا: نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ١١٧.

- حوراني، جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٣٧.

- هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٨.

(٥٥٩) كرد، محمد علي: الإسلام والحضارة الغربية، ج ١ ص ٣٤٠.

(٥٦٠) فيليبس، ونيل: تاريخ عمان ص ٤٠ و ٤٦.

(٥٦١) ثلاث أزهار في معرفة البحار ص ٤٢-٤٥.

وبعد ذا في عام تسعمائة
واشتروا البيوت ثم سكنوا
والناس تضرب فيهم الظنونا
باليث شعري ما يكون منهم
وست جاءوا الهند ياخايه
وصاحبوا وللسوامر ركنوا
ذا حاكم أو سارق أو مجنونا
والناس معجبين من أمرهم

جازتها في عام تسعمائة مراكب الإفرنج يا خايه
تجيز عامين كاملين فيها ومالوا الهند باليقين
ورجعوا من هندهم للزنج في هذه الطريق الإفرنج

حيث لم يكتف البرتغاليون بوصولهم إلى الهند بالعمل بالتجارة فبمجرد معرفتهم بهذا الطريق ازدادت رحلاتهم، ثم بسطوا سيطرتهم شرقاً وغرباً^(٥٦٢)، ابتداء من مالقه وانتهاء ببحر فارس، ثم مدوا نفوذهم على الموانئ، والجزر الواقعة على بحر الهند وبحر فارس وبحر الصين ابتداء من جزيرة سقطرى على مدخل بحر القلزم، وانتهاء بميناء كانتون وجزر مكاو بالصين، قاضين بذلك على النشاط التجاري للعرب حيث تضائل عدد سنهم هناك^(٥٦٣).

وبذلك انتهت زعامة العرب العمانيين منهم بالذات وريادتهم لهذه البحار بدخول هؤلاء الغرباء إلى المنطقة^(٥٦٤)، لقد بدأ فعلاً عصر جديد قدر فيه للعمانيين أن يفقدوا مرور تجارة الشرق ببلادهم وذلك بفقد طرق التجارة في بحر القلزم وبحر فارس أهميتها أمام الطريق الجديد وتحول تجارة أهل المنطقة من تجارة دولية إلى تجارة داخلية، فقد تناقص معدل التجارة المارة من هرمز والموانئ العمانية كما أدى انتقال التجارة إلى يد البرتغاليين إلى ضرب مصالح عرب شرق أفريقية التجارية وتدهورها مما عجل في أفول نجمهم التجاري^(٥٦٥).

ذكر أحد الكتاب المعاصرين أن وصول البرتغاليين إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح قد أدى إلى نتيجتين هامتين هما:

-
- (٥٦٢) فهمي، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ص ١١٧.
(٥٦٣) هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٨.
(٥٦٤) هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٨.
(٥٦٥) - الناصر على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ٢٨١.
- كوستا: دراسة لمدينة ظفار (البليد) ص ٧١.
- عمان في أمجادها البحرية ص ٤٠.
- عمان وتاريخها البحري ص ٥٨.

- أنه بوصول فاسكودي جاما "يكون عهد ازدهار الملاحة العربية الكبرى قد بدأت نهايته"^(٥٦٦).

- أما النتيجة الثانية فتتمثل في أهمية بعض بلدان المشرق العربي كجسر تعبر عليه سلع التجارة الشرقية إن كانت من الهند أو إندونيسيا أو ما جاورهما إلى الغرب.

فأننا إذ نتفق معه في استنتاجه هذا إلا أننا لا نتفق معه على أن تلك البلدان كانت أيضاً جسراً تعبر إليه السلع الأوربية وصناعاتها إلى الشرقيين الأقصى والأدنى لأنه وحسبما نرى أن أوربا لم تبدأ بعد بتصدير سلعها وصناعاتها فهي خلال هذه الفترة وما قبلها مجرد مستورد للسلع الشرقية لا غير.

ولمعرفة أهمية الملاحة والتجارة البحرية عند العمانيين نستوضح ذلك من عدد السفن والمراكب التي كان العمانيون يمتلكونها قبيل قدوم البرتغاليين إلى المنطقة وتحطيمهم لتلك السفن ففي ميناء رأس الحد العماني دمر البرتغاليون ما بين ثلاثين إلى أربعين مركباً، بينما قاموا بحرق وتدمير ما لا يقل عن ثلاثة وثمانين مركباً بخلاف ما تم تدميره في الموانئ الأخرى. هذا بالإضافة إلى تسببهم في فقدان المورد الاقتصادي المالي الذي كانت تجنيه تلك السفن من تعاملها بالتجارة أو في صيد الأسماك أو في مجال استخراج اللؤلؤ^(٥٦٧).

إذا كانت نتيجة اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كما مر بنا نقمة للعالم العربي والإسلامي بصفة عامة وعلي تجارة المرور بعمان بصفة خاصة، فهي على العكس من ذلك تمام بالنسبة لأوربا بصفة عامة وللبرتغال بصفة خاصة، فقد عدت خطوتهم تلك بأنها ثورة في عالم التجارة لصالح أوربا، وسبقاً استعمارياً بالنسبة للبرتغال. فقد تلقب ملوكها منذ ذلك التاريخ

^(٥٦٦) قلعي: الخليج العربي ص ٣٥٦-٣٥٧.

^(٥٦٧) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ١٥٢-١٥٤ وص ١٦٣.

بأنهم "سادة الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس" وقد صدق البابا على هذا اللقب^(٥٦٨).

علاقة البرتغاليين بأهل المناطق التي استولوا عليها:

سبق وأن تحدثنا عن أن العرب قد حظوا بثقة واحترام أهل الهند وما جاورها من مناطق، وأن هذا الاحترام والتقدير لم يأتيا من فراغ، فالإسلام قد أوصى أفراد التجار أن يكونوا أمناء في تعاملهم مع زبائنهم في البيع والشراء بغض النظر عن عقائدهم وأن يجتنبوا الجشع والغش والخديعة، وأن يرضوا بما قسم الله لهم من ربح بسيط ونزيه قال سبحانه وتعالى (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)^(٥٦٩) وهناك آيات قرآنية كريمة عديدة تحت على ذلك.

وقال رسول الله ﷺ: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما"^(٥٧٠).

لكن البرتغاليين لما وطئت أقدامهم أرض تلك المناطق عاملوا أهلها معاملة سيئة فكان ديدنهم الكذب والغش والمماطلة في البيع والشراء حسبما عبر عنه ابن ماجد^(٥٧١).

^(٥٦٨) لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي ج١ ص ١١.

^(٥٦٩) سورة الأعراف الآيات من ١٨١-١٨٣.

^(٥٧٠) صحيح مسلم ج٥ ص ١٠ وانظر أيضاً صحيح البخاري ج٣ ص ٧٧.

^(٥٧١) ثلاث أزهار في معرفة البحار ص ٦٥ حيث يقول:

وينقضون	العهد	والهدية	يسعوا لها بالدجل والأذنيه
صنعتهم	الكذب	والمطال	في المشتري والبيع والأشغال
فاحذر	منهم كل	الحذر	لا تضربن جوهراً على حجر

الفصل الرابع

الصناعة في عهد بني نبهان:

يعرف ابن خلدون^(٥٧٢) الصناعة بقوله "منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركب هو الذي يكون للكماليات،.. ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة، ولا يوجد منها إلا البسيط، فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل".

وهناك شروط أساسية لابد من توافرها لقيام الصناعة وكان أهمها في الماضي ما يأتي:

- وجود الموارد الطبيعية كالمواد الخام التي تقوم عليها الصناعة المراد إنشائها والماء والوقود، وهذه متوفرة بفضل الله في عمان لطبيعتها التضاريسية المختلفة فيها أنواع عديدة من المواد الخام الداخلة في الصناعة من معدنية وخشبية.
- الموقع المتوسط لعمان كان له أثره في رخاء عمان فقد ساعدت التجارة الخارجية وتجارة المرور والوساطة التجارية على قيام صناعات محلية على جانب كبير من الأهمية، كصناعة السفن، وما يتعلق بها من صناعات ثانوية.
- اليد العاملة الماهرة في الصناعة التي تحتاجها البلاد، وهذه متوفرة في عمان.
- رأس المال لابد من توفره لجلب المواد الخام إن كان من داخل عمان أو من خارجها، ثم لدفع أجور العاملين من صناع وغيرهم إن كان

^(٥٧٢) مقدمة ابن خلدون ص ٧١٢-٧١٣.

صاحب المصنع ليس من أرباب المهنة وهذا قليل ما يحدث في الماضي^(٥٧٣).

- وجود سوق استهلاكية لتسويق المنتجات الصناعية لأنه لولا وجود مثل هذا السوق والطلب على تلك الصناعة لكسدت وبالتالي خسر مُصنَّعُها رأس ماله^(٥٧٤).

لقد قامت في عمان منذ القدم عدة صناعات يدوية متطورة بعض الشيء بخلاف ما هو عليه الحال في الحديث^(٥٧٥) حيث يعتمد الأهالي على ما يرد إليهم من الخارج. لقد كانت كل مدينة بعمان تصنع ما تحتاج إليه من صناعات خشبية أو فخارية أو معدنية أو صناعة الأقمشة والمنسوجات الأخرى. فتصدر ما يزيد عن حاجتها إلى المدن الأخرى وإلى خارج عمان إن زاد على حاجة تلك المدن^(٥٧٦) ووصف أحد الكتاب الأجانب^(٥٧٧) الصناعة القائمة بإحدى قرى الريف العماني بقوله "أنها نموذج جيد للمجتمع الريفي التقليدي المتطور، فأهلها متكافلون ومستقلون ويستخدمون شكل كامل وفعال الموارد المحلية المتاحة داخل حدود مستواهم المعيشي- يعيشون بصورة منسجمة مع بيئتهم. ويتحكمون بصورة فعالة في التوازن القائم بين أخذ متطلبات اليوم وتوفير حاجات الغد".

وفرة المعادن بعمان:

توجد في جبال عمان أنواع عديدة من المعاد، حيث تحتوي صخورها على مجموعة مركبة من "الدوليريت" المتداخل التي أعطت عمان ثروة من أعظم ثرواتها الطبيعية ألا وهي النحاس، وبهذا نتج عن الحزام المحتوي

^(٥٧٣) - متولي: حوض الخليج العربي، ج٢، ص٤٢٢-٤٢٦.

- حبيب الحناني. "دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول"

بحث ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٦٩.

^(٥٧٤) متولي: حوض الخليج العربي ج٢ ص ٤٢٨.

^(٥٧٥) تشهد عمان اليوم نهضة صناعية لا بأس بها.

^(٥٧٦) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٩.

الحناني "دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول" بحث بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٦٩.

^(٥٧٧) داتوان "دراسة ميدانية لمصادر الثروة مشروع الخابورة" بحث. ن. م. مج ٦ ص ٦٥.

على المعادن منطقة أخرى في جغرافية عمان الاقتصادية كان لها مكانة عظمت في تاريخ عمان، ويدلنا على ذلك عدد المناجم القديمة التي عثرت عليها عمليات التنقيب الأثرية^(٥٧٨).

إن عمليات التعدين التي تم العثور عليها في معظم المواقع (المناجم) كانت فيما يبدو منظمة تنظيمًا عاليًا، ولكنها كانت متقطعة غير مستمرة. وهناك احتمال وجود ثلاث فترات زمنية أساسية لاستغلال الموارد المعدنية وهي:

- المرحلة الأولى وهي مرحلة ما قبل الإسلام.

- المرحلة الثانية في العهد الإسلامي وتنقسم بدورها إلى فترتين:

أ- في العصر الإسلامي الأول (٩-٤٤٧هـ/٦٣٠-١٠٥٥م)، وعرفت بالعهد البويهي أو العباسي، لأنهم هم الذين قاموا باستغلال المناجم القديمة من جديد.

ب- العصر الإسلامي الأوسط والذي عرف بالعهد الهرمزي (٤٤٧-٩٠٦هـ/١٠٥٥-١٥٠٠م). ويمكن تسميته بالعهد النبهاني في الداخل لأنه معاصر له تقريباً.

المرحلة الثالثة في العصر الحديث وعرفت بالعهد البرتغالي في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين) فقاموا باستغلال المناجم الواقعة على الساحل العماني الخاضع لحكمهم^(٥٧٩).

من هذا التقسيم الزمني لاستغلال المناجم التعدينية يعطينا صورة واضحة وجليّة، بأن أبناء الوطن لم يقوموا بأنفسهم باستغلال معادن وطنهم، وهذا يعود في رأي إلى أن أبناء القبائل العربية يأنفون من العمل في مثل

^(٥٧٨) توزي، مودينستو: ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة،

ص ١٤.

^(٥٧٩) دي كاردي، بياتريس، ودونالد. س. ونكومب: دراسة لآثار عمان ص ٢٣ و ٢٩.

جوتيلر، جي. و. وآخران: بحث مبدئي في التعدين القديم في سلطنة عمان ص ١٥.

هذه المهن باعتبار أنها لا تليق اجتماعياً بالشخص العربي، هذه النزعة أدت بالتالي إلى تجميد ثروة من أهم ثروات الاقتصاد العماني في تلك العهود، بل جعلتهم عالة على غيرهم يعتمدون على ما يتم استيراده من الخارج^(٥٨٠).

النحاس وأهميته:

أولاً: في وادي سمائل ومدرجات الجبل الأخضر:

توجد بها مواد متمعدنة مثل الأكسيدات أو الكبريتات، تقترن كلها بشكل كبير بخام الحديد. والنحاس الطبيعي نادر جداً، ومعظم أنواعه رواسب "مؤكسدة" أي "بروكانتيت" على شكل قشرة خارجية استغلت في العصور القديمة والإسلامية. أما خام الحديد (هيماتيت) "وأوكسيد" الحديد المائي (ليمونيت). لكن المواد المتمعدنة ذات المحتوى النحاسي العالي فكانت في الماضي أكثر مما هي عليه اليوم. وتوجد في كل من مناجم الأصيل، وعرجاء في وادي الجزري، مسجد ببلدة لزغ بوادي العق ذلك في العصر الإسلامي القرن الثالث إلى الثامن الهجري/ التاسع إلى الخامس عشر الميلادي^(٥٨١).

وقد عثر قرب هذه المناجم على أفران صغيرة كانت على نمط خلية النحل قطرها وارتفاعها حوالي متر، وتكون غالباً إلى جانب الجبل ويكون جزء منها داخلاً فيه.

منجم الأصيل:

يقع على جانبي وادي الجزري، يحتوي على معدن النحاس بنسبة (٧٣،٩٣-%) وعلى مجموعة أخرى من المعادن كأوكسيد الحديد

^(٥٨٠) توزي: ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة ص ٤٢-٤٤. كوستا (دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عمان) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٥ ص ١٥٠-١٥١.

^(٥٨١) توزي: ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة ص ٤٢-٤٤. - كوستا (دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عمان) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٥ ص ١٥٠-١٥١.

(هيماتيت)، وأكسيد الحديد المائي (ليمونيت). وقدرت كميات المعادن المستخرجة منه بحوالي خمسة وعشرين ألف متر مكعب.

ويبدو أن أسلوب الصهر المتبع هو الطفو فعند غلي المعدن في البوتقة ينفصل معدن النحاس أولاً، فيطفو إلى أعلى، بينما يرسب الحديد الثقيل الوزن في قاع البوتقة.

ومن التحليل الكمي والكشف بأشعة "اكس" لنفايات المعادن اتضح نسبة "أكسيد" الحديد تصل إلى ٩٠,٩%.

منجم العرجاء:

يقع على عدة كيلومترات من منجم الأصيل، في وادي الجزي، ومعادنه هي "البروكانتيت" و "بيريت" النحاس ضمن صخور بازلتية، كما يوجد حجر الشب بكثرة.

منجم البيضاء:

يقع على بعد بضعة "كيلومترات" شمال منجم العرجاء، ووجد به معدنا النحاس القصدير مختلطين في صخور لوزية الشكل^(٥٨٢).

منجم مسجد:

يقع ببلدة لزغ بوادي العق على بعد (١٠ كم) شرقي وادي سمائل تقريباً ويعتبر وادي سمائل شريان المواصلات الرئيسي بين الساحل والداخل، ويستخرج منه معدن النحاس ومشتقاته، خاصة الفيروز، ويتم صهر المعدن الخام المستخرج مباشرة بعد استخراجها حيث تجري عمليات الصهر على بعد أمتار قليلة، وتقدر الكميات المستخرجة حوالي (١٥,٠٠٠ طن)، وتعود فترة استخراجها إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) وتتم عمليات تصنيع النحاس الخام في عمان

^(٥٨٢) توزي: ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة ص ٤٤-٥٦.
جويلر وأخران: بحث مبدئي في التعدين القديم في سلطنة عمان ص ١٨-٢١.

بثلاث مراحل أساسية وهي، استخراج المعدن ودقه ثم صهره، وكانت كلها تجرى في مكان واحد، في دورة متصلة، ولم تكن قلة الماء السائدة في أغلب المناطق الجبلية عقبة، وذلك لأن عملية التصنيع هذه ليست بحاجة إلى كميات كبيرة من المياه، وإنما هي بحاجة إلى خشب شجر السنط (السمر) ذلك الخشب الصلب البطيء الاحتراق، فهو وقود مثالي لعملية الصهر بالتطفيح. لكن لا يمنع من وجود مراكز تصنيع قرب مناجم الاستخراج وعلى مسافة لا بأس بها من مكان الصهر الذي يوجد على فتحات الوديان وذلك لتوفر الوقود، وأهم مركزين لذلك هما مركز لزغ وآخر يقع جنوب غرب مدينة نزوى، حيث يجلب المعدن من منطقة جبلية على شكل كتل أو قوالب من المعدن، وربما في حالة تصنيع بسيطة^(٥٨٣).

من هذه المناجم السابق ذكرها مناجم وادي الجزر الثلاثة مجتمعة ومنجم مسجد بلزغ، ومناجم الشرقية العليا (منجم خضراء بني دفاع بوادي عندام ومنجم الميسر بوادي سمد)، يأتي معظم إنتاج النحاس وعلى ذلك تعتبر المناطق الأكثر إنتاجاً لمعدن النحاس باستثناء مناجم وادي الجزر السابق ذكرها، ذلك الوادي الذي كان لعدة قرون طريقاً هاماً للتجارة بين ميناء صحار على بحر عمان (ساحل الباطنة) وبين واحة البريمي فهو يشكل بحق شرياناً حقيقياً للتكامل الاقتصادي بين الساحل والداخل وبين مناطق التعدين عند سفوح الجبال المطلة على الساحل بين واحة البريمي الزراعية في الداخل.

ومما لا شك فيه أن التكامل بين موارد المناطق الزراعية والبحرية الصحراوية كان يشجع التكامل الحضاري لمواجهة تزايد عدد السكان، وبالتالي ازدياد الطلب على السلع الاستهلاكية.

هذا ولم يكن النحاس وحده المعدن الوحيد المستخرج من عمان في الماضي فقد كانت تزخر بمعادن أخرى منها الفضة التي كانت تستخرج من منجمها بالجبل الأخضر الذي توقف عن العمل منذ زمن طويل، ثم الحديد والكبريت^(٥٨٤).

^(٥٨٣) توزي: ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة ص ٥٦-٦٤
^(٥٨٤) توزي: ن. م ص ٦٤-٦٧.

وهناك معدنا القصدير والرصاص، اللذان تم اكتشاف رسوباتهما في كل من وادي الحواسنة وفي سيح حطاط وراء مدينة مسقط، وفي وادي عدي بمسقط حيث عثر على وجود نفايات رصاص منصهرة على أنها تحتوى أيضاً على كميات متباينة من الحديد والقصدير^(٥٨٥).

أنواع الصناعات:

- الصناعات الحديدية: قال تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) سورة الحديد آية ٢٥.

تعتبر الصناعات الحديدية من أقدم الصناعات المعدنية وأكثرها توسعاً في عمان وذلك لتعدد مجالات استخدامها إن كان في المدن والحضر، أو البادية، في السلم أم في الحرب. ففي مجال الزراعة صنع الإنسان العماني بعض الأدوات لكي تعينه في عمله الزراعي مثل المحراث والمنجل والمسحاة والهييب^(٥٨٦) كما صنع الأدوات المنزلية كالسكاكين وغيرها، وكذلك صنع أدوات تعينه في قطع الأخشاب كالمناشير والفؤم. كما صنع لنفسه أدوات تعينه في الدفاع عن نفسه في أيام الحروب كالحراب والسهم والأقواس والخناجر والسيوف، ثم الدروع والتروس وما يستخدم للخيول من لجم وسروج^(٥٨٧).

-
- جوتيلر، جي. و. وآخران: بحث مبدئي في التعدين القديم في سلطنة عمان ص ٣٧.
 - كوستا (دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عمان) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٥ ص ١٥٠-١٥١.
 - مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٢٦.
 - ويليامسون، أندرو: صحراء التاريخ ص ٢٨.
 - ^(٥٨٥) انظر جويلر وآخران: بحث مبدئي في التعدين القديم في سلطنة عمان ٣٢-٣٣ (مترجم).
 - توزي: ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة ص ٦٧ (مترجم).
 - ^(٥٨٦) المسحاة: آداة لمسح وتسوية الأرض أما الهييب فآداة للحفر واقتلاع فسائل النخل من الحديد أحد طرفيه مدبب والآخر مفلطح.
 - ^(٥٨٧) ويليامسون: صحار عبر التاريخ ص ٢٨-٢٩ وحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤، ص ١٥٩-١٦٠.
 - السيوطي تفسير القرآن الكريم ص ٣٤٢-٣٤٤.

الصناعات النحاسية:

فسر المفسرون قوله تعالى (وأسلنا له عين القطر..) سورة سبأ آية ١٢، بأنه النحاس وإذا كانت مراكز الصناعات النحاسية أقل انتشاراً من مراكز الصناعات الحديدية فإن الأدوات المصنوعة منها أكثر تنوعاً ومن أهمها الأواني المنزلية كأواني الطبخ والصواني والأطباق والمغارف والملاعق والأباريق والكؤوس. هذا بالإضافة إلى الأدوات المستخدمة للزينة كالمكاحل والمرآود والمباخر والمراشي لرش ماء الورد.. الخ وقد استخدم النحاس لسك العملة وكانت في عمان دار لسك العملة في الفترة التي خضعت فيها عمان للنفوذ البويهبي^(٥٨٨).

وتقوم صناعة الحدادة في غالبية المدن العمانية، ولكن ليس كما ورد في كتاب حصاد ندوة الدراسات العمانية، بأن الذين يعملون بهذه الصناعات هم الحضر من أهل المدن وأن البدو "يحتقرون العاملين بهذه الصناعات ويعدونهم أقل منهم درجة" وحقيقة الأمر وكما سبق القول في تعليقنا على عمليات استخراج وتصنيع المعادن القديمة في عمان، فإن كل أبناء القبائل العربية العمانية إن كانوا حضراً أم بادية يأنفون العمل في مثل هذه المهن خاصة الحدادة والصفارة^(٥٨٩).

وهناك أدوات يستخدمها الحداد لتساعده في تشكيل وتهذيب مصنوعاته منها:

الكور^(٥٩٠): مبنى بالطين والحجارة كموقد لصهر المعادن يوضع فيه الفحم، ثم توقد النار فيه.

الملهاب (المنفاخ): عبارة عن قربة مصنوعة من الجلد لها فوهة موجهة نحو الموقد لها يد يحركها الحداد بيده عندما يريد إيقاد النار ورفع درجة حرارتها لصهر المعدن الموضوع داخل الموقد، ثم يخرج ليطرقة

^(٥٨٨) دي كاردي ودونا لد، وتكومب: دراسة الآثار عمان ص ٢٩.

العشي، محمد أبو الفرج: النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي ص ١٠-٣٧.

^(٥٨٩) الصفارة: مشتق من العمل بالصفير وهو النحاس كما سبق التعريف به.

^(٥٩٠) الكور: هو كور الحداد المبنى من الطين. الرازي مختار الصحاح ص ٥٨٢.

بالمطرقة على السندان، وتكرر تلك العملية حتى يتم تشكيل الأداة المراد تصنيعها.

وأماكن الحدادة والصفارة، غالباً ما تقام في خارج الأحياء السكنية أو في الأسواق على أن تكون منعزلة عن بقية المحال التجارية^(٥٩١).

الصناعات الفضية:

قبل الدخول في تفاصيل الصناعات الفضية لابد من معرفة من أين يتم الحصول على الفضة النقية؟

يتم استخراج الفضة النقية من خام "الكبريتيك" الذي يوجد مختلطاً مع خامات معادن، الرصاص، النحاس، القصدير المستخرجة من مناجم التعدين السابق ذكرها في عمان وأهمها بالذات خام الرصاص الذي يأتي ٤٥% من الفضة منه.

وتعتبر الصناعات الفضية في عمان من أهم الصناعات المعدنية انتشاراً وتنوعاً بل وأكثر رقياً وأناقة فلا غرو في ذلك فهي صناعة قديمة بها توارثتها الأجيال جيل بعد آخر. ومع أن صناعة الفضة منتشرة في غالبية المدن العمانية إلا أن مدينة نزوى تعتبر أهم مركز صناعي لها وقد أهلها لذلك ثلاثة عوامل هامة هي: الكثافة السكانية للمدينة والمنطقة المحيطة بها. وموقعها التجاري الهام، ثم الجودة الصناعية التي اشتهرت بها وقد تمتاز كل منطقة من مناطق عمان السابق ذكرها بطرازها المميز الخاص بها لكن هذا لا يمنع من تداخل وتشابه في بعض الزخارف والأشكال. وذلك لعوامل الاتصال والانتقال من مدينة إلى أخرى.

إن امتلاك الحلي وأدوات ثمينة أخرى فاخرة مصنوعة من الفضة إنما يدل على غناء مالكيها وثراء الواسع، مما ترفع من مستواه المعيشي فقط، لكنها لا ترفع من مكانته الاجتماعية كما ذكر هولي^(٥٩٢) فالمكانة الاجتماعية

^(٥٩١) حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ٤ ص ١٦٠.

^(٥٩٢) الصناعات الفضية في عمان ص ٩-٢٠.

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٦٢.

في المجتمع القلبي لا تقاس بالثروة وحدها وإنما لها معايير أخرى خاصة ليس هنا محل ذكرها.

ولكون الفضة إن كانت عملة أو غيرها قابلة للتداول والتصرف فيها بالتصنيع من استعمال لآخر لذا اعتبرت ضمان للمستقبل المجهول، وما قد يطرأ فيه من أزمات وظروف عصبية كالحروب والقحط اللذين كثيراً ما عانى المجتمع العماني من ويلاتهما.

الأدوات المصنوعة من الفضة:

-المكاحل والمراد:

تستعمل لحفظ كحل العيون، والمراد لكحل العين.

القلاند:

نوع من الحلي تزين بالخرز الملون، والعقود ذات الأشكال الهندسية والزخارف الجميلة، التي تمثل أوراق الشجر والأزهار الحلزونية، كانت منتشرة في مصر في العهد الفرعوني منذ خمسة آلاف عام.

- جيوب جلدية مطرزة بالفضة وعلب عليها زخارف فضية مصنوعة لحفظ مصاحف القرآن الكريم.

الخناجر والسيوف:

تعتبر الخناجر العمانية من أكثر الخناجر وجاهة فنصالتها تصنع من الحديد الشديدة القطع وتكون أقل انحناء من الخناجر المصنوعة في شبه الجزيرة العربية كالخناجر اليمنية مثلاً، ويزين مقبض النصل -الذي غالباً ما يكون مصنوعاً من قرن حيوان وحيد القرن الغالي الثمن، أو من العاج أو الخشب وهو أقلها ثمناً- بالفضة. أما صدر الخنجر وقاعدتها فتصنفان من

الخشب ويغطيان بالفضة الخالصة على أشكال وزخارف هندسية ونباتية رائعة وجميلة، فهي بهذه المقاييس يحق أن توصف بالوجاهة^(٥٩٣).

أما السيوف فتزين أغمدها المصنوعة من العاج أو من قرون حيوان وحيد القرن وأغمدها المصنوعة من الجلد القوي بزخارف فضية رائعة الذوق كالنجوم وأوراق وفروع الشجر^(٥٩٤).

تقوم كثير من المدن العمانية وخاصة مدينة نزوى بصناعة أباريق وكؤوس الفضة المستعملة كأدوات للشرب، ورشاشات لماء الورد ومباخر للعود واللبان التي تتزين بها منازل أصحاب الثروة والجاه والسلطان.

الأساور والخلاخيل^(٥٩٥):

تتميز عمان بصناعة الأساور والخلاخيل، ذات الأنواع والتصميمات المختلفة التي تصنع من الفضة الخالصة، وتعتبر من الصناعات المنتشرة في المشرق العربي. لكن صناعتها في عمان تمتاز بدقتها وبروز نقوشها. والخلاخيل العمانية أكثر سمكاً من مثيلاتها في البلاد العربية الأخرى، وتشتهر بصناعتها عدة مدن عمانية وأهمها مدينة الرستاق. وكما أتقن الصاغة العمانيون صياغة الخلاخيل أتقنوا أيضاً صياغة الأساور ذات الأنواع المختلفة التي تشبه تصميماتها إلى حد كبير تصميمات الخزفيات التي عثر عليها في قرية بات بولاية عبري التي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، أو بينها وبين زخارف الوعاء التي عثر عليه ضمن حفريات وادي سمد التي يعود تاريخها إلى ألفي عام قبل الميلاد، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على توارث الأجيال العمانية لفنونها الزخرفية جيل بعد آخر.

الأقراط والخواتم:

^(٥٩٣) لذا اعتبرت الخنجر كشعار رسمي لسلطنة عمان حتى العلم العماني يحمل هذا الشعار كذلك فإن الدولة تقدم الخنجر العماني من ضمن الهدايا المقدمة لكبار الضيوف.

^(٥٩٤) هولي: الصناعات الفضية في عمان ص ٢٩-٤٣.

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٦٣.

^(٥٩٥) السوار (مفرد) الجمع أسورة أو أساور وتسمى في عمان بناجري "جمع" مفردها بنجري كلمة أردية لغة أغلب المسلمين في شبه القارة الهندية.

أما الخلاخيل (جمع) مفردها خلخال وتعني الأحبال مفردها حبل. أنظر مختار الصحاح الرازي.

الأقراط حلي تلبسها النساء في أذنيهن، وأحياناً في مقدمة الرأس، إن كانت مجموعة كبيرة وتكون مختلفة الأحجام وهي مجوفة من الداخل ويحتمل أن تكون منطقة الظاهرة موطنها الأصلي، إلا أنها مستعملة في المنطقة الشرقية وغيرها من المناطق.

أما الخواتم فهي كثيرة ومتنوعة الأحجام منقوشة حسب الإصبع الذي تلبس فيه. وعلى الرغم من عدم وجود عادة تقديم دبل الخطوبة والزواج في عمان، إلا أنها ضرورية للمرأة عند زواجها^(٥٩٦).

هذا وتسمى الخواتم حسب الإصبع الذي تلبس فيه، فخاتم الإصبع الأولي يسمى "الشاهد" وخاتم الإصبع الثانية يسمى "أبو فص" لتزيينه بفص من الأحجار الكريمة. أما خاتم الإصبع الثالثة فيسمى "أبو ست" وعليه زخارف مربعة الشكل، وكذلك خاتم الإصبع الرابعة عليه فص ويسمى "حبه" أما خاتم إصبع الإبهام فبوسطه حجر كريم، ولكل خاتم مثليه في إصبع اليد الأخرى. وقد يلبس خاتمان في إصبعي الرجلين الكبيرين فقط.

عقام الرأس:

كثيراً ما تستعمله نساء عمان يتكون من مجموعة من السلاسل والعقد الصغيرة جداً ثم تنتهي بحنية صغيرة لشبك اللحاف بالرأس وهما اثنان على جانبي الرأس يوصلان بمجموعة من خيوط الصوف سوداء اللون يكونان تحت الناصية.

المصوغات الفضية في إقليم ظفار:

تختلف حلي ظفار ومصوغاتها الفضية عن مثيلاتها في مناطق عمان الأخرى. ويعود ذلك الاختلاف إلى صعوبة الاتصال عن طريق البر خلال فترة دراستنا وما قبلها والأكثر شيوعاً هو استعمال الخرز الملون المصنوع من الأحجار الكريمة أو العاج، التي ربما أنها انتقلت إليها من ساحل أفريقية الشرقي. أما الحلي التي تصنع من الفضة فهي تلك القلائد التي تربط بفتائل

(٥٩٦) انظر هولي: الصناعات الفضية في عمان ص ٥٥-٦٠ وص ٦٣-٦٧.
حصاد وندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٦٤-١٦٥.

من الصوف وتدلّى خلف الرأس. والسلاسل الفضية السمكية ذات وصلات معقدة ومتميزة بفنها ودقتها وتسمى المنجد تلبسها النساء المتزوجات حول أكتافهن أو بسواعدهن. وهناك نوع من الحلي يسمى "الشلش" يوضع فوق الرأس.

وعلي كل فكل ما سبق الحديث عنه من خواتم وأقراط وأساور وخلاخيل وغيرها موجودة في الشمال لكنها مختلفة في تصميماتها وسمكها وزخرفتها^(٥٩٧).

أسلوب صناعة الفضة:

لابد لصانع الفضة أو صائغها من أدوات تعينه على إتمام مهنته هذه كما سبق القول بالنسبة للحداد والصفار (الصانع أو المشتغل بالأدوات النحاسية) كالكور والملهاب، لكن الأدوات الأخرى المستخدمة هنا تكون أكثر دقة وأصغر حجماً عن مثيلاتها هناك. فصانع الفضة بحاجة إلى سندان وكماشة مفرطحة وأخرى مدببة وأدوات خشبية لعمليات التشكيل والطرق عليها. ومنشار دقيق ومتقاب دقيق لعمليات النقش والزخرفة وقار سائل ورميل نقي ورماد لحشو فراغ المصنوعات الفضية المجوفة لكي تأخذ شكلها المطلوب، ورصاص لعمل حواجز بين الأجزاء المصنعة، ثم سائل حمضي أبيض مذاق وممزوج مع محلول "السلفريك الأسيد" لعمليات التذويب للمواد العالقة بالفضة. ولتنظيف الحلي من القار وغيره يستخدم مسحوق زجاجي أو فرشاة خشنة، ثم تنظف بقطعة قماش ناعم أما صناعة الأدوات المشبكة كالمباخر وغيرها، فتقطع الفضة إلى شرائح رقيقة ورقيقة جداً يستخدم الصانع أدوات دقيقة لتساعده على إتقان عمله هذا.

أما صناعة الأساور فتشكل قطع من الفضة على شكل حلقات لا يزيد سمكها على ثلث "مليمتر" ثم تحشى بالقار والصمغ للحفاظ عليها من الاوجاج، ثم تنقش عليها الزخارف وقد تطعم بالذهب خاصة كما هو الحال

(٥٩٧) انظر هولي: الصناعات الفضية في عمان ص ٦١ وص ٦٧٧ و ٧٥. حصاد ندوة الدراسات العمانية ٤ ص ١٦٥.

في مدينة صور العمانية وغيرها من مدن المنطقة الشرقية وطريقة التذهيب هذه طريقة قديمة وجدت عند المصريين القدماء منذ (٢٥٠٠ عام ق. م).

هذا وتمر صناعة الفضة بعدة خطوات منها: تقسيم الفضة إلى قطع حسب الشكل والحجم المراد صنعه - حشوها بالمواد العازلة خاصة المصنوعات المجوفة، ثم تأتي عمليات التطعيم بالذهب والزخرفة والتنقيب والتضريس وأخيراً عمليات التنظيف بالمواد السابق ذكرها^(٥٩٨).

الصناعات الفخارية (الخزفية):

تعتبر الصناعات الفخارية من الحرف التقليدية المتوارثة في عمان منذ القدم اهتم بها الصناع العمانيون وذلك لتعدد استعمالاتها. وقد ساعدهم على القيام بهذه الصناعة توفر طينة المدر الصالحة خصيصاً لها.

واستدلت التنقيبات الأثرية من قطع الفخار التي عثرت عليها في كل من قرية بات قرب مدينة عبري، والعرجاء بوادي الجزي قرب مدينة صحار، وقرية الأخضر بوادي سمد، التي تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، على أن هناك صناعة منتشرة للأواني، ووصفتها بأنها كانت صناعة متطورة وراقية كمثيلاتها في المنطقة في تلك الفترة. وأنها كانت معاصرة للحضارة السومرية القديمة "أور" وجمدة نصر ببلاد الرافدين العراق حالياً. وقد تأثرت بأساليب صناعة الفخار القائمة آنذاك بجنوب فارس، وهذا يدلنا على وجود صلات تجارية قديمة بين عمان وهذه المناطق.

وفي العهد الإسلامي الأول (٩-٤٤٧ هـ / ٦٣٠-١٠٥٥ م) عثر على مجموعة من قطع الفخار عند مصب وادي بني خروص على ساحل الباطنة ما بين مدينتي المصنعة وبركا حالياً تشبه الفخار الذي عثر عليه بسامراء^(٥٩٩) في العراق، وسيراف ببلاد فارس واليمن، وهذا يدلنا على أن

^(٥٩٨) هولي: الصناعات الفضية في عمان ص ٢٠ - ٢١.

^(٥٩٩) دي كاردي وآخران: أعمال التنقيب والدراسة في المنطقة الشرقية في عمان (مترجم) ٢-٢٦.

دي كاردي ودونالد وتكومب: دراسة لآثار عمان ص ٢٣-٢٥ (مترجم).

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ٢٨٧.

عمان كانت ملتقى تجتمع فيها تأثير حضارات مختلفة فتصهرها في بوتقتها فمثلاً نجد بمصنع بُهلى أن عجلة الفخار والقالب الذي يصب فيه شبيه بالنمط السومري القديم، بينما مصنع سور السوادي بمدينة صحم، قد تأثر بالنمط الفارسي، من حيث القالب و "المهبة" الموقد الذي يحرق فيه الفخار. في حين جمع مصنع مسلمات (قرية بوادي المعادل النمطين السومري والفارسي، فالقالب سومري وطريقة ضرب الفخار فارسية^(٦٠٠)) كما عثر على قطع أواني فخارية لونها أخضر مشوبة بزرقة، وأنية أخرى مزججة مرشوشة، لقد كانت هذه الفترة (القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي) فترة ازدهار التجارة الدولية في منطقة بحر فارس وبحر الهند وكان لصحار دورها البارز في نشاط هذه التجارة، وهذا يعكس ازدهار ورخاء المنطقة برمتها^(٦٠١).

العهد الإسلامي الأوسط أو فترة حكم بني نبهان في عمان تقريباً من سنة (٤٤٧-٩٠٦ / ١٠٥٥-١٥٠٠م):

في هذه الفترة كانت عمان تمر في دور "مخاض" لكنني لم أستطع فهم ما يعنيه كاتبو هذه الدراسة بقولهم "أصبح أثر البيئة الحضرية أقوى مما كان عليه قبل ذلك أو بعده"، لأن عمان في هذه الفترة قد خضعت منذ القرن السادس - السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لحكم بني نبهان^(٦٠٢) الذين اتخذ بعضهم من مدينة بُهلى بعد توسع سلطتهم مقراً لحكمهم.

وفي القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين عثر بتل قرب بسيا الواقعة إلى الجنوب من مدينة بُهلى أنفة الذكر على قطع أواني فخارية يمكن وصفها "بأنها فخار نبهاني".

تحتوي هذه المكتشفات على أنية جدرانها سميكة شبيهة بتلك التي عثر عليها في حفريات ميناء رأس الحد، الذي يشبه بدوره "ما وجد في جيدي

(٦٠٠) ن. م مج ٤ ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٦٠١) دي كاردي ودونالد، وتكومب: دراسة لآثار عمان ص ٢٥-٢٦.

(٦٠٢) دي كاردي وزميله: دراسة لآثار عمان ص ٢٩-٣٢.

- دي كارد، ب: محصلات العينات الأثرية التي عثر عليها على سطح الأرض في عمان ص ١٨ و ٤٠ و ص ٤٦-٤٧.

ومجموعة جزر لامور في شرق أفريقية" أو سيراف المطلة على بحر فارس، ويتوصل معدو هذه الدراسة الأثرية أن آنية بُهلى التي تم اكتشافها في ملوك بني نبهان وهي فترة دراستنا هذه تدل على تشابك الصلات بين عمان وبين مناطق التجارة الدولية التي كانت تمر بموانئها سلع التجارة الشرقية وكذلك على تشابك الصلات والمصالح المتبادلة بين داخلية البلاد وسواحلها^(٦٠٣).

صناعة السفن:

إن ذلك النشاط التجاري البحري العريق الذي اشتهر به العمانيون منذ عابر الأزمان كان لابد له من وسيلة تنقله في ذلك البحر، فكانت السفن هي الوسيلة التي نقلته قال تعالى (وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)^(٦٠٤) ومن أجل تلبية حاجة ذلك النشاط قامت في عمان صناعة متقدمة للسفن بمختلف الأنواع والأحجام، كما أن هناك عواملاً أخرى ساعدت العمانيين على القيام بهذه الصناعة في بلادهم مثل:

- الأيدي الماهرة الحاذقة، التي توارثت تلك الصناعة جيل بعد آخر مما أكسبها خبرة كبيرة في هذه الصناعة.

- توفر بعض المواد الخام فعمان تتميز عن سواها في منطقة الخليج بأنها بلد زراعي وبها كثير من أشجار السدر والقرط ذات الأخشاب الصلبة والنخيل التي تستخدم جذوعها وسعفها لصناعة نوع من السفن اختلفت به عمان. ومن ليفها وليف جوز الهند بظفار تصنع الحبال التي تشد بها ألواح السفن.

- الموقع الجغرافي الهام والقريب نسبياً لأماكن توفر الأخشاب الجيدة لصناعة السفن، كخشب الساج وخشب جوز الهند التي كان العمانيون يجلبونها من الهند وبالذات من جزر المالديف الواقعة ببحر الهند^(٦٠٥). وما

^(٦٠٣) دي كاردي، ودونالد، وتكومب: دراسة لآثار عمان ص ٣٢-٤٢.

^(٦٠٤) آية ١٤ من سورة النحل.

^(٦٠٥) يحتمل أن تكون هذه المناطق هي التي تم نقل أشجار جوز الهند منها إلى ظفار خلال العصور الوسطى.

تم جلبه من أخشاب كذلك جلب الرقيق -الذين أصبحوا اليد العاملة المساعدة على صناعة السفن- من شرق أفريقية فقد ساعدت على استمرار هذه الصناعة وبقائها^(٦٠٦).

اتصفت صناعة السفن خلال فترة دراستنا بثلاث خصائص:

- استخدمت فيها الحبال لربط أجزاء السفينة بعضها إلى بعض حيث أن المسامير لم تكن مستخدمة لديهم.

- تصنع أشعة السفن من سعف النخيل، ثم سعف جوز الهند، وأخيراً من القماش، وكانت تمتد مقدمة السفينة إلى مؤخرتها. لا فرق هناك بين مقدمة السفينة ومؤخرتها^(٦٠٧). فكلاهما متشابهتان ضيقتان، مدببتان.

أسلوب بناء السفن:

وقد وصف ابن جبير^(٦٠٨) أسلوب صناعة السفن في بحر القلزم خلال رحلته التي قام بها في أواخر القرن السادس الهجري/ أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، فذكر أنها كانت "ملفقة الإنشاء لا يستعمل فيها مسمار البتة، إنما هي مخيطة بأمراس من -قشر جوز النارجيل- يدرسونه إلى أن يخيظ، ويقتلون منه أمراساً يخيظون بها المراكب، ويخللونها بدسر من عيدان النخل" ثم تدهن السفن بدهن وأحسنه كان دهن سمك القرش (الجرجور) والهدف من ذلك تليين خشب السفينة وتطريته كي لا يتعرض للكسر عند اصطدامها بالأحجار، وأكد ذلك ابن بطوطة^(٦٠٩) عند زيارته لظفار في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حين وصف شجرة جوز الهند بقوله "وعليها ليف يشبه الشعر وهم يصنعون به حبالاً يخيظون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد. ويصنعون منه الحبال للمراكب".

^(٦٠٦) انظر عمان وتاريخها البحري ص ١٠٧ و ١٥٦.

^(٦٠٧) عمان وتاريخها البحري ص ١٠٧ و ١١٣ وابن جبير: رحلة ابن جبير ص ٦٥.

مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٤١.

^(٦٠٨) رحلة ابن جبير (تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار) ص ٦٤-٦٥.

^(٦٠٩) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ص ١٧٦.

وقد جاء نفس الوصف لدى ماركو بولو عند زيارته لهرمز في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) كما ورد في كتاب عمان وتاريخها البحري^(٦١٠).

"والمراكب ليس فيها مسامير حديدية وإنما تربط ألواحها بحبال من لحاء جوز الهند فكانوا يدقون هذا اللحاء حتى يصبح رقيقاً مثل شعرة الخيل، ثم يفتلون منه الحبال التي يربطون بها ألواح المراكب، وهي مراكب قوية لا يفسدها ماء البحر لكنها لا تصمد أمام العواصف كثيراً.. تدهن بزيت السمك ولها صار واحد، وشرع واحد، ودفة واحدة. وليس فيها سطوح، وإنما غطاء يمدونه فوق السفينة"، وقد استخدمت أوتاد أو مساند خشبية شبيهة بالمسامير بالإضافة إلى الربط بالحبال.

وكانت صناعة السفن في عمان تعتمد في غالبيتها على خشب الساج وجذوع جوز الهند خاصة قاعدة السفينة وجوانبها المعرضة لماء البحر ودقل الشرع أو الصاري^(٦١١).

أما خطوات صناعة السفينة فهي على الوجه التالي:

- أول ما يتم صنعه قاعدتها المستطيلة، حيث تصف ألواحها فتتسع في الوسط وتضيق عند طرفيها لتتناسب مقدمة السفينة مع مؤخرتها، ويتم ذلك بلصق الألواح.
- تثقب أطراف الألواح عدة ثقوب بين كل منها مسافة قدر بوصتين إلى ثلاث بوصات وتجعل شقوق عمودية بين الألواح لكي تتساوى الخياطة مع سطح الهيكل^(٦١٢).

^(٦١٠) ص ١٠٨ والناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ١٣٩.

^(٦١١) ن. م ص ١٠٧ وهوراني، جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٦٣-٢٦٤.

^(٦١٢) عمان وتاريخها البحري ص ١٥٤.

بعد ذلك تربط إلى لوح القاعدة ألواح أفقية على جانبي السفينة بخيوط من ليف (النارجيل) جوز الهند، ثم تشد بعضها إلى بعض شداً قوياً بتلك الخيوط.

وكانت أطراف هذه الألواح الجانبية المثقوبة متلاصقة فنتم بذلك عملية خياطتها بغرز حبال جوز الهند في تلك الثقوب إلى الداخل فتشد شداً قوياً فوق قطع خشبية ضيقة وطويلة.

بعد إتمام بناء هيكل السفينة، وحفاظاً عليه من التصدع نتيجة لتعرضه أمواج البحر العاتية والعواصف الهيجاء، تتركب على الألواح الجانبية أضلاع تكون متعارضة معها. بمثابة مساند لها، وتثبت هذه الأضلاع بعقد من الليف اثنتان منهما على كل جانب من تلك الأضلاع، وقد تستبدل تلك العقد بأوتاد خشبية، تتناسب في الحجم مع تلك الثقوب وهي شبيهة بالمسامير.

وقبل أن تنزل السفينة إلى مياه البحر يركب لها السكان (الدفة) في وسط مؤخرة السفينة بموضع يتوازى مع سطح الماء، ويتم توجيهه بحبال متصلة بالحاجز الأعلى لمؤخرة السفينة ثم يركب الدقل أو عمود الصاري الحامل للشرع، ثم تدهن بزيت سمك القرش أو الحوت والمعروف محلياً بالصل، ثم بالنورة، التي استبدلت بعد ذلك بالقار^(٦١٣). والهدف من ذلك الدهان هو غلق الثقوب الصغيرة المتبقية من جراء تثقيب الألواح وخياطتها، وكانوا يجرون تصلّحات أو صيانة للسفينة كل عام، فيستبدلون الخيوط المتقطعة، والألواح التالفة الخ بأخرى جديدة.

هذا وقد أوردت المراجع عدة مبررات لاستخدام الخيوط بدلاً من المسامير في بحار الشرق (بحر القلزم، بحر فارس، وبحر الهند) دون غيرها:

^(٦١٣) حوراني، جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٤٦-٢٤٩ و ٢٥٦ و ٢٦٠.
- عمان وتاريخها البحري ص ١٥٤.
الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ١٣٩.

- لتأثر أهل المنطقة باعتقاد الصينيين بأن في هذه البحار صخورا مغناطيسية، قد تجذب السفن التي استخدمت في صناعتها المسامير إلى عقر البحر وتحطيمها، لكن هناك من يرد عليهم بأن الصناعة بهذا الأسلوب في المنطقة سبق اتصالهم بالصينيين بآلاف السنين.

- إن خشب الساج شديدة الصلابة، فإذا ما ضربت فيه المسامير قد يؤدي إلى تشققه وبالتالي إلى تحطيم السفينة وهذا غير صحيح لأن خشب الساج خشب طيع فيه من المرونة ما يبطل هذا المبرر.

- أن شدة ملوحة بحر الهند تذيب المسامير الحديدية، لكنه ثبت علمياً بأن خصائص مياهه الكيماوية من ملوحة وغيرها لا تختلف كثيراً عن خصائص مياه البحار الأخرى.

- لكون هياكل السفن المحيطة بالحبال أو الحبال نفسها أكثر مرونة من تلك التي استخدمت فيها المسامير، إذا ما اصطدمت بالشعاب المرجانية وغيرها من صخور بحر القلزم^(٦١٤).

لكن حتى تلك السفن التي تبحر إلى ساحل بحر الهند أو بحر فارس لا تتحمل صدمات موجهما العاتية، حتى وإن أُلقت بها على سواحلها الرملية.

ويخلص حوراني إلى القول بأن السبب في ذلك هو العامل الاقتصادي أي الغلاء وارتفاع ثمن المسامير الحديدية بالنسبة لأسعار خيوط جوز الهند التي يتم بها خياطة تلك السفن.

ومن جانبي أميل إلى هذا القول وإلى ما أورده الناصر، على حسين نقلاً عن مايلز وهي الفكرة التي أوردها أساساً كل من ابن جبير والإدريسي بأن هيكل السفن أكثر مرونة من هياكل السفن الأخرى عند تعرضها للصدمات وأمواج المياه^(٦١٥).

(٦١٤) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٥٥-٢٥٧.

- الناصر، على حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ص ١٤٠.

(٦١٥) ابن جبير: رحلة ابن جبير ص ٦٥.

- حوراني: ن. م ص ٢٥٧-٢٥٨.

أنواع السفن المصنوعة في عمان خلال فترة دراستنا:

هناك عدة أنواع من السفن مختلفة الأحجام، ومتعددة الاستخدامات تمت صناعتها في موانئ عمان لتقي باحتياجات البلاد في النشاط التجاري ونقل المسافرين وللغوص، ولصيد الأسماك ومنها ما هو للمسافات البعيدة وأخرى للمسافات القصيرة وأهما:

البوم:

نوع قديم طرفاه أي المقدمة والمؤخرة متشابهتان، يعتبر أكبر المراكب العمانية خصوصاً وفي منطقة الخليج عموماً. وتصل حمولته أربعة وسبعين طناً وربما تزيد فتصل إلى أربع مائة طن. بينما يبلغ طوله ما بين خمسين إلى مائة وعشرين قدماً.

أما عرضة فيصل ما بين خمسة عشر إلى ثلاثين قدماً. وله دفة في المؤخرة لتوجيهه ولأكبر حجمه فقد زود بثلاثة أشرعة، يركب الأصلي الشراع الكبير ذي الشكل المائل بالوسط بينما يركب الشراعان الآخران أحدهما في المؤخرة والآخر في المقدمة حيث ينصب عمودياً ويسمى قلعي، ويستخدم البوم لنقل التجارة والركاب.

السنبوق:

مركب يمتاز بأكبر حجمه وبشكله الجميل، ذي المقدمة المنخفضة المحفورة، وبمؤخرته العالية ويعتبر أشهر المراكب المصنوعة في مدينة صور العمانية، وهو أكبر حجماً من مثيلاته في المنطقة ويستخدم في الرحلات التجارية البعيدة المدى وتبلغ حمولة أصغره حجماً عشرين طناً. بينما تبلغ حمولة أكبره حجماً مائة وخمسين طناً^(٦١٦).

الناصر، على حسين: ن. م. م.
(٦١٦) أنور عبد العليم: أبين ماجد الملاح ص ١٥٥.
- عمان وتاريخها ص ١٢٧-١٢٨ وص ١٣١.

ويبلغ طوله ثمانين قدماً. كذلك يستخدم في مجال الغوص لاستخراج اللؤلؤ، بذلك كانت خشبة مقدمته ممتدة تحت سطح الماء، أما قصر قاعدته فقد سهلت له التحرك قرب الشاطئ ويعتبر السنبوق المصنوع في ظفار أقدم السفن التي لا تزال مستعملة إلى وقتنا الحاضر، ويمتاز بشكله الانسيابي وبمؤخرته ومقدمته متشابهتان ولا يزال محافظاً على أسلوب صناعته منذ القدم حيث يخاط بألياف جوز الهند "النارجيل".

القارة أو الشاجوف:

هذا النوع من السفن شائع استعماله على طول ساحل الباطنة ومنطقة مسندم بعمان. ويبلغ طوله ما بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين قدماً. لكنه يحتاج إلى عدد كبير من الجدافين يصل إلى ثمانية وعشرين جدافاً لكل مركب.

الزاروقة:

اسم نوع من السفن تطوراً فيما بعد إلى نوعين من السفن معروفان تماماً في منطقة الخليج أحدهما البدن وتُعرف في خارج عمان باسم البتيل، والآخر البقارة وكانت تشترك مع الزاروقة في خصائص أساسية أولها استخدام حبال ألياف جوز الهند في خياطتها.

وخشبة مؤخرة السفينة عالية، ويتم توجيه الدفة بالحبال. أما شكل هيكل السفينة فطرفاه المقدمة والمؤخرة متشابهتان. وربما أن نوعي الغراب والتراكي الوارد ذكرهما في المراجع الأوربية نوعان من أنواع الزاروقة^(٦١٧).

الهوري:

(٦١٧) أنور عبد العليم: ابن ماجد الملاح ص ١٥٤.
مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٤١-٣٤٢.
عمان وتاريخها البحري ص ١٣١-١٤٩.

اسم هندي، وهو قارب صغير منحوت من خشب شجر العنبة المجلوب من ساحل الملبار بالهند، يتراوح طوله ما بين عشرة إلى عشرين قدماً. وهو أشهر المراكب الصغيرة في عمان ويستخدم في صيد الأسماك أو نقل السلع لمسافات قصيرة. وإذا أريد استخدامه في صيد لأسماك من مسافات بعيدة أضيف إليه حاجز خلفي وأضلاع جانبية يتراوح عددها ما بين ثلاثة إلى ثمانية حسب حجم القارب، وخشبة إلى خشبيتين تحت قاعدته وأخرى في مؤخرته. وقد تضاف إلى مقدمته خشبه لتقويتها. والهدف من هذه الزيادات إعطاء جسم القارب متانة أكبر تجعله يتحمل صدمات أمواج البحر لكي يتمكن من قطع المسافات الطويلة.

وقد يستعان بشراع لتدفعه الرياح بدلاً من المجاديف لتوفير جهد الصيادين عليه.

الشاشة:

قارب صغير الحجم يعتبر عماني الصنع والتصميم مائة في المائة (١٠٠%) لكونه صنع بمواد خام عمانية حيث يصنع من سعف النخيل والحبال المصنوعة من ليف النخل فتربط تلك السعف بهذه الحبال وتشد إلى بعضها شداً موثقاً. ويشبه هذا النوع من القوارب نوعاً آخر يسمى الصندل. وكانت صناعته قائمة في ساحل الباطنة وذلك لتوفر أشجار النخيل في سهلها.

وقد عبر مايلز عن ذلك بقوله وهذا "دليل على قدرة الإنسان العماني على تطويع المواد الخام المتوفرة لديه لمطالبة لمطالبه واحتياجاته". والفكرة من صناعته من سعف النخيل لكونها خفيفة الوزن تجعل القارب ضعيفاً يطفو فوق سطح الماء. ويبلغ طول الواحد منها ما بين عشرة إلى اثني عشر قدماً. ويتسع لشخص واحد إلى شخصين فقط.

وغالباً ما يمتلك العاملون على هذا النوع من القوارب أكثر من قارب واحد كاحتياطي عندهم^(٦١٨).

^(٦١٨) مايلز: الخليج بلدانه وقبائله ص ٣٤٢.

وذلك لأن سعف النخل المصنوع منه لا بد من تجفيفه بعدما يتشبع بمياه البحر فيبقى القارب الآخر في الخدمة، ثم أنه لا يدوم أكثر من ثلاثة أعوام، لكن رخص ثمنه وانخفاض تكاليف صنعه سهل الأمر في استبداله ثلاثة أعوام، ومع أنه هش خفيف الوزن إلا أنه مطاط يتحمل أشد أمواج البحر عنفاً، ويستخدم في صيد الأسماك، ولحمل البضائع من وإلى السفن الراسية قرب الميناء^(٦١٩).

الماشوة:

هي تلك القوارب التي يقوم نجارو السفن الكبيرة المبحرة لمسافات بعيدة ناقلة التجارة ما بين عمان والهند وشرق أفريقية وغيرها من مناطق جنوب وجنوب شرق آسيه، مستغلين وقت فراغهم، ويتم بيع ما تم صنعه في الموانئ التي يطلون إليها ويبلغ طول القارب الواحد منها خمسة وعشرين قدماً^(٦٢٠).

الصناعات الخشبية:

يأتي الأثاث المنزلي في مقدمتها وتعتبر صناعة المناديس^(٦٢١) الخشبية الفاخرة أرقى تلك الصناعات، تستعمل المناديس لحفظ الملابس والأشياء الثمينة كالنقود والحلي والمجوهرات خاصة تلك التي تصنع للأثرياء حيث تصنع من أجود أنواع الخشب وتتم زخرفتها بنقوش رائعة أما بارزة أو محفورة بأسلوب هندسي بديع ودقة متناهية في الصنع^(٦٢٢)، وتزين بصفائح ونجوم من النحاس الأصفر، أما تلك الأعلى ثمناً فتحلي بنقوش ونجوم

أنور عبد العليم: ابن ماجد الملاح ص ١٥٤-١٥٥.

عمان وتاريخها البحري ص ١٥١-١٥٢.

أنظر أيضاً جريدة عمان الصادرة بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٩٨٦ في مقابلة مع أحد صانعي قوارب الشاشة.

^(٦١٩) مايلز: ن. م ص ٤٣٢.

عمان وتاريخها البحري ص ١٥٢.

^(٦٢٠) ن. م ص ١٥٣.

^(٦٢١) المناديس (جمع) مفرداً مندوس مأخوذة من الفعل دس. أنظر مختار الصحاح والمعجم الوسيط.

^(٦٢٢) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ٢٨٤-٢٨٥.

ومن أكثر الصناعات الخشبية انتشاراً في عمان صناعة الأبواب والنوافذ التي تحلى بزخارف نباتية تكون محفورة بها. كذلك تنتشر صناعة الأدوات المستخدمة في الريف العماني كمقابض لها كالمساحي والمناجل والمحاريث والأدوات التي توضع على ظهور الدواب (الحمير والجمال) وتسمى الرحال^(٦٢٣).

تعتبر صناعة الأقمشة والنسيج من الصناعات القديمة بل الشهيرة في عمان. فلا غرو في ذلك فهي من متطلبات الإنسان الضرورية مثلها في ذلك مثل المأكل والمشرب والسكن. ولتوفر المادة الخام من قطن وصوف وكتان، وما نقص من احتياجات هذه الصناعة جلب من الخارج كالحرير "الإبرسيم" لقرب مناطق إنتاجه من عمان إضافة إلى وجود اليد العاملة الماهرة في هذه الصناعة بعمان، فتقوم كل مدينة بتغطية احتياجات سوقها وما زاد عنه ينقل إلى المدن المجاورة أو إلى خارج عمان مثل شرق أفريقية وبلدان شبه الجزيرة العربية كبلاد الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة، فكان رسول الله ﷺ يقدمها كهدية من ضمن هداياه التي كانت تقد إليه فقد أهدى زعيم وفد قبيلة مراد العربية اليمنية "اثنتي عشرة أوقيه، وحمله على بعير نجيب، وأعطاه حلة من نسيج عمان" (٦٢٤).

(٦٢٣) الرحال (جمع) تفرد الرجل. أنظر مختار الصحاح والمعجم الوسيط مادة رحل.

(٦٢٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٢٧.

أنظر أيضاً -لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج ١ ص ٢٥٩.

الحفاني دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول، بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٦٨-٦٩.

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٢٧ و ١٤٩ و ١٥٢.

والبلاذري وابن سعد "وكان برد يمني طوله ست أذرع في ثلاثة أذرع وشبر، وإزار من نسيج عمان طوله أربع أذرع وشبر في ذراعين وشبر فكان يلبسها في الجمعة ويوم العيد ثم يطويان" (٦٢٥).

وقد أحرم p بها في حجته الوحيدة التي سميت بحجة الوداع فيما بعد "أحرم رسول الله p، في ثوبين من نسج صحار، إزار ورداء" (٦٢٦).

فكما شرفت تلك الأثواب بملامسة جسده الطاهر وهو حي فقد شرفت بملامسته ومرافقة جثمانه الطاهر وهو ميت p "ثم كفن في ثلاثة أثواب صحارية وأدرج فيها إدراجاً" (٦٢٧) بينما تطرق الحموي الذي عاش في القرن السابع الهجري أي خلال فترة دراستنا هذه إلى ذكر المنسوجات العمانية خاصة تلك المصنوعة بمدينة نزوى فوصفها بأنها كانت جميلة منمقة غالية الثمن (٦٢٨).

كما أشاد ابن بطوطة (٦٢٩) بالأثواب الرائعة التي تصنع في ظفار بقوله "ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جداً".

هذا بالإضافة إلى الأزرّة والأردية (٦٣٠) العادية التي تصنع من القطن أو من القطن والحرير، هناك أيضاً نوع من العمائم تصنع من القطن خاصة تلك العمائم المخططة التي تصنع بإبراء من القطن الجيد النقي (٦٣١).

وقد انتشرت زراعة القطن وبالتالي صناعته في غالبية المناطق الداخلية كنزوى ومنح وسمائل وغيرها (٦٣٢) من المدن لكن اختص وادي

(٦٢٥) ابن سعد: ن. م ج ١ ص ٢٥٠.

(٦٢٦) البلاذري: انساب الأشراف ج ١ ص ٣٦٩.

الواقدي: كتاب المغازي ج ٢ ص ٥٧٣.

(٦٢٧) الواقدي: ن. م ص ٥٢٧.

(٦٢٨) معجم البلدان ج ٥ ص ٢٨١.

(٦٢٩) رحلة ابن بطوطة ص ١٧٤.

(٦٣٠) الإزار (مفرد) وتجمع أزرّة وهو ما يؤتزر به بالوسط. أما الأردية (جمع) مفردها رداء: نوع

من اللحف مفردها لحاف وهو ما يلتحف به. أنظر الرازي: مختار الصحاح.

(٦٣١) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٩.

(٦٣٢) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٤٩.

سمائل وبالذات قرية الجيلة فيه بزراعة وصناعة "نسيج الخضرنج، وهو من القطن الأحمر الموجود بعمان خاصة"^(٦٣٣).

مراحل صناعة القطن:

المرحلة الأولى غزل القطن الخام:

وتتم على خطوات: يبلى القطن بالماء، ثم يدق بمدق خاص ويخلط بالطحين ثم يخمر لمدة يوم واحد في إناء فخاري بعد ذلك يتم تحليله إلى خيوط سميكة، حيث تصبغ باللون المطلوب.

ثم تلف تلك الخيوط على مغزل خشبي صغير يسمى دالوب، يتكون من عدة قطع، وأثناء دوران الدالوب تتحل الخيوط السميكة إلى خيوط أقل منها سُمْكاً، بعد ذلك تنقل الخيوط إلى دالوب أكبر لتحليلها إلى خيوط رفيعة وصالحة للنسيج، وبذلك تكون مرحلة الغزل قد انتهت، وتأتي بعدها مرحلة النسيج.

مرحلة النسيج:

تتم بواسطة نول يدوي عادي تقليدي مصنوع من خشب السدر أو القرط الصلب شبيه بذلك النول القديم، الذي عُرف لدى الحضارات القديمة، كالفراعنة بمصر السومرية والآشورية والبابلية ببلاد الرافدين العراق حالياً. وغيرها من الحضارات المجاورة كالفارسية والهندية^(٦٣٤). وهو نول أفقي يتكون من ثلاثة وعشرين جزءاً يسمى في عمان الكارجة^(٦٣٥).

أساليب النساجة:

يعتبر (معلم الصنعة) قمة درجات سلم مهنة النساجة، يليه في الدرجة الثانية نائبه ويسمى (المعاون)، ثم (الشاغرد) وهو الذي يندي أو يبلى خيوط الغزل بالماء، ثم يقوم بالعمل على الدالوب (عملية النساجة).

^(٦٣٣) السالمي، ن. م. م.

^(٦٣٤) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٤٩ - ١٥٠.

^(٦٣٥) ن. م. م. مج ٤ ص ١٥٠.

أما الشخص الراغب في تعلم حرفة النساجة فيحتاج إلى فترة تدريب لمدة ستة أشهر أو عام كامل، وذلك حتى يتقنها جيداً.

هذا ويشترط في النساج أن يكون متحلياً بالصبر والمثابرة في العمل، وأن يكون بصرة حاداً، وهي صفات أساسية للنجاح في هذه المهنة، وعندما يترقى العامل فيها من رتبة إلى أخرى يقام له احتفال بذلك يحضره منتسبو هذه المهنة في مدينتهم^(٦٣٦).

صناعة المنسوجات الصوفية:

تعتبر صناعة الصوف مكملة لحرفة الرعي في عمان ومن جانب آخر يعتبر شعر الماعز أجود وأهم مصدر للصناعات الصوفية في عمان، وذلك لطوله وسهولة غزله ثم نسجه، وحيث يخلط مع صوف الأغنام الناعم ليعطيه نوعاً من الصلابة قال تعالى (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين)^(٦٣٧). فكما مرت الصناعات القطنية بعدة مراحل كذلك مرت زميلتها الصناعات الصوفية، ففي أول شهر أبريل تبدأ أولى خطواتها حيث يجز الصوف ثم يغسل جيداً، ثم ينفش تمهيداً لصباغته باللون المطلوب وغالباً ما تكون باللونين الأصفر والأحمر.

مرحلة الغزل والنسيج:

ولكون هذه الصناعة مرتبطة كما مر بنا بالحياة الرعوية في عمان لذا فإن المرأة البدوية هي التي تقوم بهذه الصناعة، فتستعمل مغزلاً يدوياً تسدي الخيوط المغزولة طولياً حسب ما هو مطلوب صناعته.

وينقسم نول النسيج الصوفي إلى جزئين أحدهما كالعصى يلف فيه الصوف قبل غزله والثاني كالرأس يتم فيه تجميع الخيوط المغزولة، وتصنع بهذا النول بعض المصنوعات الخفيفة مثل الخطم والمرّة، والغرضة وصدار الجمال، والريق والمكاحل، وبعد الانتهاء من صناعتها تصبغ أطرافها كزينة لها بألوان جذابة خاصة باللون الأحمر.

^(٦٣٦) ن. م ص ١٥١.

^(٦٣٧) آية ٨٠ من سورة النحل.

أما النول اليدوي التقليدي الآخر فهو أكثر تعقيداً من السابق لكنه أقل تعقيداً عن النول المستخدم في نسج القطن والمعروف (بالكارجة)، وتتم الصناعة بواسطته بتسدية الخيوط المغزولة على النول بعد صبغها باللون الأصفر أو الأحمر. أو تبقى بألوانها الطبيعية البيضاء أو السوداء أو الرمادية أو البنية الفاتحة والغامقة. ثم تمدد بين مسداتين فتتمر بالحافة والنير والحف^(٦٣٨) وتتم بواسطته صناعة المفارش والنسيج والخروج والبدة والمحوى^(٦٣٩).

وتتم خطوات النسيج بضغط الخيوط المغزولة بعضها إلى بعض بواسطة الحف وذلك برفع الخيوط بالتناوب، وتمريرها من الجهة اليمنى إلى اليسرى ومن أعلى إلى أسفل، وهكذا حتى تتم عملية النسيج.

والمستطيلات المتقابلة والمتقاطعة، إضافة إلى رسم الأدوات التي تستخدمها المرأة البدوية كالمقص والمشط^(٦٤٠) وتصنع في المناطق الداخلية نوع من العباءات الصوفية وتشتهر مدينة بُهلى بالعباءات ذات الصوف الغليظ^(٦٤١).

صناعة الأصباغ:

وقبل أن نترك صناعة الغزل والنسيج أو المنسوجات القطنية والصوفية هناك صناعة تقوم عليها وهي صناعة الأصباغ باللون الأزرق يستخرج من شجرة الليل أو (النيلة) التي تنمو بمناطق عديدة في عمان وتعطي لوناً شديداً الزرقاء. أما اللون الأصفر فيستخرج من شجر المهدي

^(٦٣٨) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٢٧-١٢٨.

^(٦٣٩) السيج (مفردها الساحة) والخروج (مفردها الخرج) توضع على ظهور دواب النقل خاصة عند السفر من مدينة إلى أخرى.

^(٦٤٠) سعيد عاشور، وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٣٤٦.

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٢٨.

^(٦٤١) السالمي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان ص ٥٩.

لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي ج ١ ص ٢٥٩.

واللون الأحمر فيستخرج من شجر الفوا. أما اللون الأسود فيستخرج من مادة الفجاج التي تعطي لوناً شديداً السواد^(٦٤٢).

الصناعات الأخرى:

وهناك صناعات أخرى عديدة تقوم في الريف العماني منها ما تقوم على المنتجات الحيوانية كالصناعات الجلدية، فكما سبقت مرحلة الغزل مرحلة النسيج في الصناعات القطنية والصوفية، كذلك سبقت مرحلة دبغ الجلود، الصناعات الجلدية، وتتم مرحلة الدباغة بعدة خطوات منها:

يرش الملح على الجلد في الجانب الخالي من الشعر، ثم ينقع في إناء فخاري كبير يسمى خرساً، مملوءاً بمريس التمر مع الماء مضافاً إليه الملح لمدة ثلاثة أيام. ثم يمزج مع أوراق شجر الشجر أيضاً لمدة ثلاثة أيام، وتعاد عملية خلطة مع الملح ومرسي التمر لنفس المدة، وأخيراً يغمس في خليط الملح وثمر شجر القرط^(٦٤٣)، وهنا يكون الشجر الذي فيه قد زال ويترك لمدة يوم واحد لكي يجف ويصبح صالحاً للاستعمال^(٦٤٤).

أنواع الصناعات الجلدية:

- النعل: تصنع من جلد البقر لكونه أنسب الجلود لصناعتها وذلك لمتانتها ولتناسبه مع الأرض المنبسطة والرملية.
- صناعة دلاء الماء، تستعمل لسحب الماء من الآبار وتصنع الكبيرة منها من جلد البقر.
- صناعة الأحزمة وقطاعات السيوف والخناجر والسيور، والعقل عقال الرأس المسمى محلياً (بالكفال) ويستعمل أيضاً كرباط للحيوانات، وكلها تصنع من جلد الماعز^(٦٤٥) وهناك صناعات جلدية أخرى تصنع من جلد

^(٦٤٢) لوريمر ن. م ص ١٧٣٤ سعيد عاشور وعوض خليفات: ن. م والمكان.

فيليبس، ونذل: تاريخ عمان ص ١٩١ حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٢٨.

^(٦٤٣) سبق وأن تحدثنا عن أهمية خشب القرط في الصناعات الخشبية خاصة السفن.

^(٦٤٤) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٩٧.

^(٦٤٥) ن. م ص ١٩٧-١٩٩.

الماعر واختص باستعمالها سكان البادية لخفة وزنها وسهولة نقلها في حلهم وترحالهم كالخيام التي تتخذها البادية مساكن لهم فقد قال جلت قدرته: (وجعل لكم من جلود الأنعم بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم)^(٦٤٦).

ومن الصناعات الجلدية محافظ النقود وتكون صغيرة الحجم تسمى "هيمن"، عليها نقوش وزخارف رائعة. محافظ أكبر حجماً وتسمى "هَبَّان" تستعمل لحفظ التمر والسمن، لكنها بدون زخارف. قرب الماء تصنع من جلد الماعز، وتستعمل لنقل وتبريد الماء، والصغيرة منها تسمى السعون "مفردها سعن"^(٦٤٧).

الصناعات السعفية:

هي تلك الصناعات القائمة على سعف النخل والحبال المصنوعة من ليفه وأهمها: السلال الكبيرة وتسمى القفر (مفردها قفير)، والأصغر منها تسمى المبادع مفردها مبدع أو زمبيل، ويعادل نصف حجم القفير، وتستعمل هذه السلال لنقل الغلال من تمر وحبوب وغيرها أو لنقل الأتربة والأسمدة الخ.. وأصغر هذه السلال المخاريف^(٦٤٨) والجيب، ثم الثوج إناء كبير يحمل على ظهور الحمير لنقل ما سبق ذكره. وهناك البسط التي تستعمل إما للجلوس عليها أو لوضع مائدة الطعام عليها، بينما تصنع من عيدان عذوق النخل المناسف والمناخل التي تستعمل لنخل وتنقية الغلال كالحبوب وغيرها من الأتربة والشوائب العالقة بها.

كما تصنع الظروف من سعف النخل وتستعمل لحفظ التمور بدلاً من الفخار ليسهل حملها على ظهور الدواب، كذلك تصنع المراوح اليدوية للتهوية^(٦٤٩).

- الحناني، حبيب بحث (دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول)

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٣ ص ٦٩.

^(٦٤٦) آية ٨٠ من سورة النحل.

^(٦٤٧) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ١٩٩-٢٠٠.

^(٦٤٨) المخاريف (جمع) مفردها مخراف أو مخرافة لخرف الثمار وبالذات الرطب أي جنبها أنظر مختار الصحاح.

^(٦٤٩) سعيد عاشور وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية ص ٣٥٤.

صناعة البسط "الحصر":

تصنع البسط التي تستعمل للجلوس عليها في المنازل والمساجد لداء الصلاة في عمان من نباتات برية تسمى الرسل والغطف، تنمو بكثرة على ضفاف الأودية التي تتوفر فيها المياه في مناطق عدة من عمان. تقص عيدانها كل أربعة أشهر وتوضع تحت أشعة الشمس حتى تجف ثم تنقل إلى مكان صنعها. وهناك تبلل بالماء، ثم تدق بمطرقة خشبية لتليينها، ويوضع كل عودين أو ثلاثة مع بعض وتخاط بخيوط قوية متينة بواسطة نول يدوي يسمى "مستاة" وتشد جيداً حتى لا تخرج من العيدان..

ويتم قطع العيدان الزائدة والأشواك التي تكون بأطرافها لتسويتها وتهذيبها لكي تكون صالحة للاستعمال. ويتم تجفيف البسط قبل نقلها للبيع ليسهل حملها^(٦٥٠).

صناعة أدوات الصيد البحري:

لامتداد سواحل عمان على بحري فارس والهند، ومما لا شك فيه بأنها كانت غنية بالثروة السمكية التي قامت عليها حرفة الصيد تلك الحرفة التي تعتبر في المرتبة الثانية بعد الزراعة وللقيام بتلك الحرفة لابد من وجود أدوات تعين الصياد لصيد أكبر كمية من الأسماك ومن هذه الأدوات:

البرمة^(٦٥١)

عبارة عن إناء فخاري يسمى البرمة توضع على الساحل ويترك فتحة لدخول الأسماك وهي من الوسائل التقليدية القديمة^(٦٥٢).

الشباك:

الحصاد مج ٤ ص ١٣٦-١٣٧ وص ٢٤٠-٢٧٢.
(٦٥٠) حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج ٤ ص ١٣٤-١٣٥.
(٦٥١) البرمة: هي القدر المصنوعة من الفخار. انظر الرازي: مختار الصحاح.
(٦٥٢) حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٤ ص ٣١٦.

متعددة الأنواع منها، الليخ وهي مختلفة الأنواع وتستخدم لصيد الأسماك الكبيرة.

- الفاروة: وتستخدم لصيد الأسماك الصغيرة كالبرية (العومة) والبياح الخ..

- القرقور: يصنع من سعف النخل لصيد الأسماك متوسطة الحجم.

وعلى العموم فالشباك كما قلنا أعلاه ذات أحجام وأغراض فالتى تستخدم على الساحل يحملها الصياد بنفسه، أما تلك التى تستخدم للصيد فى عقر البحر فتحمل على القوارب لرميها هناك حيث يربط فى أطرافها أحجار أو رصاصاً لغطسها، وتثبيتها فى القاع.

وتصنع تلك الشباك من خيوط القطن القوي السميك، بالإضافة إلى سعف النخل فى الأطراف، وتقوى تلك الخيوط بالنورة (الهك) حيث تخلط الحبال مع الماء والنورة وتطبخ جيداً معاً لمدة ليلة لتقوية تلك الخيوط ولجعلها أكثر تماسكاً، ثم تغسل بماء البحر، ولكن كيف تتم صناعة النورة^(٦٥٣) (الهك) وماهى استخدامها الأخرى؟

صناعة النورة ومواد البناء الأخرى:

تصنع النورة (الهك) بحفر حفرة واسعة، فتوضح بها كمية مناسبة من سعف النخل "الكرب"، كوقود لحرق كمية مناسبة من الأصداغ البحرية "المحار"، وتحرق حرقاً جيداً، ويجمع ذلك الناتج، ويطحن جيداً، ثم يوضع فى بساط مصنوع من سعف النخل، ويخلط بماء البحر، ويترك مدة من الوقت لتتم عملية التفاعل، ويعتبر هذا الناتج شبيهاً بالنورة، ويستخدم إضافة إلى ما سبق ذكره، وهو تقوية شباك الصيد، يستخدم كمادة جبسية لتجبير العظام، وكطلاء داخلي للمباني.

^(٦٥٣) النورة (الهك): مادة تستخدم لطلاء المباني وهي بيضاء اللون. أنظر: مختار الصحاح مادة نور.

أما كلمة "هك" فهي كلمة فارسية تعني النورة. أنظر حصاد الدراسات ن. م ص ٣١٧.

أما صناعة الجص العماني^(٦٥٤):

الجص عبارة عن صخور كلسية جيرية تحرق، وتترك مدة من الزمن لتبرد، وعند استخدام الجص في البناء، يعجن بالماء، ويكون لونه فاتح، وإن كان يستخدم للبناء، لكنه أكثر استخداماً لطلاء المنازل.

الصاروج العماني:

طريقة تصنيعه شبيهة بتصنيع النورة والجص، لكن هنا تضاف إليه أقراص من الطين سبق صبها وتجفيفها، ثم تخلط مع الصخور الكلسية الجيرية فتخلط مع بعضها ثم تحرق في موقد معد لهذا الغرض يسمى (المهبة) حرقاً جيداً، وبعد ذلك يترك ليبرد، ويُخرج من الموقد ويطحن أو يدق جيداً، ويعبأ في أكياس استعداداً لتسويقه^(٦٥٥). وعند استخدامه يتم عجنه بالماء ثم يبنى به مع الحجارة^(٦٥٦)، ولونه أغمق قليلاً من لون الجص. ويعتبر الصاروج^(٦٥٧) العماني بمثابة الأسمنت في الوقت الحاضر.

ولكون البناء بهما: مع الأحجار أقوى تحملاً وأطول عمراً من البناء بالطين والطوب وأكثر وجاهه منها، لذا شاع استخدامهما في البناء في عهد بني نبهان أكثر من ذي قبل لكونهم ملوكاً يميلون إلى المدنية والعمران والرفاهية أكثر عن الأئمة الذين يميلون إلى الزهد والتقشف في بناء بيوتهم المتواضعة. وربما أيضاً لاتصال بني نبهان بملوك هرمز ومحاولتهم تقليدهم

^(٦٥٤) الجَص: بفتح الجيم وكسرهما مع تشديد الصاد مادة يبنى بها وهو معرب.

أنظر الرازي: مختار الصحاح ص ١٠٤.

^(٦٥٥) داتون بحث (دراسة ميدانية لمصادر الثروة مشروع الخابورة).

حصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٦ ص ٦٣.

- ن. م مج ٤ ص ٣١٧.

^(٦٥٦) لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج ٥ ص ١٧٨٨.

داتوان (دراسة ميدانية لمصادر الثروة مشروع الخابورة) بحصاد ندوة الدراسات العمانية مج ٦

ص ٦٣.

^(٦٥٧) (صرج) البناء: طلاه بالصاروج: الصاورج: خليط يستعمل في طلاء الجدران والأحواض.

انظر المعجم الوسيط مادة صرج.

في فن البناء. استخدام أيضاً في بناء قنوات الأفلاج وجداولها وفي إقامة السدود على المزارع لصد الأودية والسيول الجارفة عنها.

الصناعات القائمة على المنتجات الزراعية:

صناعة البخور:

تصنع البخور من مجموعة من المواد العطرية تخلط في تركيبة واحدة كاللبان الظفاري، ومسحوق حطب العود، والمسك وغيرها من المواد العطرية.

صناعة كحل العين:

يصنع بخلط مجموعة من المواد كاللبان والزئبق ونشارة الخشب تحرق معاً، ثم تعجن بالسمن النقي وماء الورد. ويعتبر العمانيون كحل العين مقويًا لها وليس مجرد زينة^(٦٥٨).

صناعة السكر:

تجود زراعة قصب السكر في غالبية المدن الداخلية في عمان وكان خلال فترة دراستنا وأما قبلها وما بعدها حتى العصر الحديث له موسمه الهام عند حصاده كما هو الحال بالنسبة لحصاد ثمرة النخل وكذلك اللبان في ظفار، وموسم الغوص في البحر. وكان هناك تنافس شديد بين منتجي السكر أيهم يكون إنتاجه أكثر جودة عن غيره^(٦٥٩) وتمر صناعة السكر بثلاث مراحل هي، الأولى مرحلة عصر قصب السكر بواسطة معصرة خشبية تديرها عجلة ولها فتحات لخروج عصير القصب، الذي يسمى الشارج ويكون لونه أحمر.

المرحلة الثانية:

^(٦٥٨) هولي: الصناعات الفضية في عمان ص ٣٠-٣٢ وص ٥٠.
^(٦٥٩) سماعاً عن والدي رحمه الله عن زراعة وعصر وصناعة السكر في مدينة سمد الشان.

يصب العصير "الشارج" في حوض مبني بالصاروج العماني، ويكون تحت المعصرة مباشرة، أما المرحلة الثالثة، فيتم فيها نقل الشارج إلى مرجل الطبخ، حيث يوضع المرجل على موقد مبني بالطوب والطين أو الحجر والجص، وله منفذ جانبي لخروج الدخان بعيداً عن مكان المرجل، ويغلى لمدة ساعتين يتحول (الشارج) العصير إلى مزيج جديد يسمى (زيج)، وهذا الزيغ لا يعرض لأشعة الشمس، ويباع بعد تجميده في الظل. أما السكر نفسه، فإنه تزداد مدة طبخه حتى يجف الماء منه ويصير لونه أحمر غامق، ويعرض لأشعة الشمس حتى يجف ويباع في صورة قوالب مستطيلة أو مكعبة. ومن هنا سمي بالسكر الأحمر أو البني^(٦٦٠).

صناعة ماء الورد:

يعتبر الورد من أقدم بل وأهم مصادر العطور عبر العصور، فقد استعمله، العرب واليونانيون والرومان منذ آلاف السنين كعطور، وكنكهة يضيفونها إلى طعامهم، أما في عمان فقد اشتهرت منطقة الجبل الأخضر عن غيرها من مناطق عمان بزراعته وتصنيعه حيث يُعد من محاصيله الزراعية الهامة بعد الفواكه^(٦٦١).

طريقة صناعة ماء الورد بالتقطير المباشر:

بعد قطف الورد من الحقل الزراعي ينقل مباشرة إلى المصنع، وهو فرن مبني بالطوب والطين، ويتكون من مجموعة من أواني الطبخ وهي عبارة عن قدور فخارية تسمى "العيون".

يوضع الورد في هذه العيون، ويوضع داخل كل واحدة من هذه القدور أيضاً فوق سطح الورد مباشرة إناء نحاسي يتم فيه تجميع ماء الورد، الذي تساقط نتيجة لتكثيف بخار ماء الورد بعد ملامسته للطبق المملوء بالماء البارد كغطاء لفوهة كل قدر من تلك القدور. فتتم عملية تقطير ماء الورد

^(٦٦٠) مقابلة أجرتها جريدة عمان مع أحد صانعي السكر بتاريخ ٢٥/ مايو عام ١٩٨٨.

فيليبس، وندول: تاريخ عمان ص ١٩١.

^(٦٦١) استخلاص ماء وزيت الورد (نشرة إرشادية) ص ٣.

- جريدة، عمان العدد ٢٣٩٦ بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٨٧م.

بطريقة التقطير المباشر^(٦٦٢) وليس كما ذكر هولي^(٦٦٣) "بنقع مجموعات الورد بضعة أيام، حتى يتبخر المحلول، وتنتشر رائحته"، بعد ذلك يعبأ ماء الورد الناتج في أواني زجاجية أو معدنية حسبما هو موجود، ويتم نقله للأسواق لبيعه.

^(٦٦٢) استخلاص ماء وزيت الورد ن. م. ص ١١.

^(٦٦٣) روت: الصناعات الفضية في عمان ص ٥٠.

خاتمة:

وبعد، فإنني في دراستي لبني نبهان وأحوال عمان في عهدهم، وبخاصة الجوانب الاقتصادية أرجو أن أكون قد وفقت في الكشف عن عدة حقائق أهمها أنه من المبالغة وصف هذا العصر بأكمله بأنه كان مظلماً في الجوانب السياسية والحضارية.

لقد اتهم المؤرخون السابقون، والكتاب المعاصرون فترة حكم بني نبهان بأنها تمثل حلقة سوداء في تاريخ سلطنة عمان، وكانوا مدفوعين إلى ذلك إما بما تخلل ذلك الدور من صراعات وحوادث مؤسفة، وإما لسوء سياسة بعض الحكام من بني نبهان، ومع اعترافنا بهذا الجانب السلبي، إلا أن التاريخ لا ينبغي أن ننظر إليه بعين واحدة مثلما يقول أستاذنا الدكتور/ سعيد عبدالفتاح عاشور، وإنما علينا أن ننظر بعينين فاحصتين. وهنا يتضح لنا أن عهد بني نبهان لم يكن مظلماً على طول الخط وإنما تخللته إشاعات قد تكون ضعيفة ولكنها مضيئة وهذه لا يصح إغفالها.

وقد أوضحنا في هذه الدراسة أن زعامة بني نبهان للبلاد كانت زعامة قبلية عربية، فلا حجاب ولا بلاط. وقد اتصفوا بالكرم العربي الأصيل. كذلك امتاز عهدهم بالعمران حيث اكثروا من بناء القلاع والحصون المنيعة الدالة على تحضرهم. عد عصرهم بأنه العصر الذهبي للشعر والشعراء.

يعتبر بنو نبهان أول أسرة عمانية تقيم مملكة عربية عمانية في شرق أفريقية فاتحة بذلك الباب لأسر عمانية حذت حذوها فيما بعد.

أما عن السليبات التي جعلت العمانيين يمقتون عهد بني نبهان ويصفونهم بالطغاة حيناً وبالجبابرة أحياناً أخرى فقد ألقينا عليها الضوء في هذا البحث وأوضحنا أنهم كانوا أول أسرة عمانية تصل إلى الحكم عن طريق غير شرعي في نظر المجتمع العماني في ذلك العصر وهو طريق الإمامة المنتخبة.

هذا إلى أنهم حولوا نظام الحكم من إمامة منتخبة إلى نظام ملكي وراثي منحصر في أسرة واحدة على رغم الأمة. وكان أن تسلط غالبية ملوكهم على الرعية واستيلائهم على ممتلكات بعض أفراد المجتمع بطرق تعسفية، وفرضوا ضرائب وإبتاوات تتعارض مع تعاليم الإسلام في جمع الزكاة.

كذلك اتصف عهدهم بكثرة النزاعات والفتن والصراع على السلطة. وقد عالجت كافة هذه الجوانب الإيجابية في وضوح.

أما عن دراستي للموارد الاقتصادية في عهدهم فيمكن تلخيص النتائج للتي توصلت إليها فيما يلي:

أن هناك تكاملاً اقتصادياً كان قائماً آنذاك بين ما تنتجه مناطق البيئات الثلاث في عمان البيئة البحرية والبيئة الزراعية والبيئة الصحراوية. إضافة إلى ما تقوم به حرفة التجارة والنقل والصناعة من ربط ومزج ونقل لموارد هذه البيئات. وجلب ما تحتاجه من منتجات وسلع من خارج البلاد.

وعليه فقد توصلت إلى نتيجة مفادها أن بوابة البلاد ورئتها التي تتنفس به عمان نحو العالم الخارجي. وما ينطبق على الإنسان ينطبق أيضاً على الدول فكل دولة في العالم لا غنى لها عن الدول الأخرى، لذا كانت لعمان علاقاتها التجارية مع عدد من الدول تطرقنا إليها من خلال دراستنا هذه.

وأخيراً أود أنؤكد أن كل حاكم يحكم عمان ولم يضع يده على تلك المنافذ يعتبر حكمه مهلهلاً لكونه أولاً لم يحكم غلق حلقات السلسلة العمانية في يده.

وثانياً يكون هو ودولته تحت رحمة تلك الدولة التي تضع يدها على المنافذ البحرية وستتحكم على المصادر من بلاده والوارد إليها خاصة إذا كانت علاقته بها غير جيدة.

وفقنا الله في ظل حكومتنا الرشيدة إلى رفعة البلاد وصلاح العباد.

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)^(٦٦٤).

(٦٦٤) آية ١٠٥ من سورة التوبة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المخطوطة:

- (١) الأزكوي، سرحان بن سعيد الرحني (ت في ق ١٢ هـ / ١٨ م). كتاب الغمة الجامع لأخبار الأمة (مخطوطة مصورة) موجودة بدار الوثائق والمخطوطات العمانية -مسقط سلطنة عمان.
- (٢) ابن رزيق حميد بن محمد (ت ١٢٩١ هـ): السيرة "الصحيفة" القحطانية الجزء الأول (مخطوطة مصورة). بدار الوثائق والمخطوطات العمانية مسقط. سلطنة عمان.
- الصحيفة القحطانية السيرة الجامعة الجزء الثاني "مخطوطة مصورة" بدار الوثائق والمخطوطات العمانية-مسقط. سلطنة عمان.
- (٣) الرقيشي، أحمد بن عبدالله (ت في ق ١١ هـ / ١٧ م): مصباح الظلام في شرح دعائم الإسلام. مخطوطة بدار الوثائق والمخطوطات العمانية مسقط سلطنة عمان.
- (٤) المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد (ت في أواخر ق ١٢ هـ / ١٨ م) قصص وأخبار جرب بعمان (مخطوطة مصورة) بدار الوثائق والمخطوطات العمانية-مسقط سلطنة عمان.
- (٥) مخطوطة سير العلماء والإباضية ثلاثة مجلدات. تأليف مجموعة من العلماء والإباضية العمانيين لدى أحد الأخوة غير مصنفة.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الحديث الشريف:

- (١) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، دار الجبل بيروت بدون تاريخ.
- (٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ) الجامع الصحيح أو سنن الترمذي الجزء الثالث. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي بيروت لبنان ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م).
- (٣) الفراهيدي، الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي (ت في القرن الثاني الهجري) الجامع الصحيح مسقط ١٩٨٦م.
- (٤) مالك بن أنس: موطأ الإمام مالك (رواية ابن القاسم وتلخيص القابس) تحقيق محمد بن علي بن عباس المالكي. جدة، الطبعة الأولى ٥٠٤١هـ (١٩٨٥م).
- (٥) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ): الجامع الصحيح بيروت بدون تاريخ.

ثالثاً: المؤلفات:

- (١) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد السيابي (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ. بيروت ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م).
- (٢) الأزكوي، سرحان بن سعيد (ت في ق ١٢هـ / ١٨م) تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة تحقيق ونشر عبد المجيد حسيب القيس. دار الدراسات الخليجية. بدون تاريخ.
- (٣) الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤١هـ) كتاب مسالك الممالك، ليدن ١٩٦٧م.

- (٤) ابن الأعرابي، أبو عبدالله محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ) كتاب البئر. تحقيق رمضان عبد التواب. القاهرة ١٩٧٠م.
- (٥) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة (المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) بيروت بدون تاريخ.
- (٦) البكري، أبو عبيد: جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق ودراسة د. عبدالله يوسف الغنيم، الكويت الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م).
- (٧) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) فتوح البلدان، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- (٨) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير المعروفة باسم "تذكرة بالأخبار في اتفاقات الأسفار" بيروت بدون تاريخ.
- (٩) ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة الطبعة الأولى.
- (١٠) الحضرمي، أبو محمد إبراهيم بن قيس (ت في ٥٠٥هـ/١١م): ديوان السيف النقاد، مسقط ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- (١١) الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان بيروت بدون تاريخ.
- (١٢) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ) كتاب صورة الأرض أو "المسالك والممالك" بيروت ١٩٧٩م.
- (١٣) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبدالله بن عبدالله (ت في حدود عام ٣٠٠هـ) المسالك والممالك، يليه من بند كتاب الخراج، وصيغة

الكتاب لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، (ت ٣٢٠هـ)
مكتبة المثنى ببغداد.

(١٤) الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ): العقود اللؤلؤية في تاريخ
الدولة الرسولية، الجزء الأول، تحقيق محمد بسيوني عسل، القاهرة،
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(١٥) ابن خلدون، عبدالرحمن (ت ٨٠٩هـ): تاريخ ابن خلدون "كتاب العبر
وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر". بيروت ١٩٨٣م.

- المقدمة بيروت ١٩٨٣م.

(١٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): تاريخ
الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام. القاهرة ١٣٦٨هـ.

(١٧) ابن رزيق، حميد بن محمد (ت ١٢٩١هـ): الشعاع الشائع باللمعان في
ذكر أئمة عمان، تحقيق عبدالمنعم عامر. القاهرة ١٣٩٨هـ
(١٩٧٨م).

- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر،
ود. محمد مرسي عبدالله. القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

(١٨) ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر: الأعلام النفيسة المجلد السابع،
ويليه البلدان لليعقوبي، ليدن ١٨٩١م.

(١٩) السالمي، عبدالله بن حميد (ت ١٣٣٢هـ): تحفة الأعيان بسيرة أهل
عمان الجزء الأول، تحقيق أبي إسحاق إبراهيم أطفيش القاهرة
الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ.

(٢٠) الستالي، أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي (ت في ق ٦هـ / ١٢م):
ديوان الستالي، تحقيق عز الدين التتوخي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ
(١٩٨٣م).

- (٢١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى بيروت بدون تاريخ.
- (٢٢) ابن سلام الإباضي (ت ٢٧٣هـ): الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، تحقيق ر.ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).
- (٢٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير المجلد الثاني تحقيق لجنة إحياء التراث العربي والآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).
- (٢٤) الشقسي، خميس بن سعيد (ت ١٠٦٠هـ): منهج الطالبين وبلاغ الراغبين الجزء الخامس. تحقيق سالم بن حمد الحارثي ومراجعة عبدالمنعم عامر، القاهرة بدون تاريخ.
- (٢٥) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م): أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هـ من كتاب الأوراق، تحقيق ج. هيورث القاهرة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م).
- (٢٦) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).
- (٢٧) العجلي، الحافظ أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح (ت ٢٦١هـ): معرفة الثقات، مع زيادات لابن حجر العسقلاني. تحقيق عبدالعليم السبتوي، المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).
- (٢٨) العوتبي، سلمة بن مسلم (ت في ق ٥هـ / ١١م): الأنساب مسقط ١٩٨٤م.
- (٢٩) أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ): تقويم البلدان. تحقيق ريفود والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس ١٨٥٠م.

- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) الجزءان الثاني والثالث. بيروت بدون تاريخ.

(٣٠) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

(٣١) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ): كتاب صبح الأعشى الجزء الخامس. القاهرة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م).

(٣٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية الأجزاء ٩ و ١٣ و ١٤، بيروت الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م).

(٣٣) الكدومي، أبو سعيد محمد بن سعيد (ت في ق ٤هـ / ١٠م): الاستقامة الجزءان الأول والثاني، مسقط ١٩٨٥م.

(٣٤) الكندي، أبو بكر أحمد بن عبدالله بن موسى (ت ٥٥٧هـ / ١١٦٢م): كتاب الاهتداء، تحقيق أ.د. سيدة إسماعيل كاشف القاهرة ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م).

- المصنف الجزء السادس، تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة ١٩٨٢م.

(٣٥) الكندي، محمد بن إبراهيم (ت ٥٠٨هـ): بيان الشرع الجزء الرابع تحقيق سالم بن حمد الحارثي، القاهرة ١٩٨٤م.

(٣٦) الكيذاوي، موسى بن حسين بن شوال (ت في ق ١٠هـ / ١٦م): ديوان الكيذاوي ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

(٣٧) ابن ماجد، أحمد بن ماجد السعدي (ت في ق ١٠هـ / ١٢م): كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد.

- ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق ونشر تيودور شوموفسكي ترجمة وتعليق د. محمد منير مرسي، القاهرة ١٣٦٤هـ

- أراجيز ملاحية (السفالية، المعلقة، التائية) تحقيق إبراهيم خوري،
صنعاء بدون تاريخ.

(٣٨) ابن ماسويه، يحيى بن ماسويه (ت٢٤٣هـ / ٨٥٧م): كتاب الجواهر
وصفاتها في أي بلدان هي وصفة الغواصين والتجار، تحقيق عماد
عبدالسلام رؤوف، القاهرة ١٩٧٦م.

(٣٩) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ): نسب عدنان
وقحطان، تحقيق عبدالعزيز الثميني الراجكوتي، الدوحة ١٤٠٤هـ
(١٩٨٤م).

(٤٠) ابن مداد، عبدالله بن مداد (ت في ق ١٠هـ / ١٦م) سيرة ابن مداد،
مسقط ١٩٨٤م.

(٤١) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ): مروج الذهب
ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت بدون
تاريخ.

(٤٢) ابن مسكويه، علي بن أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ / ١٠٣٠م): كتاب
تجارب الأمم جزاء الأول والثاني، طبعا على التوالي بالقاهرة
١٣٣٢هـ (١٩١٤م) و١٣٣٣هـ (١٩١٥).

(٤٣) المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد: قصص وأخبار
جرت في عمان حقق على أنه لمؤلف مجهول، تحقيق د. عبدالمنعم
عامر، القاهرة ١٩٧٩م.

(٤٤) المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد الشافعي (ت٣٧٥هـ): أحسن
التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن الطبعة الثانية ١٩٠٦م.

(٤٥) النبهاني، سليمان بن سليمان بن مظفر (ت٩١٥هـ / ١٥١٠م): ديوان
النبهاني، تحقيق عز الدين التتوخي، القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ
(١٩٨٤م).

- (٤٦) ابن النظر، أبو بكر بن سليمان بن عبدالله (ت في ق ٧هـ / ١٣م): كتاب الدعائم ويليه المنظومة النونية في التوحيد والمنظومة الرائية في الصلاة وأحكامها للعلامة أبي نصر فتح بن نوح، تصحيح محمود عيران مسقط الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).
- (٤٧) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ): كتاب المغازي تحقيق هاريسون جونس، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).
- (٤٨) ابن وصاف، محمد بن وصاف: شرح كتاب الدعائم، الجزء الأول، تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة ١٩٨٣م.
- (٤٩) ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري (ت بمصر ٢١٣هـ): السيرة النبوية تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، القاهرة بدون تاريخ.
- (٥٠) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٢٤هـ): صفة جزيرة العرب تحقيق محمد بن علي الأكوع، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ (١٩٨٤م).
- (٥١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، بيروت ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).
- (٥٢) مؤلف مجهول: تاريخ أهل عمان، تحقيق وشرح أ.د. سعيد عبدالفتاح عاشور الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م).

قائمة المراجع

أولاً قائمة المراجع العربية:

- (١) أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية الجزء السابع، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- (٢) أعوشت، بكير بن سعيد: دراسات إسلامية في أصول الأصول الإباضية، مسقط الطبعة الثالثة.
- (٣) أنور عبدالعليم: ابن ماجد الملاح، القاهرة ١٩٦٧م.
الملاح البحرية عند العرب، الكويت ١٩٧٩م.
- (٤) الباروني، أبو ربيع سليمان: مختصر تاريخ الإباضية، تونس الطبعة الثانية.
- (٥) باوزير، سعيد عوض: معالم الجزيرة العربية، عدن الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م).
- (٦) بكوش، يحيى محمد: فقه الإمام جابر بن زيد، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م).
- (٧) توزي، مود ويتستو: ملاحظات حول توزيع الموارد الطبيعية واستثمارها في عمان القديمة، القاهرة ١٩٨٣م (مترجم).
- (٨) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي الجزء الأول، بيروت بدون تاريخ.
- (٩) جوتيلر، جي. و، وفيرث. ن، وهوستون، سي. سي: بحث مبدئي في التعدين القديم في سلطنة عمان (مترجم) القاهرة ١٩٨٣م.

- (١٠) جودة حسنين: شبه الجزيرة العربية (دراسة في الجغرافية الإقليمية) الإسكندرية ١٩٨٤م.
- (١١) الجوهري يسرى عبدالرازق: (دراسة لتاريخ الكشف الجغرافية ولتطوير التفكير الجغرافي) القاهرة ١٩٦٥م.
- (١٢) الحارثي، سالم بن حمد: العقود الفضية في أصول الإباضية ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- (١٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي الجزء السابع، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- (١٤) حوراني، جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة د. يعقوب بكر، القاهرة بدون تاريخ.
- (١٥) الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، مسقط ١٩٨٤م.
- (١٦) خليفات/ عوض محمد: نشأة الحركة الإباضية، عمّان ١٩٧٨م.
- الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، مسقط الطبعة الثانية بدون تاريخ.
- (١٧) الخليلي، عبدالله بن علي: ديوان وحي العبقريّة، القاهرة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م).
- (١٨) دي كاردي، بياتريس، دونالد سي، وتكومب: دراسة لآثار عمان (مترجم) القاهرة ١٩٨٣م.
- (١٩) دي كاردي، ب، ود. ب. دو، وروسكاس. س. ب: أعمال التنقيب والدراسة في المنطقة الشرقية في سلطنة عمان، في عام ١٩٧٦م (مترجم) القاهرة ١٩٨٣م.

- (٢٠) دي كاردي، ب: محصلات العينات الأثرية التي عثر عليها على سطح الأرض (عينات سطح الأرض في عمان) ١٩٧٦م (مترجم) القاهرة ١٩٨٤م.
- (٢١) زمباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة د. زكي محمد حسن وآخرون، القاهرة ١٩٥١م.
- (٢٢) السالمي، عبدالله بن حميد (ت ١٣٣٢هـ): جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، تحقيق أبي إسحاق إبراهيم أطفيش القاهرة الطبعة الرابعة ١٣٨١هـ.
- (٢٣) السالمي، محمد بن عبدالله (ت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م): نهضة الأعيان بحرية عمان، القاهرة.
- وناجي عساف: عمان تاريخ يتكلم.
- (٢٤) سرور، محمد جمال الدين: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق في عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، القاهرة الطبعة الرابعة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).
- (٢٥) سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى الجزء الأول (التاريخ السياسي) القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٧٢م.
- الحركة الصليبية الجزء الثاني القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.
- وعوض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية مسقط ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- (٢٦) سليمان، أحمد السعيد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، الجزء الأول، القاهرة ١٩٧٢م.

- (٢٧) السيابي، خلفان بن جميل (ت١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م): سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، الجزء الثاني، القاهرة الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ (١٩٦١م).
- (٢٨) السيابي، سالم بن حمود: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، مراجعة الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري، بيروت ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م).
- (٢٩) العاني، عبدالرحمن عبدالكريم: دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، مسقط ١٩٨١م.
- (٣٠) العشي، محمد أبو الفرج: النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامي مسقط ١٩٨٤م.
- (٣١) العقيلي، محمد رشيد: الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول، مسقط ١٩٨٤م.
- (٣٢) أبو العلا، محمود طه: جغرافية شبه جزيرة العرب، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
- (٣٣) عمر متولي، أبو بكر الصديق وشوقي إسماعيل شحاته: اقتصاديات النقود في إطار الفكر الإسلامي، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- (٣٤) فاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني "الخليج العربي" بغداد ١٩٧٩م.
- (٣٥) فليبس، وندل: تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبدالله، القاهرة ١٩٨٣م.
- (٣٦) قدري قلعجي: الخليج العربي، بيروت ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).
- (٣٧) كاشف، سيدة إسماعيل: عمان في فجر الإسلام، القاهرة ١٩٧٩م.

- (٣٨) كرد، محمد علي: الإسلام والحضارة الغربية، الجزء الأول، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.
- (٣٩) كوستا، بوللو. ام: دراسة لمدينة ظفار (البليد) (مترجم) ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م).
- (٤٠) لوريمر، ج.ج: دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزءان الأول والثاني.
- دليل الخليج، القسم الجغرافي الأجزاء من ١-٧ ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، الدوحة.
- (٤١) لوثرروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، تعليق الأمير شكيب أرسلان، ترجمة عجاج نهويض، بيروت ١٩٧٣م.
- (٤٢) ماجد، عبدالمنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٧٣م.
- (٤٣) مايلز.س.ب: الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله القاهرة ١٩٨٦م.
- (٤٤) متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبدالهادي أبو ريده المجلد الأول، بيروت الطبعة الرابعة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- (٤٥) متولي، محمد: حوض الخليج العربي، الجزءان الأول والثاني، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٧٨م / ١٩٨١م.
- (٤٦) متولي، محمد، ومحمود أبو العلا: جغرافية الخليج العربي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ (١٩٨٥م).
- (٤٧) محمد مرسي عبدالله: إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨م القاهرة ١٩٧٨م.

- (٤٨) معمر، علي يحيى (ت١٩٨٠م): الإباضية (دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم) غرداية، الجزائر بدون تاريخ.
- (٤٩) المعمري، أحمد حمود: عمان وشرق أفريقيا، ترجمة محمد أمين عبدالله القاهرة ١٩٨٠م.
- (٥٠) الناصر، علي حسين السليمان: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية (أواخر العصور الوسطى ١٢٥٠-١٥١٧م) القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- (٥١) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) القاهرة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م).
- (٥٢) وايز جربير، جي: مسقط في عام ١٦٨٨م (مترجم) القاهرة ١٩٨٤م.
- (٥٣) ولكنسون، جي.س: الأفلاج ووسائل الري في عمان، ترجمة محمد أمين عبدالله القاهرة ١٤٠١هـ (١٩٨١م).
- (٥٤) ويلسون، أرنولد: تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبدالله، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
- (٥٥) ويلكسون، جون: صحار تاريخ وحضارة (مترجم) مسقط ١٩٨١م.
- (٥٦) ويليامسون، أندرو: صحار عبر التاريخ، ترجمة محمد أمين عبدالله، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- (٥٧) هاريسون: رحلة طبيب في الجزيرة العربية، ترجمة محمد أمين عبدالله القاهرة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).
- (٥٨) هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة (مترجم) لندن بدون تاريخ.
- (٥٩) هولي، روت: الصناعات الفضية في عمان (مترجم) مسقط الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

(٦٠) يان، تشانغ زون: الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ (مترجم) بدون ذكر المكان ١٩٨١م.

(٦١) ويستنفلد، ف. F. Wustenveld: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة د.عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

ثانياً المعاجم اللغوية:

أ- المعاجم القديمة:

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ): كتاب جمهرة اللغة، حيدر آباد ١٣٤٥هـ.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، بيروت ودمشق بدون تاريخ.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، القاهرة بدون تاريخ.

ب- المعاجم الحديثة:

(١) إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وآخران: المعجم والوسيط.

(٢) المنجد في اللغة والأعلام: بيروت الطبعة السابعة والعشرون بدون تاريخ.

ثالثاً: الموسوعات:

- (١) دائرة المعارف الإسلامية (مترجمة) ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م).
- (٢) الموسوعة العربية الميسرة: بيروت ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

رابعاً: الأبحاث والدوريات:

- (١) أبحاث الحلقة الرابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية المنعقدة في أبو ظبي ١٤٠٠هـ (١٩٧٩م) مركز الوثائق والدراسات دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
- (٢) حصاد ندوة الدراسات العمانية عشرة مجلدات: وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، القاهرة بدون تاريخ.
- (٣) سلطنة عمان ومسيرة الخير المنطقة الداخلية والوسطى، إصدار وزارة الإعلام بسلطنة عمان، مسقط ١٩٨٦م.
- (٤) عمان تاريخاً وعلماء (عدة بحوث لمستشرقين أجانب) ترجمة محمد أمين عبدالله، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- (1) S.B. Miles: The Countries and Tribes of the Persian Gulf.
With a new introduction by J.B. Kelly Frank Cass & Co. Ltd. 1966.
Second Edition, Two Volumes in one 1966.

- (2) J.C. Wilkinson: Water and Tribal Settlement in South East Arabia, A Study of The Aflay of Oman, Oxford, 1977.
- (3) Wendell Phillips: Oman A History Librairie DV. Liban Riad Solt. Squer Beirute.